جمهورية مصر العربية
وزارة الأوقاف
المجلس الأعلى للشئون الإسلامية
لجنة التعريف بالإسلام

خامس الخلفاء الراشدين

الإمام الحسن بن على

للأستاذ
حسن كامل الملطاوى

القاهرة
١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م

بسم الله الرحمن الرحيم

(قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة فى القربى ، ومن يقترف حسنة نزد لـه فيها حسناً إن الله غفور شكور) ٠

قرآن كريم

(إن ابنـــى هـــذا ســـيد ولعـــل الله أن يصـــلح بـــه بـــين فئتـــين عظيمتـــين من المسلمين) ٠

حديث شريف رواه البخارى

مقدمة

الـــى ســـيدى أميـــر المـــؤمنين أبـــى محمـــد الحســـن الســـبط رضـــى الله عنـــه :
أحمـــد اليـــك الله الـــذى لا إلـــه الا هـــو ، وأصـــلى وأســـلم علـــى مولانـــا رســـول الله جـدك المصـطفى الـذى سـماك مـن ابتكـاره حسـنا ، ولـم يكـن ذلـك الاسـم الجميـل معروفـا مـن قبـل ، كمـا نسـبك اليـه بـالنبوة ، وان كنـت مـن صـلب أبيـك الامـام علـى ، ولقبـك بالسـيد ، فنلـت بـذلك كلـه شـرفا لـم ينلـه معـك الا أخـوك الامـام الحسـين ، صـلوات الله وسـلامه علـى سـيدى رسـول الله وآلـه وصـحبه وأزواجه ، ورضوان الله على من اقتفى أثره الى يوم الدين وبعد .

فقـد وصـفك الواصـفون ، فقـالوا انـك كنـت أشـبه النـاس برسـول الله صـلى الله عليـه وسـلم ، ونشـأت عفـا كريمـا ، حليمـا ، عليمـا ، خطيبـا ، فارسـا ، عابـدا ، زاهـدا ، راشـد الـرأى ، ولقـد صـورك للنـاس أخـوك الامـام الحسـين رضى الله عنه ، حين قال فى تأبينك مع حزنه عليك ، ووحشته بفراقك :

(رحمـك الله أبـا محمـد ، ان كنـت لناصـرا للحـق ، وتـؤثر الله عنـد مـداحض الباطـل ، فـى مكـان التقيـة بحسـن الرويـة ، وتستشـف جليـل معـاظم الـدنيا بعـين حـاذرة ، وتقـبض عليهـا بيـد طـاهرة ، وتـردع مـا يريـده أعـداؤك بأيسـر المؤنـة عليـك ، وأنـت ابـن سـلالة النبـوة ، ورضـيع لبـان الحكمـة ، فـالى روح وريحـان وجنـة نعـيم ، أعظـم الله لنـا ولكـم الأجـر عليـه ، ووهـب لنـا ولكـم السـلوة وحسـن الاساء عليه) .

فـأى شـرف أحـاط بـك ياسـيدى السـبط ، فـى محتـدك ، وفـى اسـمك ، وفـى رسمك ، وفى خصالك ، وقديما قالوا :

ليس على الله بمستنكر
أن يجمع العالم فى واحد

سيدى السبط الكريم :

كـان مـن بركـات أخيـك الامـام الحسـين ، أن دفعنـى الـى الكتابـة عنـك ، فمـا كـاد القـراء يطلعـون علـى كتـابى (الامـام الحسـين بـن علـى) الـذى نشـره المجلـس الأعلـى للشـئون الاسـلامية فـى ١٥ مـن شـوال ١٣٨٥ (الموافـق ٥ فبرايـر ١٩٦٦) ، حتـى ألحـوا علـى فـى الكتابـة عنـك ، وهـا أنـا ذا ألبـى رغبـتهم سـعيدا بـك كمـا سـعدت بـه ، فسـلام الله عليكمـا وعلـى سـائر سـادتى آل البيـت ورحمتـه وبركاتـه ، ولكمـا منـى الاكبـار والاعجـاب ، مـا أكبـر الحـق وانصـف أهله المنصفون .

سيدى السبط الكريم :

لقـد وقفـت علـى تاريخـك العـاطر ، فرأيـت أن العنايـة الربانيـة قـد هيأتـك لأن تكـون امامـا كـاملا ، فوعيـت فـى طفولتـك البـاكرة أحاديـث عـن جـدك صـلى الله عليـه وسـلم ، أخـذها عنـك الـرواة ، مـع أنـك لـم تعاشـره أكثـر مـن سـبعة أعوام ونصف .

ورأيتـك ملازمـا لأبيـك ، تغـرف مـن بحـره الزاخـر وترتـوى ، ويمـدك بمكنـون اللآلـىء والـدرر ، وهـو الـذى تربـى مـن صـباه فـى حجـر رسـول الله صـلى الله عليـه وسـلم ، فأخـذ عنـه الكتـاب والحكمـة ، فـامتلأت علمـا ونـورا ، وقـال فـى ثقـة بـالله : أيهـا النـاس سـلونى قبـل أن تفقـدونى ، فـوالله مـا مـن آيـة فـى كتـاب الله نزلت الا وأنا أعلم أبليل نزلت أم بنهار أم فسهل أم فى جبل .

ورأيتـك معلمـا للنـاس وللناشـئة مـن أهـل بيتـك ، وممـا علمـك الله . فكنـت منهم الإمام ، وكانوا هم الأئمة من بعدك .

ورأيتـك عابـدا ، ذا همـة خارقـة فـى عبـادك ، حتـى كأنـك قطعـت الـدنيا الـى الآخـرة ، وعاينـت الغيـب ، فرأيـت أن الأمـر جـد لا هـزل فيـه ، فشـد ذلـك مـن عزمـك ، حتـى حججـت بيـت الله عشـرين مـرة ماشـيا علـى قـدميك وإبلـك تقـاد بـين يـديك ، وتقـول تواضـعا لله ، إنـى أسـتحى أن أذهـب الـى بيـت الله الحرام راكبا ، فما أعظم الهيبة ، وما أكبر الهمة .

ورايتـــك وفيـــا بوالـــديك وأهلـــك وصـــحبك وصـــحب أبويـــك ، متـــأثرا بقـــول جدك المصطفى صلى الله عليه وسلم : حسن العهد من الايمان .

ورايتك حسن العشرة لأزواجك على كثرتهن ، وهن ضرائر ، وهو ما رغب الناس فى مصاهرتك مع كثرة طلاقك ، حتى انه حين أمر أبوك منا ديه أن ينادى فى الناس الا يزوجوك لأنك رجل مطلاق ، كانوا يقولون للمنادى : نزوجه فإن شاء أمسك وان شاء سرح .

وقـــد انتقـــد كثـــرة زواجـــك بعـــض الجهـــال ، ومـــا درى أنـــه لا تهمـــة مـــع الحـــلال ، ومـــا درى أن زمـــانكم غيـــر زماننـــا ، ومعـــاييركم غيـــر معاييرنـــا ، فقـــد كـــان تعـــدد الـــزواج فـــى أيـــامكم مستحســـنا ، لـــربط العصـــبيات والاكثـــار مـــن الـــذرارى المقـــاتلين ، ولـــئن كـــان التعـــدد مســـتحبا لغيـــركم فقـــد كـــان فـــيكم أهـــل البيـــت أكثـــر اســـتحبابا ، لأن ســـلالة النبـــى صـــلى الله عليـــه وســـلم أمـــان ورحمـــة لأهـــل الأرض ، وكيـــف لا وهـــم الطـــاهرون المطهـــرون ، الـــذين يبثـــون الهـــدى بـــين الناس بالقول والعمل والحال .

ورأيتـــك تحـــل الطيبـــات ، وزينـــة الله التـــى أخـــرج لعبـــاده ، لتظهـــر للنـــاس نعمـــة الله عليـــك وغنـــاك عـــنهم ، حتـــى لقـــد كنـــت تلـــبس بـــرنس الخـــز وســـبنجونه (بالطو) من جلود الثعالب ، وتركب الخيل المسومة .

ورأيتـــك مواســـيا المنكـــوب فـــى ســـاعة العســـرة ، وان تباعـــد عنـــه أحبابـــه فقـــد خرجـــت مـــع أبيـــك ومـــع أخيـــك ، تـــودع الصـــحابى الجليـــل ، أبـــا ذر رضـــى الله عنـــه ، وهـــو خـــارج الـــى الربـــذة ممـــا أثـــر فـــى نفســـه فخـــاطبكم قـــائلا رحمكـــم الله أهـــل بيـــت النبـــوة ، مـــالى بالمدينـــة ســـكن ولا شـــجن غيـــركم ، اذا رأيـــتكم ذكرت بكم رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ورأيتـــك ســـخيا ، تعطـــى بســـؤال وبغيـــر ســـؤال ، ورآك قبلـــى أبـــوك فـــى ســـخائك وجـــودك فوصـــفك قـــائلا : صـــاحب جفنـــة وخـــوان ، فتـــى مـــن فتيـــان قريش .

ورأيتـــك حلـــو الحـــديث ، عـــف اللســـان ، لا تصـــدر عنـــك الكلمـــات النابيـــة كما كنت تأخذ أمورك بالروية فلا يذهب عنك الرشد بغضب أو تسرع ، كل

ذلــك فــى هيبــة ووقــار يحســب حســابهما صــاحب الســلطان فــى عرشــه ، حتــى لقــد قال معاوية : والله ما رايته جالسا عندى الا خفت مقامه .

ورأيتـــك واصـــلا لســـيداتنا أمهـــات المـــؤمنين ، رضـــى الله عـــنهن ، تـــزورهن كــل يــوم ، وتبــرهن وتهــدى الــيهن ، فمــلأت علــيهن بعــض الفــراغ الكبيــر الــذى خلفه جدك صلى الله عليه وسلم حين اختاره الله للرفيق الأعلا .

ورأيتك حليما ، حلما شاد به خصومك ، حتى لقد قال مروان ، وهو ممن جرعكم الغيظ ، ان حلمك كان يوزن بالجبال .

ورأيتـــك جـــادا فـــى مواقـــف الجـــد ، فـــاذا رأيـــت مـــا يمـــس كرامتـــك زأرت فى وجه خصمك زئير الأسود ، لا ترهبك سطوته ، ولا يصدك سلطانه .

ورايتـــك تثبـــت عنـــد رأيـــك ، اذا اطمأنـــت اليـــه نفســـك ، وهـــى نفـــس طـــاهرة فكنـــت تعتـــد بـــه وتعتـــز ، وتقـــف حيالـــه مـــدافعا ، حتـــى مـــع أبيـــك الـــذى تحبـــه وأخيك الذى تعزه .

ورأيتـــك خفـــت الله فـــى دمـــاء المســـلمين ، فلـــم تـــرد أن تلـــى أمـــر أمـــة محمـــد وتــراق فــى ســبيل ذلــك محجمــة دم ، كمــا قلــت حــين تنازلــت عــن الخلافــة لمعاويــة ، على الرغم من معارضيك فى ذلك من أهلك وأنصارك المخلصين .

ورأيتـــك ملكـــت الـــدنيا وزهـــدت فيهـــا ، فحققـــت مـــا قـــال بـــه الصـــوفية الـــذين أخــذوا عــن أبيــك المعرفــة ، فقــد قــالوا : لــيس الزهــد أن تتــرك الــدنيا مــن يــدك وهــى فــى قلبــك ، بــل الزهــد ان تتركهــا مــن قلبــك وهــى فــى يــدك ، وهــو مــا كــان منك بفضل الله .

ورأيتـــك تـــدرأ الحـــدود بالشـــبهات ، حـــين شـــكوت إلـــى أخيـــك الامـــام الحســين ، الســم الــذى سُــقيته غــدرا ومــت بــه فقــال لــك أخبرنــى مــن ســقاك ، فقلــت لتقتلــه ، قــال نعــم ، فقلــت مــا أنــا بمخبــرك ، ان يكــن صــاحبى الــذى أظــن ، فــالله أشــد نقمــة ، والا فمــا أحــب أن يقتــل بــى بــرىء ، فكنــت رجــل الســلام مــرة أخــرى فــى مــواطن تغلــى فيــه الصــدور حقــدا وانتقامــا مــن الأعــداء ، فمــا أعظــم الورع .

وليت الغيب انكشف لخصومكم ، فرأوا ماجر عليهم ، وعلى ذراريهم ، وعلى الأمة الاسلامية ، الطمع فى ملك الدنيا ، فكانوا تركوا الحق لأهله ، ولم يردوا على الله يوم القيامة بأوزارهم ، حين تأتونه أنتم خفافا ، لكم لا عليكم .

وقد يظن البعض ، انك خالفت سياسة أبيك ، فجنحت للسلم وحارب أبوك ، ولو دقق الباحث ، لرأى أن أباك كان رجل السلام ، وقد كان ينشده ويحاوله ما وسعه الجهد ، حتى مع الخوارج الذين ضلوا السبيل ، فما قاتل كرم الله وجهه خصومه ، الا بعد أن بصرهم ونصح لهم وأقنعهم ، ولكن الأهواء صمت آذانهم عن سماع الحق ، فلم يجد بدا من حربهم ، استعمالا لحقه ، وصيانة لسلطانه ، ولو أنه كان أراق دماءهم قطرة قطرة ، واستأصل شأفتهم ، ما كان آثما ، وقد أعذر من أنذر .

وكذلك كان أخوك الامام الحسين ، رجل سلام ، ولكن خصومه أكرهوه على القتال دفاعا عن نفسه ، وشرف دينه ، وكرامة أمته ، والتاريخ خير شاهد .

وانك حين سالمت معاوية ، لم تخالف أباك ، ولم تقصد الى مخالفته بل اجتهدت رأيك فى ظرف غير ظرفه ، فقد بان لك غدر أصحابك بيقين ، حين اعتدوا عليك وطعنوك ، ونهبوا عسكرك ، فكيف كنت تقبل أن تكون مأمور وأنت الأمير ، أو أن تكون تابعا وأنت المتبوع ، وإذا كان ابن عمك عبيد الله بن عباس ترك لواءك ، وانحاز لمعاوية ليلا حيث اشترى منه ذمته بالمال ، فقد كان الشراء من غيره أهون على معاوية وأرخص ، وما اصدق أمير المؤمنين عثمان رضى الله عنه حين قال : ان فتنة الدنيا طغت على النفوس طغيانها الذى لا تجدى فيه الحيلة أو المحاولة .

ولقد كان أبوك فى حربه بعد المسالمة مجتهدا ، وكنت أنت فى سلمك بعد الأستعداد للقتال مجتهدا ، وكان أخوك فى قتاله مكرها مجتهدا ، ذلك بأن مواقفكم كلها خلت من الأهواء النفسية والأغراض الدنيويه ، وكنتم تريدون خير الأمة ، وحفظ الدين الذى قام فى بيتكم ، فكان قيامه رحما للعالمين .

وعلى ضدكم ، كان خصومكم ، وانى أقيم الشهادة لله ، فقد تلبسوا بهوى النفوس ، فجانبوا الحق ، وحادوا عن الصراط المستقيم ، ولئن كانت حرمة الصحابة واجبة على كل مسلم ، فحرمة آل البيت اوجب ، خاصة وان الحق كان على الدوام فى جانبهم كما كانوا هم على الدوام فى جانب الحق ، لا شبهة فى ذلك ، وتوضيح الواضحات من المشكلات كما يقولون .

فاذا كانت قريش قد حاجت العرب والأمصار بالنبوة ، فبنو هاشم كانوا أولى من بنى أمية بالخلافة ، لا بالقرابة فحسب ، ولكن بالسبق فى الاسلام ، والسبق فى الجهاد ، ذلك الى العلم والورع ، وهو امر لا يسبقهم فيه سابق ، ولا يلحقهم لاحق ، باعتراف بنى أمية أنفسهم ، ولم ينل أمير المؤمنين عثمان الخلافة على أنه اموى ، بل نالها بسبقه وجهاده وسخائه ، وهى سجايا شخصية له ميزته عن قومه من بنى أمية ، وحين كان عثمان فى السابقين الأولين ، وفى المهاجرين الهجرتين ، كان معاوية وأبوه من ألد أعداء الاسلام .

واذا كان المهاجرين والأنصار واهل بدر ، قد بايعوا الامام على بالخلافة فى المدينة ، فقد كان معاوية فى دمشق ملزما بهذه البيعة ، لأن هؤلاء هم الذين بايعوا أبا بكر وعمر وعثمان ، والتزم معاوية ببيعتهم ، فما باله لم يلتزم ببيعتهم هذه المرة ، وما بال عمرو بن العاص يشاركه الخطيئة فى الخصومة التى قامت على الطلب بدم عثمان ، وكان عمرو من المحرضين على عثمان حتى قال : كنت القى الراعى فأحرضه على عثمان ، وحين علم بقتل عثمان فرح وقال : انا أبو عبد الله ما نكأت قرحة إلا أدميتها ، كما كن عمرو أول من أشار على عثمان باعتزال الخلافة ، وثار فى وجهه وقاطعه على ملأ من الناس وقال له ، اتق الله يا عثمان فقد ركبت أمورا وركبناها معك ، فما تباكى عمرو على عثمان .

واذا كنا مطالبين بحفظ حرمة الصحابة ، فمعاوية وأعوانه من الصحابة ، مطالبون بكف النفس عن الهوى قبل غيرهم من الأجيال التى تليهم ، حتى لقد قال عبد الله بن مسعود رضى الله عنه حين نزل قوله تعالى (منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة) ما كنت أحسب أن أحدا من أصحاب

رسـول الله صـلى الله عليـه وسـلم يريـد الـدنيا حتـى نزلـت هـذه ا لآيـة ، ويقـول العـارفون تعقيبـا علـى قولـه ذلـك : فكـان ابـن مسـعود فـى هـذا المقـام فانيـا عـن الدنيا .

واذا كـان خصـومكم قـد اتخـذوا دم عثمـان ، رضـى الله عنـه ، تكـأة لهـم فـى مـوقفهم مـن أبيـك كـرم الله وجهـه ، فمـاذا صـنعوا هـم لقتلـة عثمـان حـين صـار لهـم الملـك والسـلطان ، ومـا بـالهم لـم يقتصـوا مـن الثـوار، ومـا بـالهم غنمـو ملك الدنيا ، وأرضوا ورثة عثمان بالفتات ، وببعض كلمات .

لقـد خاصـم أبـاك طلحـة والزبيـر ، وعاونتهمـا أم المـؤمنين عائشـة ، رضـوان الله علـيهم ، ولكـنم رجعـوا الـى الحـق بعـد أن تبـين لهـم ، فانسـحب الزبيـر عـن المعركـة ، وجـدد البيعـة لأبيـك طلحـة وهـو يلفـظ أنفاسـه الأخيـرة ، وطلبـت سـيدتنا عائشـة مـن أبيـك المنتصـر فـى واقعـة الجمـل العفـو فعفـا ، ودعـت لـه بـالمغفرة ، وتـردد ذلـك عبـد الله بـن الزبيـر علـى مجلـس أخيـك الحسـين ، يسـمع منـه ، ويأخـذ عنـه ، وكـأن لـم تكـن بيـنكم وبيـنهم خصـومة ، ولا قتـال سابق .

أمـا معاويـة ، فـأبى مـن دونهـم الا كيـدا ونفـورا ، وأعلنهـا حربـا شـعواء صـلى المسـلمون بنارهـا ، فـى صـفين حـين كـان التحكـيم ، وقصـة التحكـيم ، كانـت أخـزى ، علـم الله ، مـن قصـة الحـرب ، فـاتفق أبـو موسـى مـع عمـرو علـى شـىء ، وأعلنـه أبـو موسـى فـى بـراءة ، ونكـث عمـرو فـى خديعـة ، فخلـع عليـا كمـا خلعـه أبـو موسـى ، ولـم يخلـع معاويـة ، كمـا كـان الاتفـاق ، بـل ثبـت معاويـة بغير حق من كتاب أو سنة .

ولـم يكـن معاويـة طالـب خلافـة ، ولـو أنـه حـرص علـى قيـام الخلافـة لـرأى أن أبـاك كـان أحـق بهـا وأهلهـا لكنـه كـان يهـدف الـى ملـك الأكاسـرة والقياصـرة وكـان المجتمـع قـد فـتن بزخـرف الـدنيا ، ولعبـت الأمـوال والمناصـب بأفئـدة النـاس وحـين رأى الملـك قـد اسـتوثق لـه ، ورثـه لابنـه يزيـد مـن بعـده ، فخـرج عـن مبـدأ الشـورى ، وهـو مـن أقـدس حقـوق الأمـة ، كمـا خـرج عمـا شـرطته أنـت عليـه فـى شـروط الصـلح ، أمـا مستشـاره عمـرو فقـد ورثـه معاويـة مصـر وخراجهـا . كما شرط عليه عمرو حين وقف الى جواره يؤازره .

فكيف بالله أجارى من يقول ان معاوية كان مجتهدا ، وهل كان مجتهدا حين أمر ولاته أن يسبوا أباك وأهلك على المنابر علانية على مسمع من الناس وأنتم الذين خلدكم بفضلكم كتاب الله الكريم .

أو كيف أجارى من يقول انه كان مجتهدا ، وقد قتل حجر بن عدى بلا ذنب ، وهو من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأحد المجاهدين فى الفتوحات الاسلامية ، كما قتل أصحاب حجر ، وكان معاوية يندم على قتل حجر ويقول : ما قتلت أحدا الا علمت فيم قتلته الا حجرا ، فأنى لا أعلم فيم قتلته ، وقد خالف معاوية فى قتل ذلك الصحابى ربه ، كما خالف ما شرطته أنت عليه فى الصلح من تأمين أصحابك وأصحاب أبيك .

أو كبف أجارى من يقول انه كان مجتهدا ، وقد ألحق معاوية زيادا بابى سفيان ، وكان لزياد أب معلوم هو عبيد ، والله تعالى يقول : (ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله) .

أو كيف أجارى من يقول انه كان مجتهدا ، وقد أخذ البيعة لابنه يزيد ، نابذا الشورى وراء ظهره مع اشتهار يزيد بفسقه وفجوره ، وكان أخوك الامام الحسين علما خفاقا على ظهر الأرض ، يتمنى الناس امامته ، ولم يكن معاوية يجهل أن استخلاف يزيد فيه خروج عن حدود الله ، وفيه خروج على شروط الصلح ، فقد عرض عليك معاوية أن يكون الأمر لك من بعده ، فأبيت أنت الا أن يكون الأمر شورى بين المسلمين .

ولقد أراد معاوية أن يؤسس ملكا خالدا على الزمن لبنى سفيان ، ولكن قدر الله أن يموت يزيد فى شبابه بعد أعوام أربعة من حكمه بل أقل ، ثم تحول الملك سريعا الى مروان وبنيه ، ولم يكن ذلك ليسر معاوية ، خاصة وأن مروان عارضه معارضة شديدة فى بيعة يزيد وقال له : فأقم الأمر يا ابن أبى سفيان واهدأ من تأميرك الصبيان ، واعلم أن لك فى قومك نظرا وأن لهم على مناوأتك وزرا .

وما كان أقصر الملك فى بنى أمية بعد ذلك فقد انتزع العباسيون ملكهم الى غير رجعة بعد ستين سنة من مقتل الامام الحسين ، وبعد ان كان

عبـد الله بـن الزبيـر انتـزع مـنهم الخلافـة علـى أكثـر بـلاد الاسـلام فـى صـدر دولتهم حتى قاتلوه وغلبوه وقتلوه .

وقـد يسـر امـرى فـى دراسـة موقـف معاويـة بعـض اهلـه مـن الأمـويين المنصـفين ، فقـد ابطـل بدعـة السـب علـى المنـابر ، اميـر المـؤمنين الأمـوى عمـر بـن عبد العزيز رضى الله عنه فكان عمله هذا شهادة ضد معاوية فى باطله .

وحـين تنـازل معاويـة الثـانى بـن يزيـد عـن الخلافـة (التـى بقـى فيهـا أربعـين يومـا بعـد مـوت أبيـه) خطـب خطبـة زلـزل بهـا دولـة بنـى أميـة ومكـن لخلافـة عبـد الله بـن الزبيـر ، وقـال معاويـة الثـانى فـى تلـك الخطبـة يكشـف عـن معاويـة الأول و يزيد :

(أيهـا النـاس ، ان جـدى معاويـة ، نـازع الأمـر اهلـه ، ومـن هـو احـق بـه منـه ، لقرابتـه مـن رسـول الله صـلى الله عليـه وسـلم ، وهـو علـى بـن أبـى طالـب ، وركـب بكـم مـا تعلمـون ، حتـى أتتـه منيتـه ، فصـار فـى قبـره رهينـا بذنوبـه ، وأسـيرا بخطايـاه ، ثـم قلـد أبـى الأمـر فكـان غيـر أهـل لـذلك ، وركـب هـواه واخلفـه الأمـل ، وقصـر عنـه الأجـل ، وصـار فـى قبـره رهينـا بذنوبـه ، وأسـيرا بجرمـه ، وان مـن أعظـم الأمـور علينـا لسـوء مصـرعه وبـئس منقلبـه ، وقـد قتـل عتـرة رسـول الله صـلى الله عليـه وسـلم ، وأبـاح الحـرم ، وخـرب الكعبـة ومـا أنا بالمتقلد ولا بالمتحمل تبعاتكم – فشأنكم أمركم) .

وتلـك شـهادة أخـرى علـى معاويـة الأول مـن حفيـده ، فـان طعنـوا فـى شهادتنا نحن الآخرين ، فتلك شهادة أهله الأولين .

أمـا عمـرو بـن العـاص ، فقـد عـاون معاويـة ، وعـادى أهـل البيـت ، وشـهد بنفسـه علـى نفسـه ، وهـو يحتضـر ، فنـدم علـى مـا فـرط منـه ، فقـد روى عنـه ابـن عبـاس رضـى الله عنهمـا أنـه حـين احتضـر قـال : اللهـم خـذ منـى حتـى ترضـى ، اللهـم أمـرت فعصـينا ، ونهيـت فركبنـا ، فـلا بـرىء فأعتـذر ، ولا قـوى فانتصـر ، ولكن لا اله الا الله ، يقول ابن عباس فجعل يرددها حتى فاض .

وانـى أقـول بعـد أن سـردت كارهـا لمعاويـة وعمـرو تلـك المسـاوىء كمـا نقلهـا ثقـاة المـؤرخين : ربنـا اغفـر لنـا ولاخواننـا الـذين سـبقونا بالايمـان ، ولا تجعل فى قلوبنا غلا للذين آمنوا ، ربنا انك رءوف رحيم .

أيها السبط الكريم :

ان كـان مـا وقـع لكـم مـن الـدنيا وأهلهـا ، يحيـر الألبـاب ، لكننـا أخـذنا عـنكم الرضـا بالمقـدور ، وإن كـان مـرا ، فـذلك مـن علامـات اليقـين بـالله ، ولقـد قـال أخوك الامام الحسين : فإذا أراد ما نكره فيما يحب رضينا .

كمـا أخـذنا عـنكم أن أفعـال الله كلهـا حسـنة ، وان خالفـت هوانـا ، لأن حكمـة الله دقـت فخفيـت عـن العقـول ، هـذا فـى بـاطن الأمـر ، أمـا فـى ظـاهره ، فقـد علـل تلميـذك وابـن اخيـك الامـام علـى زيـن العابـدين مـا وقـع لكـم خيـر تعليـل حين قال :

عتبت على الدنيا فقلت الى متى أكابدهما بؤسه ليس ينجلى

أكل شريف من على نجاره حرام عليه العيش غير محلل

فقالت نعم يا ابن الحسين رميتكم بسهمى عناد منذ طلقنى على

فأشـار الـى مـا كـان قالـه أبـوك أميـر المـؤمنين علـى كـرم الله وجهـه وهـو يخاطـب الـدنيا : اليـك عنـى يادنيـا ، الـى تعرضـت ، أم الـى تشـوقت ، هيهـات غرى غيرى ، لقد طلقتك ثلاثا لا رجعة فيها .

أيها السبط الكريم :

لقـد خفـت الله فـى دمـاء المسـلمين ، فحفظـت دمـاء خصـومك ، كمـا حفظـت دمـاء انصـارك ، وصـالحت معاويـة ، وتنازلـت لـه عـن خلافـة كانـت فـى يـدك ببيعـة شـرعية ، فهـل خـافوا الله فـى دمائـك ، كـلا والله بـل خـانوا وا خـافوا ، فامـاتوك مسـموما ، فمـا أبعـد المـدى بينـك وبيـنهم ، حـين حرصـوا علـى دنيـا سـرعان ما زالت عنهم ، وحرصت انت على اخرى تدوم ولا تزول .

ايهـا السبط الكـريم : كـذلك حرصـت ، وأنـت تلفـظ أنفاسـك الأخيـرة ، علـى السـلام والوئـام ، كعهـدك دائمـا ، فأوصـيت اخـاك الامـام الحسـين إن يـدفنك الـى جنـب جـدك المصـطفى صـلى الله عليـه وسـلم ، فـان ابـوا فـلا يقـاتلهم ، وليـدفنك الـى جنـب أمك السيدة الزهراء ، فالى جنة الخلد ورضوان من الله أكبر .

وأشهد بالله أن المعتدين عليكم ، والسافكين دماءكم الزكية ، قد اسرفوعلى انفسهم ، وجاوزوا الحد فى السرف ، فباعوا الدين بالدنيا واستبدلواالذى هو ادنى بالذى هو خير ، ولقد صدق ابراهيم النجفى حين كان يقول : لو كنت قاتل الحسين ثم دخلت الجنة لاستحييت أن انظر الى وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ولـئن كـان ابـن عبـاس رضـى الله عنهمـا قـال : اول ذل دخـل علـى العـرب هـو مـوت الحسـن ، فقـد قـال زيـد بـن ارقـم رضـى الله عنـه بعـد ذلـك عنـدما جـىء بـرأس أخيـك الامـام الحسـين الـى اللعـين ابـن زيـاد : انـتم يـا معشـر العـرب العبيـد بعـد اليـوم ، قتلـتم ابـن فاطمـة وأمـرتم ابـن مرجانـة ، فهـو يقتـل خيـاركم ويسـتعمل شراركم .

سيدى السبط الكريم :

حقـا لقـد فقـد المسـلمون بفقـدكما امـامين كـان منهمـا فـى زمانـه وحيـد نسـجه ، وأحـب أهـل الأرض الـى اهـل السـماء ، وكفـى بهـا خسـارة يجـل عنهـا العـزاء ، الا يأتينـا مـن يقيـنكم ونـوركم وبلاغـتكم مـن مثـل مـا قالـه أخـوك الامـام الحسـين مواسـيا اختـك الطـاهرة السـيدة زينـب رضـى الله عنـه حـين راى هلعها فى واقعة كربلاء المشئومة حيث قال لها :

اتـق الله ، وتعـزى بعـزاء الله ، واعلمـى أن أهـل الأرض يموتـون ، وأهـل السـماء لا يبقـون ، وان كـل شـىء هالـك الا وجـه الله ، أبـى خيـر منـى ، وأمـى خيـر منـى ، وأخـى خيـر منـى ، ولـى ولكـل مسـلم برسـول الله صـلى الله عليـه وسلم أسوة .

سيدى السبط الكريم :

لـئن عجـز بيـانى عـن الوفـاء بحقـك فـى هـذا الكتيـب ، فلتغفـر لسـميك وتابعـك عجـزه ، ورحـم الله أبـوى فقـد سـميانى باسـمك ، فاسـعدانى بذمـة صـارت لـى منـك ومـن سـيدى رسـول الله صـلى الله عليـه وسـلم ، ومـا أهنـأنى بهـا ، كمـا أنـى كـذلك محـب لسـادتى آل البيـت الكـرام وأقـول مـا قـال أسـتاذى العارف بالله الشيخ على عقل فى الهامه المشرق من كلام طويل .

ومهما ألام على حبهم فلست الفتى خائف اللائمه
اذا مس نفسى فتور المعاصى بذكرهمو أصبحت هائمه
فيا عاذرى ثم يا عاذلى سواء رضاك أو اللأئمه
فقل ما تشاء وكن ما تشاء فانى أحب بنى فاطمه

والسلام عليك ، أيها الخليفة الخامس ، فى الخلفاء الراشدين ، وفى أمراء المؤمنين ، والتحيات الطيبات لك فى عليين ، ورحمة الله وبركاته عليكم اهل البيت انه حميد مجيد .

والى كل محب لسادتى آل البيت الكرام ، وناصر للحق واهله . اقدم الكتيب ، طامعا فى دعوة صالحة من كل قارئ وقارئة ، وراجيا أن ينفع الله به ، وما توفيقى الا بالله عليه توكلت واليه أنيب .

المؤلف

حسن الملطاوى

البـــاب الأول
تاريخه الشخصى

* نسبه
* جهاده
* علمـه
* أسرته

نسبه الشريف رضى الله عنه :

هــو أميــر المــؤمنين الامــام ابــو محمــد الحســن الســبط خــامس الخلفــاء الراشــدين رضــى الله عنــه ، وأبـوه اميـر المـؤمنين علـى بـن ابـى طالـب رابـع الخلفـاء الراشــدين كــرم الله وجهــه ، وامــه الســيدة فاطمــة الزهــراء بنــت مولانــا رســول الله صلى الله عليه وسلم ، وهى سيدة نساء العالمين طرا .

قالــت أم الفضــل : يــا رســول الله رأيــت كــأن عضــوا مــن أعضــائك فــى بيتــى ، قــال رأيـت خيـرا ، تلـد فاطمـة غلامـا فترضـعيه بلـبن قـثم ، فولـدت الحسـن فأرضـعته بلبن ابنها قثم ٠

(وأم الفضــل هــى الســيدة لبابــة بنــت الحــارث الهلاليــة أول امــرأة أســلمت بعـد السـيدة خديجـة بمكـة ، وهـى زوج سـيدنا العبـاس بـن عبـد المطلـب ، يقـال لهــا لبابــة الكبــرى ، أخــت الســيدة ميمونــة أم المــؤمنين ، وخالــة ســيدنا خالــد بــن الوليــد ، وكــان النبــى صــلى الله عليــه وســلم يزورهــا ، ويُقَيِــل عنــدها ، وكانــت من المنجبات ، ولدت للعباس ستة رجال ، أحدهم القثم) ٠

وقــد شــرفه جــده المصــطفى صــلى الله عليــه وســلم ، كمــا شــرف أخــاه الامــام أبــا عبــد الله الحســين الســبط بــأن نســبهما اليــه بــالنبوة ، وان كانــا مــن صــلب على كرم الله وجهه ٠

روى الترمــذى مــن حــديث أســامة بــن زيــد قــال : طرقــت النبــى صــلى الله عليــه وســلم فــى بعــض الحاجــة فقــال : هــذان ابنــاى وابنــا ابنتــى ، اللهــم انــى أحبهما ، فأحبهما وأحب من يحبهما ٠

لــذلك يقــال لكــل مــن الســبطين الحســن والحســين : يــا ابــن المصــطفى ، وكانــا رضــوان الله عليهمــا يعتــزان بأبوتــه صــلى الله عليــه وســلم ويهتفــان بــه فيقــول كــل منهمـا لـه صـلى الله عليـه وسـلم (يـا أبـت) فـاذا هتـف الحسـن بأبيـه علـى قـال لـه : يـا أبـا الحسـين : واذا هتـف الحسـين بأبيـه قـال لـه : يـا أبـا الحسـن ، فلمـا انتقـل جـدهما صـلى الله عليـه وسـلم الـى الرفيـق الأعـلا كانـا يقـولان لأبيهمـا (يـا أبـت) ٠ كمــا روى عنــه صــلى الله عليــه وســلم مــن وجــوه أنــه قــال فــى الحســن والحسين : انهما سيدا شباب أهل الجنة ، لذلك كانت أمهما تناديهما فتقول :

يا حسنان مرة ويا حسينان مرة أخرى ، من باب المزج التغليب ، ورضى الله عنهم أجمعين .

الامام على كرم الله وجهه :

ولد الامام على في الكعبة يوم الجمعة الثالث من رجب سنة ٣٠ من عام الفيل ، وتوفى شهيدا قبل فجر ليلة الجمعة ٢١ من رمضان سنة ٤٠ هـ وهو ابن ثلاث وستين .

وفضائله كرم الله وجهه فى الاسلام أشهر من أن تذكر وكفاه شرفا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قام خطيبا فى الناس وكانوا قد شكوا اليه عليا فقال : (أيها الناس لا تشكوا عليا ، فوالله انه لجيش فى ذات الله) . وحين آخى النبى صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين والأنصار قال له : (أنت أخى) وياله من شرف كبير .

وقد خلفه رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أهل بيته فى المدينة حين خرج صلى الله عليه وسلم الى غزوة تبوك ، فبكى كرم الله وجهه وقال يا رسول الله تخلفنى على النساء والصبيان ، لأنه كان يشتاق للجهاد فى سبيل الله فيقاتل أعداء الله ، فطيب صلى الله عليه وسلم خاطره وقال له :

أما ترضى أن تكون منى بمنزلة هارون من موسى الا أنه لا نبى بعدى .

وفى خيبر قال صلى الله عليه وسلم : لأعطين الراية غدا رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله ، فتطاول لها الصحابة ، حتى قال عمر رضى الله عنه ، ما أحببت الا مارة الا ذلك اليوم ، فقال صلى الله عليه وسلم : ادعوا لى عليا ، فأتاه وبه رمد ، فبصق فى عينيه ، ودفع الراية اليه ، ففتح الله عليه .

وروى أبو بكر الانبارى فى أماليه ، ان عليا عليه السلام جلس الى عمر فى المسجد ، وعنده ناس ، فلما قام عرض واحد بذكره ، ونسبه الى

التيه والعجب ـ فقال عمر : حق لمثله أن يتيه والله لولا سيفه ، لما قام عمود الاسلام ، وهو بعد أقضى الأمة وذو سابقتها وذو شرفها ٠

وقد كان عبدالله بن عباس تلميذا لامامنا على كرم الله وجهه ، وعرف ابن عباس بالتبحر فى العلم حتى وصف بأنه (حبر الأمة وترجمان القرآن) ، ولما سئل ابن عباس : أين علمك من علم ابن عمك ، قال كنسبة قطرة من المطر الى البحر المحيط٠

وقد قال له عمر رضى الله عنه : لا ابقانى الله بأرض لست بها يا أبا الحسن ، كما قال : لولا على لهلك عمر ٠

وقد قال أبو عبيدة رضى الله عنه ، ارتجز الامام على بن أبى طالب كرم الله وجهه تسع كلمات قطع الأطماع عن الالتحاق بواحدة منهن ، ثلاث فى المناجاة وثلاث فى العلم وثلاث فىالادب٠

فأما التى فى المناجاة فهى قوله : كفانى عزا أن تكون لى ربا ، وكفى بى فخرا أن أكون لك عبدا ، أنت لى كما أحب ، فوفقنى لما تحب ٠

وأما التى فى العلم فهى قوله : المرء مخبوء تحت لسانه ، فتكلموا تعرفوا ، ما ضاع امرؤ عرف قدره ٠

وأما التى فى الأدب فهى قوله أنعم على من شئت تكن أميره ، واستغن عمن شئت تكن نظيره ، واحتج الى من شئت تكن أسيره ٠

وروى أبو الفرج فى كتاب الأغانى أن ابن عباس سمع قصيدة لعمر بن أبى ربيعة مرة واحدة فحفظها وأعادها وما سمعها قط الا تلك المرة صفحا (أى مرورا) ثم أنشدها من آخرها الى أولها مقلوبة فقال له بعضهم ما رأيت أذكى منك قط فقال لكننى ما رأيت قط أذكى من على بن أبى طالب عليه السلام ٠

ولا يفوتك أن الامام عليا كرم الله وجهه ، تربى من طفولته فى حجر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فشملته بركاته من الصبا ، واستمع الى ما يقوله ابن أبى حديد فى شرح نهج البلاغة فى مناقب امامنا على كرم الله وجهه :

(اجتمــــع لعلــــى بــــن أبــــى طالــــب مــــن صــــفات الكمــــال ، ومحمــــود الشــمائل والخــلال ، وســناء الحســب ، وبــاذخ الشــرف ، مــع الفطــرة النقيــة ، والنفس المرضية ، ما لم يتهيأ لغيره من أفذاذ الرجال ٠

(تحــدر مــن أكــرم المناســب ، وانتمــى الــى أطيــب الأعــراق ، فــأبوه ، أبــو طالــب ، عظــيم المشــيخة مــن قــريش ، وجــده عبــد المطلــب ، أميــر مكــة ، وســيد البطحــاء ، ثــم هــو قبــل ذلــك مــن هامــات بنــى هاشــم وأعيــانهم وبنــو هاشــم كــانوا ، كمــا وصــفهم الجــاحظ (ملــح الأرض) وزينــة الــدنيا وحلــى العــالم ، والســنام الأضــخم ، والكاهــل الأعظــم ، ولبــاب كــل جــوهر كــريم ، وســر كــل عنصــر شــريف ، والطينــة البيضــاء ، والمغــرس المبــارك ، والنصــاب الوثيــق ، ومعدن الفهم ، وينبوع العلم ٠

(وأخــتص بقرابتــه القريبــة مــن الرســول عليــه الصــلاة والســلام ، فكــان ابــن عمــه ، وزوج ابنتــه وأحــب عترتــه اليــه ، كمــا كــان كاتــب وحيــه ، وأقــرب الناس الى فصاحته وبلاغته ، وأحفظهم لقوله و جوامع كلمه)٠

(إسـلم علــى يديــه صــبيا ، قبــل أن يمــس قلبــه عقيــدة ســابقة ، او يخــالط عقلــه شــوب مــن شــرك مــوروث ، ولازمــه فتيــا يافعــا ، فــى غــدوه ورواحــه ، وســلمه وحربــه ، حتــى تخلــق بأخلاقــه ، واتســم بصــفاته ، وفقــه عنــه الــدين ، وثقــف مــا نــزل بــه الــروح الأمــين ، فكــان مــن أفقــه أصــحابه واقضــاهم وأحفظهــم واوعــاهم ، وادقهــم فــى الفتيــا ، وأقــربهم الــى الصــواب ، وحتــى قــال فيــه عمــر : لا بقيت لمعضلة ليس لها أبو الحسن) .

(وكانــت حياتــه كلهــا مفعمــة بالأحــداث ، مليئــة بجلائــل الأمــور ، فعلــى عهــد الرســول عليــه الســلام ، ناضــل المشــركين واليهــود ، فكــان فــارس الحلبــة ومســعر الميــدان ، صــليب النبــع جميــع الفــؤاد . . وفــى أيــام خلافتــه كانــت لــه أحــداث أخــرى ، لقــى فيهــا مــا لقــى مــن تفــرق الكلمــة ، واخــتلاف الجماعــة وانفصــام العروة ، ما طوى أضالعه على الهم والأسى ، ولاع قلبه بالحزن والشجن .

وفــى كــل مــا لقــى مــن أحــداث وأمــور ، ومــا صــادف مــن محــن وخطــوب ، بلــى النــاس وخبــرهم ، وتفطــن لمطــاوى نفوســهم ، واستشــف مــا وراء مظاهرهم ، فكان العالم المجرب الحكيم ، والناقد الصيرفى الخبير .

(وكان لطيف الحس ، نقى الجوهر ، وضاء النفس ، سليم الذوق . مستقيم الراى ، حسن الطريقة ، سريع البديهة ، حاضر الخاطر ، حولا قلبا ، عارفا بمهمات الأمور اصدارا وايرادا .

بل كان كما وصفه الحسن البصرى : (سهما صائبا من مرامى الله على عدوه ، وربانى هذه الأمة ، وذا فضلها وسابقتها ، وذا قرابتها من رسول الله صلى الله عليه وسلم . لم يكن بالنئومة عن أمر الله ، ولا بالملومة فى دين الله ، ولا بالسروقة لمال الله ، أعطى القرآن عزائمه ، ففاز منه برياض مونقة ، واعلام مشرقة ، ذاك على بن أبى طالب) .

هذا ، وقد كان امامنا على كرم الله وجهه ، أول هاشمى من أبوين هاشميين ، فاجتمعت له صفات بنى هاشم التى اشتهروا بها مثل الشجاعة ، والكرم ، والوفاء ، والمروءة ، والذكاء والعفة والترفع عن الدنايا ، ذلك الى القوة الجسدية التى ميزتهم واختص بها كثير من رجالاتهم ، وأبرزهم امامنا على وأبناؤه ، وخص الى جانب تلك الصفات بنفح الهى ، والهام قدسى فتفجرت من قلبه عيون العلم والحكمة فى بلاغة رائعة ، وبيان محكم ويعده العارفون امامهم الذى يأخذون عنه حتى قال سيد الصوفية فى القرن الثالث الامام أبو القاسم الجنيد رضى الله عنه فى شأنه : لو لم تشغله الحروب لأفادنا فى علمنا هذا معانى جليلة ذاك امرؤ أعطى علم اللدنى .

وكان امامنا على كرم الله وجهه أصغرأخوته ، وأكبر منه جعفر وعقيل وطالب ، وبين كل منهم وأخيه عشر سنين ، ولما أصاب القحط قريشا ، أهاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بعميه حمزة والعباس أن يخففوا عن أبى طالب عبأه ، فأخذ صلى الله عليه وسلم عليا ، وأخذ العباس طالبا ، وأخذ حمزة جعفرا .

ومن شعر امامنا على الذى يتحدث فيه بنعمة الله عليه قوله :

محمد النبى أخى وصهرى ... وحمزة سيد الشهداء عمى
وجعفر الذى يمسى ويضحى ... يطير مع الملائكة ابن أمى
وبنت محمد سكنى وعرسى ... مشوب لحمها بدمى ولحمى

وسبطا أحمد ابناى منها فمن منكم له سهم كسهمى
سبقتكمو الى الاسلام طرا صغيرا ما بلغت أوان حلمى
وصليت الصلاة وكنت فردا فمن منكم له يوم كيومى

وقد ظل كرم الله وجهه حافظا لبنيانه المكين الذى كان له فى شبابه حتى ناهز الستين ، حتى انه كان يمسك بذراع الرجل فكأنه أمسك بنفسه فلا يستطيع أن يتنفس ، واشتهر عنه أنه لم يصارع أحدا الا صرعه ، ولم يبارز أحد الا قتله ، وقد يزحزح الحجر الضخم لا يزحزحه الا رجال ، ويحمل الباب الكبير فيعيى بقلبه الأشداء ، وقد عجب الصحابة من أنه رفع باب الحصن فى خيبر بيد واحدة فشق على عشرات منهم أن يرفعوه جماعة ، فكلموه فى ذلك فابتسم وقال : انما هو عون الله ومدده ، وكذلك كان يصيح الصيحة فتنخلع لها قلوب الشجعان .

ولقد قتل فى موقعة الخندق ، عمرو بن ود ، فارس شبه الجزيرة العربية ، الذى قدره اصحابه واعداؤه بالف رجل ، فكانت اخت عمرو تواسى نفسها وتقول :

لو كان قاتل عمرو غير قاتله بكيته أبدا ما دمت فى الأبد
لكن قاتله من لا نظير له وكان يدعى ابوه بيضة البلد

وكان امامنا على فى واقعة الخندق فتى ناشئا ، فكانت شجاعته من أندر الشجاعات التى عرفها التاريخ ، وفى فتح مكة استجار رجلان بأخته أم هانىء فأجارتهما ، ودخل دارها أخوها على ليقتلهما ، فقالت له انى قد أجرتهما ، فهم بقتلهما لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان أهدر دمهما ، فأمسكت بيده وهو قابض سيفه فلم يستطع أن يفك يده منها الا بعد أن أفلت منه الرجلان هاربين ، فذهبت تشكو أخاها لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وسمع شكواها امامنا على وهو يضحك ، فقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، يا رسول الله لقد قبضت على يدى فلم استطع منها فكاكا حتى افلت الرجلان فقال صلى الله عليه وسلم مطيبا خاطرها ، قد أجرنا من أجرت يا ام هانىء ، ثم قال لامامنا على : لا سبيل لك عليهما ، وعقب صلى الله عليه وسلم : لو ولد الناس كلهم أبو طالب لكانوا شجعانا .

السيدة فاطمة الزهراء رضى الله عنها :

كانت السيدة فاطمة رضوان الله عليها أثيرة عند أبيها المصطفى صلى الله عليه وسلم ، فكانت أحب بناته اليه ، ولقبت بالزهراء ، وولدت والكعبة تبنى ، والنبى صلى الله عليه وسلم ابن خمس وثلاثين ، وقد توفيت بعد أبيها بستة أشهر وكانت فى الثلاثين من عمرها ، وذلك ليلة الثلاثاء لثلاث خلون من شهر رمضان سنة عشرة من الهجرة .
وجاء فى الصحاح عن المسور بن مخرمة ، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر يقول : (فاطمة بضعة منى ، يريبنى ماترابها ويؤذينى ما آذاها) .

وعن على كرم الله وجهه ، قال صلى الله عليه وسلم لفاطمة ، (ان الله يرضى لرضاك ويغضب لغضبك) .

وحدثت السيدة عائشة رضى الله عنها قالت : أقبلت فاطمة تمشى كأن مشيتها مشية رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : مرحبا بابنتى ، ثم أجلسها عن يمينه فأسر اليها حديثا فبكت ، ثم أسر اليها حديثا فضحكت ، فقلت ما رأيت كاليوم فرحا اقرب من حزن ، فسألتها عما قال ، فقالت ما كنت لأفشى سر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما قبض سألتها ، فأخبرتنى أنه أسر الى فقال ان جبريل كان يعارضنى بالقرآن فى كل سنة مرة ، وانه عارضنى العام مرتين ، وما أراه الا وقد حضر أجلى ، وانك أول أهلى لحوقا بى ، ونعم السلف أنا لك فبكيت ، فقال ألا ترضين أن تكونى سيدة نساء العالمين فضحكت .

أقول : ولا يتعارض ذلك مع قول الملائكة لمريم عليها السلام (ان الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين) ، فان مريم عليها السلام كانت مصطفاة على نساء العالمين فى زمانها ، واما سيدتنا الزهراء فمصطفاه على نساء العالمين جميعهن ، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ٠

وكان صلى الله عليه وسلم ، اذا قدم من سفر قبل ابنته فاطمة ، وكان صلى الله عليه وسلم يأتى الى باب فاطمة بعد زواجها من الامام على ، فيأخذ

بعضـادتى البـاب ، ويقـول السـلام علـيكم أهـل البيـت ، الصـلاة ، الصـلاة ، انمـا يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا ٠

وكـان صـلى الله عليـه وسـلم ، اذا قـدم مـن السـفر ، بـدأ بالمسـجد ، فصـلى فيه ركعتين ، ثم ثنى ببيت فاطمة رضى الله عنها ، ثم يأتى بيوت نسائه ٠

وقـد تـزوج بهـا الامـام علـى فـى أول محـرم سـنة سـنتين ، وكـان قـد خطبهـا أبـو بكـر وعمـر فلـم يجبهمـا رسـول الله صـلى الله عليـه وسـلم فقـال عمـر : أنـت لهـا يـاعلى ، فقـال مـالى مـن شـىء الا درعـى أرهنهـا فزوجهـا رسـول الله صـلى الله عليـه وسـلم لعلـى ، فلمـا بلـغ ذلـك فاطمـة بكـت ، فـدخل عليهـا رسـول الله صـلى الله عليـه وسـلم فقـال مالـك تبكـين يافاطمـة ، فـوالله لقـد أنكحتـك أكثـرهم علمـا ، وافضـلهم حلمـا ، واولهـم سـلما ، وفـى روايـة أخـرى قـال لهـا زوجـك الله ورسـوله فطاب خاطرها لأن زواجها كان بوحى الله تعالى .

والـى زواجهـا بـوحى مـن الله يشـير العـارف بـالله سـيدى الشـيخ أحمـد الحلـوانى (والـد شـيخى العـارف بـالله سـيدى عبـد السـلام الحلـوانى) رضـى الله عنهما ، قصيدة طويلة وطريفة فى مدح آل البيت رضى الله عنهم فيقول :

أتى الوحى أن تجلى عروسا لحيدر	فيا شرفا أضحى به الكون مفترا
ليهن بنيه المجد نظم هكذا	نبالهدى فاطرب وحيدر والزهرا

أقـول ، وقـد كانـت أم امامنـا علـى – وهـى السـيدة فاطمـة بنـت أسـد بـن هاشـم بـن عبـد منـاف التـى كفنهـا رسـول الله صـلى الله عليـه وسـلم فـى قميصـه رضـى الله عنهـا ، سـمته حـين وضـعته حيـدرة والحيـدرة هـو الأسـد ليكـون اسمه مشابها لاسم أبيها ، فسماه أبوه (عليا) وبه اشتهر .

وقـد حـدثت أم رافـع عـن وفـاة السـيدة فاطمـة الزهـراء فقالـت ، مرضـت فاطمـة ، فلمـا كـان اليـوم الـذى توفيـت فيـه قالـت لـى يـا أمـه ، اسـكبى لـى غسـلا ، فاغتسلت كأحسن مـا كانـت تغتسـل ، ثـم لبسـت ثيابـا لهـا جـددا ، ثـم قالـت اجعلـى فراشـى وسـط البيـت ، فاضـطجعت عليـه ، واسـتقبلت القبلـه ، وقالـت يـا أمـه انـى مقبوضـة السـاعة ، وقـد اغتسـلت فـلا يكشـفن لـى أحـد كنفـا فماتـت ، فجـاء علـى ، فأخبرته فاحتملها ودفنها بغسلها ذلك .

وقـــد حـــزن كـــرم الله وجهـــه لفقـــدها حزنـــا شـــديدا ، وقـــال فيمـــا عـــزى بـــه نفسه .

وان افتقادى فاطما بعد احمد دليل علـى الا يدوم خليل

ولا غرابـــة فيمـــا أكرمـــت بـــه عنـــد وفاتهـــا ، فهـــى صـــفية رســـول الله صـــلى الله عليـــه وســـلم ، وهـــى أم الأئمـــة فـــى هـــذه الأمـــة ، وهـــى بنـــت أم المـــؤمنين الســـيدة خديجـــة التـــى أقرأهـــا الله الســـلام ، والاســـعاد اعطـــاء ، كمـــا قـــال العـــارفين مـــن العلماء

وقـــد ســـئلت الســـيدة عائشـــة رضـــى الله عنهـــا ، أى النـــاس أحـــب الـــى رســـول الله صـــلى الله عليـــه وســـلم قالـــت فاطمـــة ، فقيـــل مـــن الرجـــال ، قالـــت زوجهـــا ، ان كان ما علمت صواما قواما .

وعـــن أبـــى بكـــر الصـــديق رضـــى الله عنـــه قـــال : رايـــت رســـول الله صـــلى الله عليـــه وســـلم خـــيم خيمـــة ، وهـــو متكـــىء علـــى قـــوس عربيـــة ، وفـــى الخيمـــة علـــى وفاطمـــة والحســـن والحســـين فقـــال : (معشـــر المســـلمين انـــا ســـلم لمـــن ســـالم أهـــل الخيمـــة ، حـــرب لمـــن حـــاربهم ، ولـــى لمـــن والهـــم ، لا يحـــبهم الا ســـعيد الجـــد طيب المولد ، ولا يبغضهم الا شقى الجد ردىء الولادة) .

وفـــى هـــذه المناســـبة ، نهـــدى الســـادة القـــراء القصـــيدة التـــى جـــادت بهـــا قريحـــة الشـــاعر المســـلم العبقـــرى الســـيد محمـــد اقبـــال شـــاعر الباكســـتان العظـــيم ، فـــى الســـيدة الزهـــراء وآلهـــا وقـــد ترجمهـــا مـــن الفارســـية الـــى العربيـــة صـــديقى العلامـــة الشيخ الصاوى شعلان :

نسب المسـيح بنى لمـريم سيرة بقيت على طول المدى ذكراها

والمجد يشرق من ثلاث مطـالع فى مهد فاطمة فما أعلاها

هى بنت من ، هى زوج من ، هى أم من منذا يدانى فى الفخار أباها

هى ومضـة من نور عين المصطفى هادى الشعوب اذا تروم هداها

هو رحمة للعالمين وكعبـة الـ آمال فى الدنيـا وفى أخراها

مـن أيقظ الفطر النيام بـروحه وكأنه بعد البـلى أحياهـا

وأعـاد تاريخ الحياة جديـدة مثل العرائس فى جديد حلاها

ولزوج فاطمة بسـورة هل أتى تـاج يفـوق الشمس عند ضحاها

أسد بحصن الله يرمى المشكلا ت بصقيا يمحو سطور دجاها
أيوانه كوخ وكنز ثرائه سيف غدا بيمينه تياها
فى روض فاطمة نما غصنان لم ينجبهما فى النيرات سواها
فأمير قافلة الجهاد وقطب دا ئرة الوئام والاتحاد ابناها
حسن الذى صان الجماعة بعدما أمسى تفرقها يحل عراها
ترك الامامة ثم أصبح فى الديا ر امام ألفتها وحسن علاها
وحسين فى الابرار والاحرار ما أزكى شمائله وما أنداهـا
فتعلموا رى اليقين من الحسين اذا الحوادث أظلمت بدجاها
وتعلموا حرية الايمان من صبر الحسين وقد أجاب نداها الأمهات
يلدن للشمس الضياء وللجواهر حسنها وصفاها
ما سيرة الابناء الا الامها ت فهم اذا بلغوا الرقى صداها

* * *

هى أسوة للأمهات وقدوة يترسم القمر المنير خطاها لما
شكا المحتاج خلف رحابها رقت لتلك النفس فى شكواها
جادت لتنقذه برهن خمارها يا سحب أين نداك من جدواها
نور تهاب النار قدس جلاله ومنى الكواكب ان تنال ضياها جعلت
من الصبر الجميل غذاءها ورأت رضا الزوج الكريم رضاها

* * *

فمها يردد آى ربك بينما يدها تدب على الشعير رحاها
بلت وسادتها لآلىء دمعها من طول خشيتها ومن تقواها
جبريل نحو العرش يرفع دمعها كالطل يروى فى الجنان رباها
لولا وقوفى عند أمر المصطفى وحدود شرعته ونحن فداها
لمضيت للتطواف حول ضريحها وغمرت بالقبلات طيب ثراها

مولد الامام الحسن رضى الله عنه :

روى ابن حديد بسنده فى شرح نهج البلاغة ، ان الامام الحسن عليه السلام ولد للنصف الأول من شهر رمضان سنة ثلاث من الهجرة ، وسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم (حسنا) .

وروى الامـــام أحمـــد بســـنده عـــن علـــى كـــرم الله وجهـــه ، قـــال لمـــا ولـــد الحســـن سميته (حربا) فجاء رسول الله صلى الله عليه و سلم فقال أرونى ابنى ما سميتموه ، قال : قلت (حربا) قال بل هو (حسن) فلما ولد الحسين سميته حربا فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أرونى ابنى ما سميتوه قلت (حربا) قال : بل هو (حسين) فلما ولد الثالث سميته (حربا) فجاء النبى صلى
الله عليـــه وســـلم فقـــال أرونـــى ابنـــى مـــا ســـميتموه ، قلـــت (حربـــا) قـــال بـــل هـــو (محســـن) ثـــم قـــال ســـميتهم بأســـماء ولـــد هـــارون شـــبر شـــبير مشـــبر .
وروى ذلـــك الحـــديث ابـــن الاثيـــر فـــى أســـد الغابـــة فـــى ترجمـــة الحســـين ، كمـــا رواه الامـــام أحمـــد الا أســـماء ولـــد هـــارون ، ثـــم قـــال وعـــن عمـــران بـــن ســـليمان قال الحسن والحسين من أسماء اهل الجنة ، لم يكونا فى الجاهلية .
وقـــد جـــاء فـــى الحـــديث الشـــريف : (ان الله جعـــل ذريـــة كـــل نبـــى فـــى صـــلبه ، وجعل ذريتى فى صلب على) .

يوم سابعه رضى الله عنه :

عـــن جـــابر أن النبـــى صـــلى الله عليـــه وســـلم عـــق عـــن الحســـن والحســـين وختنهمـــا لســـبعة أيـــام ، والعقيقـــة ذبيحـــة تـــذبح لـــيطعم منهـــا الفقـــراء شـــكرا لله تعالى الذى وهب المولود .
وروى جعفـــر بـــن محمـــد عليـــه الســـلام ، ان فاطمـــة عليهـــا الســـلام حلقـــت حسنا وحسينا يوم سابعهما ، ووزنت شعرهما فتصدقت بوزنه فضة .
وكانت السيدة الزهراء ترقص الحسن وتقول فى طرب :

أشبه أباك يا حسن ... واخلع عن الحق الرسن
واعبد الها ذا منن ... ولا توال ذا الاحن

شكله رضى الله عنه :

روى البخـــارى عـــن عقبـــة بـــن الحـــارث قـــال : صـــلى بنـــا أبـــو بكـــر العصـــر ، ثـــم خـــرج ، فـــرأى الحســـن بـــن علـــى يلعـــب ، فأخـــذه فحملـــه علـــى عنقـــه وهـــو يقـــول بابى شبيه بالنبى ، وليس شبيها بعلى ، وعلى يضحك .

وفـــى الترمـــزى عـــن طريـــق الزهـــرى عـــن أنـــس قـــال : لـــم يكـــن أشـــبه برســـول الله صلى الله عليه وسلم من الحسن .

القابه رضى الله عنه :

يلقـــب رضـــى الله عنـــه بألقـــاب كثيـــرة وهـــى : التقـــى والطيـــب والزكـــى والـــولى والسبط والسيد ، وامير المؤمنين ، واشهرها السبط ، وأعلاها السيد ،فقد روى البخارى عن أبى بكرة رضى الله عنه رأيت النبى صلى الله علي وسلم على المنبر والحسن بن على معه وهو يقبل على الناس مرة ، وعليه مرة ، ويقول : (ان ابنى هذا سيد . ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين) وكذلك السبط ، والسبط فى اللغة ولد الولد ، والأسباط فى بنـــى اســـرائيل تقابـــل القبائـــل عنـــد العـــرب ، فكأنـــه رضـــى الله عنـــه أمـــة وحـــده فى خصال الخير .

وقـــال صـــلى الله عليـــه وســـلم فيـــه وفـــى أخيـــه الامـــام الحســـين رضـــى الله عنهمـــا وعن ذويهما : (انهما سيدا شباب أهل الجنة) .

كنيته رضى الله عنه :

يكنـــى رضـــى الله عنـــه بـــأبى محمـــد ، كنـــاه بـــذلك رســـول الله صـــلى الله عليه وسلم ، كما جاء فى تهذيب الاسماء .

مكانته رضى الله عنه عند جده صلى الله عليه وآله :

روى البخـــارى عـــن أســـامة ، كـــان النبـــى صـــلى الله عليـــه وســـلم يجلســـنى والحســـن بـــن علـــى فيقـــول (اللهـــم انـــى أحبهمـــا فأحبهمـــا) وقـــد مـــر عليـــك ما رواه البخارى عندما لقبه رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسيد .

وجـــاء فـــى كتـــاب الاصـــابة عـــن عبـــد الله بـــن الزبيـــر ، انـــا أحـــدثكم بأشـــبه اهلـــه بـــه واحـــبهم اليـــه ، الحســـن بـــن علـــى ، رأيتـــه يجـــىء وهـــو ســـاجد فيركـــب رقبتـــه أو قـــال ظهـــره ، فمـــا ينـــزل حتـــى يكـــون هـــو الـــذى ينـــزل ، ولقـــد رايتـــه يجىء وهو راكع فيفرج له بين رجليه حتى يخرج من الجانب الآخر .

وروى البخـــارى ومســـلم بســـندهما عـــن البـــراء أنـــه قـــال رأيـــت رســـول الله صلى الله عليه وسلم والحسن بن على على عاتقه يقول (اللهم أنى أحبه فأحبه) .

وروى الترمذى بسنده فى صحيحه عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم حاملا الحسن بن على على عاتقه فقال رجل نعم المركب ركبت يا غلام فقال النبى صلى الله عليه وسلم (ونعم الراكب هو) .

والبنوة التى شرفه بها مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قوله صلى الله عليه وسلم ان ابنى هذا سيد وقوله انما هما ابناى وابنا ابنتى اللهم انى أحبهما فاحبهما وأحب من يحبهما ، ايدها القرآن الكريم فى آية المباهلة (فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وابناءكم ونساءنا ونساءكم وانفسنا وانفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين) .

فقد جاء صلى الله عليه وسلم بالحسن والحسين وفاطمة تمشى خلفه وعلى خلفها وهو يقول لهم ان أنا دعوت فامنوا ، وقد أبى اهل نجران المباهلة خشية ان يصيبهم عذاب الله ورضوا بدفع الجزية (تفسير الامام القرطبى) .

وعند أحمد من طريق عبد الرحمن بن مسعود عن أبى هريرة قال : خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه الحسن والحسين هذا على عاتقه ، وهذا على عاتقه ، وهو يلثم هذا مرة وهذا مرة حتى انتهى الينا فقال : (من أحبهما فقد أحبنى ومن أبغضهما فقد أبغضنى) .

وروى الطبرانى عن جعفر بن محمد عن أبيه ، ان النبى صلى الله عليه وسلم بايع الحسن والحسين وعبد الله بن عباس وعبد الله بن جعفر وهم صغار لم يبلغوا ، قال ولم يبايع صغيرا الا منا .

مكانة الامام الحسن عند ابيه رضى الله عنهما :

كان امامنا على كرم الله وجهه يعز الحسن والحسين معزة خاصة ، لمكانتهما من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى أنه كان يضن بهما فى الحرب خشية أن ينقطع بموتها نسل رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الأرض ، فكان يؤخرهما ويقول لأصحابه : املكوا عنى هذين لئلا يهدانى

لأنى أخشى أن ينقطع بموتهما نسل رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الأرض ، بينما كان يـدفع الرايـة لأخيهمـا مـن أبيهمـا محمـد بـن الحنيفيـة ويقـول لـه تقـدم ، وأراد الدساسـون أن يسـتغلوا ذلـك اسـتغلالا سـيئا فقـالوا لمحمـد لـم يغـرر بـك أبـوك فـى الحـرب ويـؤخر الحسـن والحسـين فقـال فـى نفـس زكيـة طـاهرة ، وعقـل راشد راجح : انما هما عيناه وأنا يمينه فهو يدفع عن عينيه بيمينه .

وكـان الامـام علـى كـرم الله وجهـه ، يفطـر فـى رمضـان عنـد ابنـه الامـام الحسـن يومـا وعنـد أبنـه الامـام الحسـين يومـا ، وعنـد ابـن أخيـه عبـد الله بـن جعفر يوما .

وكـان أصـحاب الامـام علـى كـرم الله وجهـه يعلمـون مكانـة السـبطين الكـريمين عنـد أبيهمـا ، فأهـدى أحـد أصـحابه مـرة لكـل منهمـا هديـة ، ولـم يهـد شـيئا لأخيهمـا محمـد بـن الحنيفيـة ، فخشـى أبـوه أن يتـأثر فـى نفسـه ، فوضـع يده على عاتقه وقال مخاطبا له ومطيبا خاطره :

وما شر الثلاثة ام عمرو   بصاحبك الذى لم تصبحينا

ففهـم الرجـل الاشـارة ، وقـدم هديـة أخـرى لأخيهمـا محمـد بـن الحنفيـة رضـى الله عـنهم اجمعـين ، وقـد كـان محمـد شـديد القـوى ، حتـى انـه كـان يلـوى الحديد فلا يقيمه غيره ، ومن شابه أباه فما ظلم .

مكانته رضى الله عنه عند اجلاء الصحابه :

كـان للسـبطين مكانتهمـا الخاصـة عنـد أجـلاء الصـحابة لأنهـم رضـوان الله علـيهم ، كـانوا يحبـون بحـب رسـول الله صـلى الله عليـه وسـلم ويبغضون ببغضه .

وقـد مـر علـى القـارىء العزيـز ان امامنـا الصـديق رضـى الله عنـه كـان يحمل الحسن على عاتقه ويقول بابى شبيه بالنبى ليس شبيها بعلى .

وقـد فـرض أميـر المـؤمنين عمـر للحسـن والحسـين عليهمـا السـلام مثـل فريضـة أهـل بـدر ، فقـد روى ابـن الجـوزى : أدخـل عمـر فـى اهـل بـدر ممـن لـم يحضـروا بـدرا أربعـة : الحسـن والحسـين وابـو ذر وسـلمان ففـرض لكـل واحد خمسة آلاف .

وقـــال أميـــر المـــؤمنين عمـــر لقومـــه مـــن بنـــى عـــدى : والله مـــا أدركنـــا الفضـــل فـــى الـــدنيا الا بمحمـــد ولا نرجـــوا مـــن نرجـــو مـــن الأخـــرة وثوابهـــا الا بمحمـــد صـــلى الله عليـــه وســـلم ، فهـــو شـــرفنا ، وقومـــه أشـــرف العـــرب ، ثـــم الأقـــرب فالأقرب .

مقام الامام الحسن رضى الله عنه فى أهل البيت

كـــان الامـــام رضـــى الله عنـــه عميـــد أهـــل البيـــت بعـــد أبيـــه ، وقـــد اختلـــف العلمـــاء فـــى اهـــل البيـــت اختلافـــا كبيـــرا كمـــا يســـتدل مـــن المراجـــع الواســـعة ، وللأمـــام الجـــلال الســـيوطى بحـــث مســـتفيض فـــى أهـــل البيـــت أورده فضـــيلة صـــديقى الصـــالح العلامـــة الشـــيخ أحمـــد فهمـــى فـــى رســـالته المباركـــة عـــن السيدة زينب بنت الامام على رضى الله عنهما .

وانى أنقل منه فى ايجاز ما ياتى :

١ – اخـــرج مســـلم والنســـائى عـــن زيـــد بـــن أرقـــم قـــال : قـــام صـــلى الله عليـــه وســـلم خطيبـــا فقـــال اذكـــركم الله فـــى اهـــل بيتـــى ثلاثـــا ، فقيـــل لزيـــد بـــن أرقـــم : ومـــن أهـــل بيتـــه ؟ قـــال : أهـــل بيتـــه ، مـــن حـــرم علـــيهم الصـــدقة بعـــده ، قيـــل ومـــن هـــم ، قال آل على ، وآل عقيل ، وآل جعفر ، وآل العباس .

٢ – ان أولاد بنـــــات الانســـــان لا ينســـــبون اليـــــه ، وان كـــــانوا معـــــدودين فى ذريته ، حتى لو اوصى لأولاد اولاد فلان يدخل فيه ولد البنت .

٣ – ان أولاد البنـــــات لا يشـــــاركون اولاد الحســـــن والحســـــين علـــــيهم الســـلام فـــى انهـــم ينســـبون الـــى النبـــى صـــلى الله عليـــه وســـلم ، وقـــد فـــرق الفقهـــاء بـــين مـــن يســـمى ولـــد للرجـــل وبـــين مـــن ينســـب اليـــه ، ولهـــذا قـــالوا لـــو قـــال : وقفـــت علـــى اولادى دخـــل ولـــد البنـــت ، ولـــو قـــال ، وقفـــت علـــى مـــن ينســـب الـــى مـــن أولادى لم يدخل ولد البنت .

وقـــد ذكـــر الفقهـــاء مـــن خصائصـــه صـــلى الله عليـــه وســـلم أنـــه ينســـب اليـــه أولاد بناتـــه ، ولـــم يـــذكروا ذلـــك فـــى أولاد بنـــات بناتـــه ، فالخصوصـــية للطبقـــة العليا فقط ، فأولاد فاطمة عليها السلام الأربعة ينسبون اليه صلى الله عليه وسلم .

وأولاد الحسن والحسين ينسبون اليهما – فينسبون اليه صلى الله عليه وسلم – اما اولاد زينب وأم كلثوم فينسبون الى أبيهم عبد الله بن جعفر
وعمر بن الخطاب ، لا الى الأم ولا الى النبى صلى الله عليه وسلم ، لأنهم أولاد بنت بنته ، لا أولاد بنته ، وانما خرج أولاد فاطمة وحدها للخصوصية التى ورد الحديث بها ، وهو مقصور على ذرية الحسن والحسين .

فقد أخرج الحاكم فى المستدرك عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (لكل بنى ام عصبة الا ابنى فاطمة انا وليهما وعصبتهما) فانظر الى لفظ الحديث ، كيف خص الانتساب والتعصب بالحسن والحسين دون اختيهما ، لأن اولاد اختيهما انما ينسبون إلى آبائهم .

ولهذا جرى السلف والخلف على ان ابن الشريفة لا يكون شريفا ، ولو كانت الخصوصية عامة فى بناته وان نزلن ، لكان ابن كل شريفة شريفا تحرم عليه الصدقة وان لم يكن أبوه كذلك كما هو معلوم .

ولهذا حكم صلى الله عليه وسلم لابنى فاطمة دون غيرهما من بناته لأن اختها زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لم تعقب ذكرا ، حتى يكون كالحسن والحسين فى ذلك ، وأنما اعقبت بنتا هى امامة بنت أبى العاصى بن الربيع ، فلم يحكم لها رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذا الحكم مع وجودها فى زمنه ، فدل على أن أولادها لا ينسبون اليه لأنها بنت بنته ، وأما هى فكانت تنسب اليه بناء على أولاد بناته ينسبون اليه ، ولو كان لزينب ابنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ولد ذكر لكان حكمه حكم الحسن والحسين فى أن ولده ينسبون اليه صلى الله عليه وسلم .

٤- وشرف ذرية السبطين عام ، لا فرق فيه بين اولاد ذكورهما ، واولاد اناثهما ، لأبوة النبى صلى الله عليه وسلم ، كتابا وسنة واجماعا ، واليك ما وقع بين الحجاج والشعبى :

فى مطالب السؤول فى مناقب آل الرسول ، لمحمد بن طلحة ، قال ، قد نقل ان الشعبى كان يميل الى آل الرسول صلى الله عليه وسلم ، وكان

لا يـــذكرهم الا وهـــو يقـــول : هـــم أبنــــاء رســـول الله صــــلى الله عليــــه وســـلم وذريته .

فنقــل عنـــه ذلــك الـــى الحجــاج بــن يوســف ، وتكـــرر ذلـــك عنـــه ، وكثـــر نقلـــه عنــه ، فأغضــبه ذلــك مــن الشــعبى ، ونقــم عليــه ، فاســتدعاه الحجــاج يومــا ، وقــد اجتمــع لديـــه أعيـــان المصـــرين ، الكوفـــة والبصـــرة ، وعلماؤهمـــا وقراؤهمـــا ، فلمـــا دخــل الشــعبى لــم يهــش لـــه ، ولا وفــاه حقــه مــن الــرد عليــه ، فلمــا جلــس قــال لــه يــا شــعبى ، مــا امــر بلغنـــى عنــك ، فيشــهد عليــك بجهلــك ، قــال مــا هــو يــا اميــر ؟ قــــال الـــــم تعلــــم ، أن أبنــــاء الرجــــل ، هــــل ينســــبون الا اليــــه ، والأنســــاب لا تكــون الا بالآبــاء ، فمــا بالــك تقــول عــن أبنــاء علــى انهــم أبنــاء رســول الله صــلى الله عليه وسلم وذريته ، وهل لهم اتصال برسول الله صلى الله عليه وسلم الا بامهم فاطمة ، والنسب لا يكون بالبنات ، وانما يكون يالأبناء .

فـــاطرق الشـــعبى ســـاعة ، حتـــى بـــالغ الحجـــاج فـــى الانكـــار عليـــه ، ووقـــع انكاره فى مسامعه ، والشعبى ساكت .

فقـــال ، يـــا أميـــر ، مـــا أراك تكلمنـــا الا بكـــلام مـــن يجهـــل كـــلام الله وســـنة نبيه صلى الله عليه وسلم ، او يعرض عنهما .

فـــازداد الحجـــاج غضـــبا ، وقـــال ألمثلـــى تقـــول هـــذا ، يـــا ويلـــك ، قـــال نعـــم ، هؤلاء هم قراء المصرين ، حملة الكتاب العزيز .

ألـــيس قـــد قـــال الله تعـــالى (يـــا بنـــى آدم ، يـــا بنـــى اســـرائيل ، وعـــن ابـــراهيم ومن ذريته عيسى .

وهـــل كـــان اتصـــال عيســـى بالثلاثـــة الا بامـــه ، وقـــد صـــح النقـــل عـــن رســـول الله صلى الله عليه وسلم ، هذا ابنى سيد شباب أهل الجنة .

فخجل الحجاج ، وعاد يتلطف الشعبى .

هـــذا وقـــد تعـــرض ابـــن حديـــد ، عنـــد شـــرحه لقـــول أمامنـــا علـــى كـــرم الله وجهـــه فـــى آل البيـــت (وكيـــف يتـــاه بكـــم ، وكيـــف تعمهـــون ، وفـــيكم عتـــره نبـــيكم ، وهـــم أئمـــة الحـــق ، وأعـــلام الـــدين وألســـنة الصـــدق ، فـــأنزلوهم بأحســـن منازل القرآن ، وردوهم ورود الهيم العطاش) .

الى أن قال كرم الله وجهه مشيرا الى فضله على رعيته :

((قـــد ركـــزت فـــيكم رايـــة الايمـــان ، ووفقـــتكم علىحـــدود الحـــلال والحـــرام ، والبســـتكم العافيـــة مـــن عـــدلى ، وفرشـــتكم المعـــروف مـــن قـــولى وفعلى ، ورايتكم كرائم الاخلاق فى نفسى)) .

قـــال ابـــن أبـــى حديـــد فـــى شـــرحه : وعتـــرة رســـول الله صـــلى الله عليـــه وســـلم أهلـــه الأدنـــون ونســـله ، ولـــيس بصـــحيح مـــن قـــال أنهـــم رهطـــه وان بعـــدوا ، وانمـــا قـــال أبـــو بكـــر يـــوم الســـقيفة أو بعـــده نحـــن عتـــرة رســـول الله صـــلى الله عليـــه وسـلم وبيضـته التـى فقئـت عنــه ، علـى طريـق المجـاز ، لأنهـم بالنسـبة الـى الأمصـار عتـــرة لا فـــى الحقيقـــة ، فـــأراد ابـــو بكـــر أنهـــم عتـــرة أجـــداد علـــى طريـــق حـــذف المضاف .

ثـــم اســـتطرد ابـــن أبـــى حديـــد قـــائلا : وقـــد بـــين رســـول الله صـــلى الله عليـــه وسـلم عترتـه مـن هـى لمـا قـال : انـى تـارك فـيكم الثقلـين ، فقـال عترتـى أهـل بيتـى ، وبـــين مقـــام آخـــر مـــن أهـــل بيتـــه حيـــث طـــرح علـــيهم كســـاء ، وقـــال حـــين نزلـــت (انمـــا يريـــد الله ليـــذهب عـــنكم الـــرجس أهـــل البيـــت) ، اللهـــم هـــؤلاء أهـــل بيتـــى فأذهب الرجس عنهم .

فـــان قلـــت فمـــن هـــى العتـــرة التـــى عناهـــا أميـــر المـــؤمنين بكلامـــه ، قلـــت نفســـه وولـــداه ، والأصـــل فـــى الحقيقـــة نفســـه لأن ولديـــه تابعـــان لـــه ونســـبتهما اليـــه مـــع وجـــوده ، كنســـبه الكواكـــب المضـــيئة مـــع طلـــوع الشـــمس المشـــرقة ، وقـــد نبـــه النبى صلى الله عليه وسلم وآله على ذلك بقوله : وأبوكما خير منكما .

وهـــذا الـــذى يقولـــه ابـــن أبـــى حديـــد ، يـــذكرنا مـــا قالـــه الأعـــور الشـــنى فـــى صـفين للامـام علـى وكـان مـن أنصـاره الصـادقين ، فقـد جـاء فـى شـرح نهـج البلاغـة أنـــه قـــال : زاد الله يـــا أميـــر المـــؤمنين فـــى ســـرورك وهـــداك ، نظـــرت بنـــور الله فقـــدمت رجـــالا واخـــرت رجـــالا ، عليـــك ان تقـــول ، وعلينـــا أن نفعـــل ، أنـــت الامـــام ، فـــان هلكـــت فهـــذان مـــن بعـــدك – يعنـــى حســـنا وحســـينا عليهمـــا الســـلام – وقـــد قلـــت فى ذلك شعرا :

أبا حسن أنت شمس النهار وهذان فى الحادثات القمر
وأنت وهذان حتى الممات بمنزلة السمع بعد البصر
وأنتم أناس لكم سورة تقصر عنها أكف البشر
يخبرنا الناس عن فضلكم وفضلكم اليوم فوق الخبر

فضل أهل البيت ووجوب محبتهم :

أخرج البخارى فى تاريخه عن الحسن بن على عليهما السلام قال قال رسول الله عليه وسلم : ((لكل شىء أساس ، وأساس الإسلام حب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وحب أهل بيته)) .

وأخرج البخارى عن ابى بكر الصديق رضى الله عنه : ارقبوا محمدا صلى الله عليه وسلم فى اهل بيته .

وأخرج الترمذى وحسنه والطبرانى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أحبوا الله لما يغذوكم به من نعمه ، واحبونى لحب الله ، واحبوا اهل بيتى لحبى .

وأخرج النرمذى وحسنه ، والحاكم عن زيد بن أرقم ، رضى الله عنه ، أنه قال : قال رسول الله عليه وسلم ، ((أنى تارك فيكم ما ان تمسكتم به لن تضلوا بعدى ، كتاب الله ، وعترتى أهل بيتى ، ولن يتفرقا حتى يردا على الحوض فانظروا كيف تخلفونى فيهما)) .

وأخرج أحمد و الترمذى وصححه والنسائى والحاكم عن المطلب بن ربيعة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((والله لا يدخل قلب امرىء مسلم ايمان حتى يحبكم لله ولقرابتى) .

وأخرج ابن المنذر وابن أبى حاتم وابن مردويه فى تفاسيرهم ، والطبرانى فى المعجم الكبير ، عن ابن عباس لما نزلت هذه الاية : (قل لا أسالكم عليه أجرا الا المودة فى القربى) ، وقالوا يا رسول الله : من قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودتهم ((على وفاطمة وولداهما)) .

وأخرج الطبراني في الأوسط عن عبد الله بن جعفر رضى الله عنهما قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ((يا بنى هاشم انى قد سألت الله لكم أن يجعلكم نجداء رحماء ، وسالته أن يهدى ضالكم ، ويؤمن خائفكم ، ويشبع جائعكم ، والذى نفسى بيده ، لا يؤمن احد حتى يحبكم بحبى ، أترجون ان تدخلوا الجنة بشفاعتى ، ولا يرجونها بنو عبد المطلب)) .

وأخرج البزار عن عبد الله بن الزبير ، رضى الله عنهما ، أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : ((مثل أهل البيت مثل سفينة نوح ، من ركبها نجا ، ومن تركها غرق)) .

واخرج ابن جرير في تفسيره عن عباس رضى الله عنهما في قوله تعالى (ولسوف يعطيك ربك فترضى) قال من رضا محمد الا يدخل أحد من أهل بيته النار .

وأخرج الديلمى عن على عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((أربعة أنا لهم شفيع يوم القيامة ، المكرم لذريتى ، والقاضى لهم الحوائج ، والساعى لهم فى أمورهم عندما اضطروا اليه ، والمحب لهم بقلبه ولسانه)) .

وأخرج الديلمى عن أبى سعيد رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ((اشتد غضب الله على من آذانى فى عترتى)) .

واخرج أبو نعيم فى الحلية عن عثمان بن عفان رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ((من أولى رجلا من بنى عبد المطلب معروفا فى الدنيا ، فلم يقدر المطلبى على مكافأته فأنا أكافئه عنه يوم القيامة)) .

وأخرج الترمذى والحاكم والبهيقى فى شعب الايمان عن عائشة رضى الله عنها : مرفوعا : ((ستة لعنهم الله ، وكل نبى مجاب ، الزائد فى كتاب الله ، ووالمكذب بقدر الله ، والمتسلط بالجبروت فيعز بذلك من أذل الله ، ويذل من اعز الله ، والمستحل لحرم الله ، والمستحل من عترتى ما حرم الله ، والتارك لسنتى)) .

وأخرج الديلمى عن على عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، خير الناس العرب ، وخير العرب قريش ، وخير قريش بنو هاشم ، ونكتفى بما تقدم من الحاديث مراعاة للايجاز ، أما القرآن الكريم فقد قال تعالى (قل لا اسألكم عليه أجرا الا المودة فى القربى) ويشر لتلك الاية سيدى محيى الدين بن عربى فى قوله :

أرى حب اهل البيت عندى فريضة على رغم أهل البعد يورثنى القربا
فما اختار خير الخلق منا جزاءه على هديه الا المودة فى القربى

مناقب الامام الحسن رضى الله عنه

زهده رضى الله عنه :

جاء فى كتاب الاستيعاب لابن عبد البر أن الامام الحسن رضى الله عنه كان حليما ورعا فاضلا ، دعاه وروعه وفضله الى أن ترك الملك والدنيا رغبة فيما عند الله ، وقال والله ما احببت منذ علمت ما ينفعنى ويضرنى أن ألى أمر أمة محمد صلى الله عليه وسلم ، على ان يهراق فى ذلك محجمة دم .

أقول ، وهذا الذى وقع من امامنا الحسن رضى الله عنه فى تنازله عن الخلافة ، وهو يملك الجيوش الجرارة التى يحارب بها ان شاء ، كان ايثارا لله تعالى ، وحقنا لدماء المسلمين ، وهو الزهد بعينه ، وقد قال الصوفية العارفون بحق ليس الزهد أن تترك الدنيا من يدك وهى فى قلبك ، بل الزهد أن تتركها من قلبك وهى فى يدك .

خوفه من الله تعالى :

وإذا علمت كيف كان يخاف مقام ربه ، لم تعجب لتركه الخلافة ، مع أبهتها وسلطانها ، فقد روى عنه أن رجلا سمعه يناجى ربه ويبكى ، فقال له : اتخاف عذاب الله وعندك أسباب النجاة ، ابن رسول الله ، وشفاعته صلى الله عليه وسلم ، ورحمة الله التى وسعت كل شىء .

فقال الامام الحسن أما أنى ابن رسول الله ، فالله يقول : (فاذا نفخ فى الصور فلا انساب بينهم) وأما الشفاعة فهو سبحانه يقول : (منذا الذى يشفع عنده الا باذنه) وأما الرحمة التى وسعت كل شىء فالله يقول : (فسأكتبها للذين يتقون) فكيف الامان يا أخا العرب .

عبادته رضى الله عنه :

كان رضى الله عنه يجاهد نفسه فى العبادة جهادا كبيرا ، فقد حج خمس عشرة مرة وقيل عشرين مرة ماشيا على قدميه ونجائبه تقاد بين يديه ، وكان يقول انى أستحى من ربى عز وجل لن ألقاه ولم امش الى بيته .

جوده رضى الله عنه :

كان رضى الله عنه جوادا ، لا يرد سائلا ، ولا يقول لأحد لا ، قط ، وقد خرج عن ماله لله مرتين ، وقاسم الله تعالى ثلاث مرات ، حتى انه كان يعطى نعلا ويمسك نعلا .

وقد قيل للامام الحسن رضى الله عنه ، لأى شىء نراك لا ترد سائلا ، وإن كنت على فاقة ، فقال ، انى لله سائل ، وفيه راغب ، وأنا استحى أن أكون سائلا ، وأرد سائلا ، وان الله تعالى عودنى عادة ، عودنى أن يفيض نعمه على ، وعودته أن أفيض على الناس ، فأخشى ان قطعت العادة أن يمنعنى العادة ، وأنشد يقول :

اذا ما أتانى سائل قلت مرحبا بمن فضله فرض على معجل
ومن فضله فضل على كل فاضل وافضل ايام الفتى حين يسال

وقد وصفه ابوه بالكرم والمسالمة ، فقد روى ابو جعفر محمد بن حبيب عن المسيب الفزارى ، قال سمعت امير المؤمنين عليه السلام : أنا أحدثكم عنى وعن أهل بيتى ، أما عبد الله ابن أخى (أى ابن جعفر زوج السيدة زينب) فصاحب لهو وسماح ، وأما الحسن فصاحب جفنة وخوان فتى من فتيان قريش ، ولو التقت حلقتا البطلان (مثل يضرب للأمر اذا

اشـتد وجـاز الحـد) لـم يغـن عـنكم شـيئا فـى الحـرب ، وأمـا أنـا وحسـين فـنحن منكم وأنتم منا .

هيبته رضى الله عنه :

كـان رضـى الله عنـه ذا هيبـة ووقـار ، حتـى لقـد كـان معاويـة وهـو فـى سلطانه يهابه ويخشاه وصرح لجلسائه بذلك .

ولا تعجـب مـن ذلـك ، فقـد حـدثت زينـب بنـت أبـى رافـع فقالـت ، أتـت فاطمـة عليهـا السـلام بابنيهـا إلـى رسـول الله صـلى الله عليـه وسـلم فـى شـكوة (مرضـه) الـذى تـوفى فيـه ، فقالـت يـا رسـول الله هـذان ابنـاك فورثهمـا شـيئا فقـال : أمـا حسـن فـان لـه هيبتـى وسـؤددى ، وأمـا حسـين فـان لـه جراءتـى وجودى .

وهـذا بفسـر لـك مـا قالـه ابـن عبـاس رضـى الله عنهمـا حـين مـات الاما م الحسـن : أول ذل دخـل علـى العـرب مـوت الحسـن عليـه السـلام ، وأنـت تـدرك مـن كلمـة ابـن عبـاس هـذه أى مكانـة كانـت للامـام الحسـن فـى المجتمـع وأى فـراغ كان يملؤه فى الناس .

نقش خاتمه رضى الله عنه :

كان نقش خاتمه رضى الله عنه : ((العزة لله)) .

جراته فى مواقف الجد :

ولا تظـن أن حبـه للمسـالمة كـان عـن ضـعف منـه ، أو جـبن فيـه ، انمـا سـالم ابتغـاء رضـوان الله ، ودفعـا عـن الأمـة ، ويقـول الأصـوليون ، دفـع الضرر مقدم على جلب المنفعة .

لـذلك كـان مـع مسـالمته ، يصـون كرامتـه ، بجـد لا يعـرف الهـزل ، وبحميـة هاشـمية ، لا تعـرف التـردد ، وتلـك عـزة المـؤمن التـى يحبهـا الله ورسـوله ، وقـد أعجـب رسـول الله صـلى الله عليـه وسـلم حـين أنشـده النابغـة الجعـدى مـن قصيدة طويلة :

ولا خير في حلم اذا لم يكن له بوادر تحمى صفوه أن يكدرا

ودعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لا يفضض الله فاك ، فعسر طويلا ولم تقع له سن ، واليك مثلا من جرأة الامام الحسن .

روى ابن أبى حديد بسنده عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : دخل الحسن بن على ، على معاوية ، بعد عام الجماعة ، وهو جالس فى مجلس ضيق ، فجلس عند رجليه ، فتحدث معاوية ما شاء أن يتحدث ، ثم قال عجبا لعائشة ، تزعم أنى فى غير ما أنا أهله ، وأن الذى أصبحت فيه ليس لى بحق ، ومالها ولهذا ، يغفر الله لها ، انما كان ينازعنى فى هذا الأمر أبو هذا الجالس وقد استأثر الله به .

فقال الحسن : أو عجب ذلك يا معاوية ، قال أى والله ، قال أفلا أخبرك بما هو أعجب من هذا ، قال ماهو ، قال جلوسك فى صدر المجلس وأنا عند رجليك .

فضحك معاوية وقال يا ابن أخى ، بلغنى أن عليك دينا ، قال ان لعلى دينا ، قال كم هو ، قال مائة ألف ، قال قد أمرنا لك بثلاثمائة ألف ، مائة منها لدينك ، ومائة تقسمها فى أهل بيتك ، ومائة لخاصة نفسك ، فقم مكرما واقبض صلتك .

فلما خرج الحسن عليه السلام ، قال يزيد بن معاوية ، تالله ما رأيت رجلا استقبلك بما استقبلك به ، ثم أمرت له بثلثمائة ألف ، قال يا بنى ان الحق حقهم ، فمن أتاك منهم فاحث له .

أقول ، وانما كانت ديون الامام الحسن تأتيه من كثرة بذله للمحتاجين ، وقد بلغ من سماحته ومروءته أنه كان يشترى البستان من أصحابه ويدفع لهم الثمن ، فاذا علم أنهم فى حاجة اليه رده اليهم ثانية بلا مقابل ، ولا يسترد الثمن الذى كان دفعه .

وكذلك جابه معاوية بأشد مما تقدم ، حين قام معاوية خطيبا على المنبر فتهكم على أمير المؤمنين على وقال : ومن على ؟ فقال الامام الحسن

فحمد الله عليه ثم قال : ان الله لم يبعث نبيا الا جعل له عدوا من المسلمين قال تعالى ((وكذلك جعلنا لكل نبى عدوا من المجرمين)) وأنا ابن خديجة ، وجدى رسول الله وجدك عقبة بن ربيعة ، فلعن الله الأمنا حسبا وأخملنا ذكرا ، وأقدمنا كفرا ، وأشدنا نفاقا ، فصاح أهل المسجد آمين ، فقطع معاوية كلامه وفر الى منزله .

مكارم أخلاقه رضى الله عنه :

يقول عميد الدب العربى الدكتور طه حسين فى كتابه ((على وبنوه)) كان الامام الحسن رضى الله عنه عذب الروح ، حلو الحديث ، كريم المعاشرة حسن الألفة ، محببا الى الناس ، ويحبه أترابه من شباب قريش والأنصار لهذه الخصال ، ولمكانه من النبى صلى الله عليه وسلم ، ويحبه عامة الناس لكل هذا ولسخائه وجوده ، واعطائه المال حين يسال وحين لا يسأل .

وروى ابن حديد بسنده انه كان مشهورا بالحلم ، حتى انه لما مات عليه السلام وأخرجوا جنازته حمل مروان بن الحكم سريره فقال له الامام الحسين عليه السلام ، تحمل اليوم جنازته وكنت بالأمس تجرعه الغيظ ، قال نعم ، كنت أفعل ذلك بمن يوازن حلمه الجبال .

وعرف رضى الله عنه بحسن عشرته لأزواجه ، فكان يمسكهن بمعروف ويسرحهن باحسان ، وعلى زواجه وطلاقه ، كان الناس يرغبون فى مصاهرته ، حتى لقد روى أن أباه كرم الله وجهه أمر مناديا ينادى فى أهل الكوفة ، لا تزوجوا الحسن فانه مطلاق ، قالوا ، فما مر المنادى بأحد الا قال ، بل نزوجه ، فما رضى أمسك وما كره طلق ٠

ويعيب بعض قصار الادراك ، كثرة زواجه وطلاقه ، رضى الله عنه ، مع أن زمانهم غير زماننا ، وقد كان الزواج فى زمانهم يربط العصبيات ويزيد فى قوة القبائل ، وكان تعدد الزواج أمرا مألوفا بل ومستحبا ، وهو

في بيت النبوة أكثر استجبابا ، وليس مع الحلال تهمة ، وما أحوج المجتمع لائمة الهدى ، الذين يمشون بين الناس بنور الايمان ، الذى يرثونه من عرقهم الطاهر المطهر ، وينمونه فى بيئتهم التقيه الصالحة ، وصدق امامنا على كرم الله وجهه حينما قال فى السادة آل البيت الأطهار : أين الذين زعموا أنهم الراسخون فى العلم دوننا ، كذبا وبغيا علينا ، ان رفعنا الله ووضعهم ، وأعطانا وحرمهم ، وأدخلنا وأخرجهم ، بنا يستعطى الهدى ، ويستجلى العمى ٠

وصدق الفزدق الشاعر رحمه الله حين قال فيهم :

ان عد أهل التقى كانوا أئمتهم   أو قيل من خير أهل الأرض قيل همو

علمه رضى الله عنه :

جاء فى كتاب الاصابة لابن حجر أن الامام الحسن عليه السلام روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أحاديث حفظها عنه ، وروى الحسن أيضا عن أبيه وأخيه الحسن وخاله هند بن أبى هالة (أخو السيدة فاطمة لأمها ، وروى عنه ابنه الحسن وعائشة أم المؤمنين وابن أخيه على بن الحسين ((زين العابدين)) وابناه عبد الله والباقر ، وعكرمة وابن سيرين وجبير بن نفير وغيرهم ٠

أقول ، ولئن كان رسول الله صلى الله عليه وسلم تركه صغيرا (دون الثامنة) فانه كان من الذكاء بحيث وعى وحدث ، وقد قام على تربيته وثقافته العلمية بعد جده أبوه الامام على كرم وجهه ، وكان فى العلم بحرا زاخرا ، حتى قال ابن عباس الذى أخذ العلم عنه ، لقد أعطى على بن أبى طالب تسعة أعشار العلم ، وايم الله لقد شاركك فى العشر العاشر ٠

وقد مر عليك أن أمير المؤمنين عليا عليه السلام نشأ فى الاسلام منذ طفولته ، وتربى فى حجر النبى صلى الله عليه وسلم ، وغرف علمه من بحر النبوة الأصفى حتى امتلأ ، وصار كما قال الامام الحسن البصرى ، ربانى هذه الأمة ، وكان يتحدث بنعمة ربه فى ثقة به تعالى فيقول : أيها الناس ،

سلونى قبل ان تفقدونى ، فوالله مامن آية فى كتاب الله عز وجل ، الا وأنا أعلم أبليل نزلت أم بنهار ، أم فى سهل أم فى جبل ، وقد مر عليك أن أمير المؤمنين عمر كان لا يطمئن الا لفتواه وكان يقول : لولا على لهلك عمر .
لذلك كان علم الامام الحسن موروثا ومغروفا من المنبع الأصفى ، فكان علما خالصا ، حرص عليه ونفع به ، وقدره قدره ، حتى روى عنه أنه كان يقول لبنيه وبنى أخيه الامام الحسين : تعلموا العلم ، فان لم تستطيعوا حفظه فاكتبوه ، وضعوه فى بيوتكم ، وستدلك أقواله وخطبه على رسوخ علمه وقوة منطقه وعمق فصاحته .
ونذكر للقارىء الكريم بعض الأمثلة التى تدل على صفاء ذهنه ، وحضور بديهته ، وعلو فكره ، ورسوخ علمه ، رضى الله عنه :

١ - فى معرفة الله :

سئل رضى الله عنه ، بم عرفت ربك ، فقل : بفسخ العزيمة ، وقصر المشيئة ، وضعف الأركان ، وتحويل الحالات والأوزان .

٢- فى القضاء والقدر :

كتب الحسن البصرى الى الامام الحسن بن على رضى الله عنهما يسأله عن القضاء والقدر ، فكتب الامام الحسن بن على يقول :
من لم يؤمن بقضاء الله وقدره ، خيره وشره ، فقد كفر ، ومن حمل ذنبه على ربه فقد فجر ، وان الله تعالى لا يطاع استكراها ، ولا يعصى بغلبة ، لأنه تعالى مالك لما ملكهم ، وقادر على ما أقدرهم ، فان عملوا بالطاعة لم يحل بينهم وبين ما عملوا ، فان لم يفعلوا فليس هو الذى أجبرهم على ذلك ، ولو أجبر الخلق على الطاعة لأسقط عنهم العقاب ، ولو أهملهم فان ذلك عجز فى القدرة ، ولكن الله له فيهم المشيئة التى غيبها عنهم ، فان عملوا بالطاعة فله المنة عليهم ، وان عملوا بالمعصية فله الحجة عليهم .

واتماما للفائدة فى القدر نذكر أن رجلا سأل أمير المؤمنين علىا كرم الله وجهه عن القدر ، فقال طريق دقيق لا تمشى فيه ، فقال يا أمير المؤمنين أخبرنى عن القدر فقال بحر عميق لا تخض فيه ، فقال ياامير المؤمنين أخبرنى عن القدر ، فقال سر خفى لا نفشيه ، فقال يا أمير المؤمنين أخبرنى عن القدر ، فقال ان الله تعالى خلقك كما يشاء أو كما شئت ، فقال كما شاء : قال ألك مشيئة مع الله ، أو فوق مشيئة الله ، أو دون مشيئته الله ، أما ان قلت مع مشيئته فقد ادعيت الشركة معه ، وان قلت دون مشيئته ، استغنيت عن مشيئته ، وان قلت فوق مشيئته ،كانت مشيئتك غالبة على مشيئته .

٣- بينه وبين سائل :

جاء رجل يسأله ، ولم يكن عنده ما يعطيه ، فاستحيا أن يرده فقال للرجل ، ألا أدلك على شىء يحصل لك منه البر ، فقال الرجل ماذا ، قال ان ابنة الخليفة ماتت فأذهب وقل له : الحمد لله الذى سترها بوقوفك على قبرها ، ولم يهتكها بوقوفها على قبرك .

فذهب الرجل وعزى الخليفة بهذه التعزية ، فلما سمعها ذهب عنه الحزن ، وامر للرجل بجائزة ، وقال له : بالله عليك ، أكلامك هذا ، فقال بل كلام الحسن بن على ، فقال صدقت ، انهم معدن الفصاحة ، وأمر له بجائزة أخرى .

٤- تحية المغتسل :

ومن لطائفه أنه كان يوما خارجا من الحمام ، فقال له رجل طاب استحمامك ، فقال يالكع وما تصنع الأست هنا ، قال الرجل ، طاب حمامك ، فقال اذا طاب الحمام اذن فما راحة البدن ، قال ، طاب حميمك ، قال ويحك ، أما تعلم أن الحميم هو العرق ، قال فكيف أقول ، قال : قل طاب ما طهر منك ، وطهر ما طاب ، ودخل مرة غديرا يستحم ، وعليه برد متوحشا به ، فلما خرج سألوه ، فقال انما تسترت ممن يرانى ولا أراه ، يعنى من ربى والملائكة .

٥ – بينه وبين يهودى :

ورآه مـــرة رجـــل يهـــودى فـــى أبهـــى بـــزة وأجمـــل زى ، وكـــان اليهـــودى فـى حالـة سيئة ، وثيـاب رثـة ، فقـال للحسـن رضـى الله عنـه ، الـيس قـد قـال نبـيكم الـدنيا سـجن المـؤمن ، وجنـة الكـافر ، هـذا حـالى ، وهـذا حالـك ، فقـال رضـى الله عنـه ، لـو رايـت مـا وعـدنى الله مـن الثـواب ، ومـا أعـد لـك مـن العقـاب لعلمت أنك فى الجنة ، وأنا فى السجن .

ايثاره الله تعالى :

كـان الامـام الحسـن رضـى الله عنـه رجـل السـلام بحـق ، وهـو حـين سـالم انما سالم ابتغاء مرضاة الله ، لا خوف الناس ، ولا خوف الحرب .
وقـد شـرح وجهـة نظـره فـى المسـالمة حـين أشـار عليـه المسـيب الفـزارى أن يـنقض صـحيفة الصـلح الـذى أبرمـه مـع معاويـة ، وسـيأتيك نبـأه فيمـا بعـد فقـال رضـى الله عنـه : يـا مسـيب ، انـى لـو أردت بمـا فعلـت الـدنيا ، لـم يكـن معاويـة بأصـبر عنـد اللقـاء ولا أثبـت عنـد الحـرب منـى ، ولكنـى اردت صـلاحكم وكـف بعضـكم عـن بعـض ، فارضـوا بقـدر الله وقضـائه ، حتـى يسـتريح بـر أو يسـتراح من فاجر .

ثباته فى الرأى رضى الله عنه :

عنـدما رأى ، رضـى الله عنـه ، بنـور الله ، أن يسـلم الأمـر لمعاويـة بعـد أن بقـى فـى الخلافـة سـبعة أشـهر استشـار أهلـه وخاصـته ، فمـنهم مـن رضـى رأيـه ومنهم من خالفهم ، وقد رضى رأيه عبد الله بن جعفر ودعا له .
وحـين عـرض رأيـه علـى أخيـه الامـام الحسـين ، رأى أن يبـين لـه أسـباب رأيه ، وكأنما كان يحس بمعارضة الامام الحسين مقدما .
فقـال الامـام الحسـن لأخيـه الامـام الحسـين : أى أخـى انـى رأيـت رأيـا ، وأحب أن تتابعنى عليه فقال ما هو ؟ قال ، رأيت أن أعمد الى المدينة فانزلها ،

وأخلـى بـين معاويـة وبـين هـذا الحـديث ، فقـد طالـت الفتنـة ، وسـفكت فيهـا الدماء ، وقطعت الأرحام ، وعطلت السبل ، وعطلت الثغور .

فقـال الامـام الحسـين : أعيـذك بـالله أن تكـذب عليـا فـى قبـره ، وتصـدق معاويـة ، فقـال الحسـن عليـه السـلام : والله مـا أردت أمـرا الا خـالفتنى الـى غيـره ، والله لقد هممت أن أقذفك فى بيت فأطينه عليك حتى أقضى أمرى .

فلمـا راى الامـام الحسـين غضـبه ، قـال فـى ادب رفيـع ، أنـت أكبـر ولـد علـى ، وأنـت خليفتـى ، وأمرنـا لأمـرك تبـع ، فافعـل مـا بـدالك ، وهكـذا ثبـت الامـام الحسـن عنـد رأيـه ، وتحققـت علـى يـده معجـزة رسـول الله صـلى الله عليـه وسلم حين قال :

((ان ابنى هذا سيد ولعل الله ان يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين)) .

اجلال الامام الحسين للامام الحسن رضى الله عنهما :

ولا تظـن أن الامـام الحسـين رضـى الله عنـه ، حـين عـارض رأى الامـام الحسـن فـى الصـلح ، انـه كـان يسـتهين برأيـه ، انمـا هـى وجهـات نظـر ، فـى مسـائل كبيـرة ، تتصـل بالصـالح العـام ، وتختلـف فيهـا الآراء ، وكـل منهمـا مجتهـد فيمـا رآه ولـه أجـره ، لأن رأى كـل منهمـا لـيس مشـوبا بهـوى الـنفس الـذى يضـل صـاحبه عـن سـبيل الله ، بـل هـو رأى خـالص لوجـه الله ، وقـد اختلـف السـادة الصـحابة حـين استشـارهم صـلى الله عليـه ةسـلم فـى اسـرى بـدر ، فمـنهم مـن رأى أخـذ الفديـة ، ومـنهم مـن راى قتـل الأسـرى ، وأقـر الله اجتهـادهم حيـث لـم ينـزل وحـى فقـال تعـالى : ((فكلـوا ممـا غنمـتم حـلالا طيبـا)) وكـانوا قـد تحرجـوا مـن الأكـل مـن الفديـة حـين نـزل قولـه تعـالى (مـا كـان لنبـى أن يكون لـه أسرى حتى يثخن فى الأرض ، تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة) .

ويشهد باجلال الامام الحسين لأخيه الامام الحسن كلمة التأبين الرائعة التى قالها امامنا الحسين رضى الله عنه على قبره مع أنه كان فى موقف الحزن الذى يشتت الفكر ويعقد اللسان ، وقد أوردناها فى المقدمة .

نظام أوقاته رضى الله عنه :

قال الدكتور طه حسين فى كتابه ((على وبنوه)) ان الامام الحسن رضى الله عنه كان يصبح فيصلى الصبح ويجلس فى مكانه حتى اذا ارتفعت الشمس ، طاف بأمهات المؤمنين ، زائر لهن ، متحدثا اليهن ، يبرهن ويبررنه ويهدى اليهن ويهدين اليه ، ثم يفرغ لبعض شانه .

فاذا صليت الظهر ، جلس للناس فى المسجد ، فأطال الجلوس ، يسمع منهم ، ويقول لهم ، يعلم من احتاج منهم للعلم ، ويؤدب من احتاج منهم للأدب ، ويسمع من شيوخ الصحابة ما يفيده علما وأدبا ، وكان فى أثناء ذلك كله اذا ذكر السلطان ، أو ذكر السلطان عنده ، يعرف الخير ، وينكر الشر ، فى أرق لفظ واعذبه .

ولكنه كان يشتد حتى يبلغ القسوة ، ان ذكر أبوه بغير ما يحب ، أو لقى من بغى أباه الغوائل ، أو سعى بمكروه ، وكان بعد هذا كله يحسن كما أحسن الله اليه ، ولا ينس نصيبه من الدنيا .

وفاؤه باهله وصحبه رضى الله عنه :

كان رضى الله عنه وفيا لأهله واصحابه أحسن الوفاء ، حتى انه شرط على معاوية الا يؤذى أحد منهم ، ولما أراد معاوية أن يستثنى أحدا منهم (مثل قيس بن سعد) هدده الامام الحسن بالعدول عن الصلح ، فاضطر معاوية أن ينزل عند رغبته .

ولما أراد زياد أن يسىء الى بعض أصحاب الامام الحسن كاتب الامام الحسن معاوية فأمر زيادا أن يكف عنهم .

جهاده رضى الله عنه فى سبيل الله

١- جهاده فى فتح شمال افريقيا :

كان رضى الله عنه هو وأخوه الامام الحسين فى المدد الذى أرسله أمير المؤمنين عثمان بن عفان فى سنة ٢٦ هـ لنجدة عبد الله بن السرح وهو يغزو شمال أفريقيا .

٢- جهاده فى فتح طبرستان :
كما كانا رضوان الله عليهما فى الجند القاتلين عندما غزا سعيد بن العاص طبرستان بأمر أمير المؤمنين عثمان رضى الله عنه سنة ٣٠ هـ .

٣ -الدفاع عن امير المؤمنين عثمان رضى الله عنه :
وكان هو وأخوه الامام الحسين أول المدافعين عن أمير المؤمنين عثمان رضى الله عنه حين هاجمه الثوار ، فقد أمرهما أبوهما أن يحمياه بسيفيهما ففعلا ، ولم يستطع الثوار أن يدخلوا عليه من الباب فتسوروا عليه الدار وقتلوه ، وكام أمر الله قدرا مقدورا .

٤- جهاده مع أبيه فى معارك الجمل وصفين والخوارج :
وحضر هو وأخوه الامام الحسين وأخوهما لأبيهما محمد بن الحنفية معارك الجمل ، وصفين ، والخوارج ، مع أبيهم ، وعلى الرغم من أن أمير المؤمنين عليا كان ينحى الحسن والحسين على القتال ، خشية أن ينقطع بموتهما نسل رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الأرض فانهما شاركا فى الحروب مشاركة فعلية ، كما يستدل من تاريخ تلك المعارك .

مشاركته لأبيه الراى فى المسائل العامة :
لما توجه طلحة والزبير ومعهما السيدة عائشة رضى الله عنهم الى البصرة ، كما سترى من التفاصيل فيما بعد ، جاء الامام الحسن لأبيه أمير المؤمنين على رضى الله عنهما ، بعد صلاة الصبح فقال له :

قد أشرت عليك فعصيتنى ، تقتل غدا بمعصية لا ناصر لك فيها ، فسأله وما الذى أشرت به فعصيتك .

قال الامام الحسن : أشرت حين أحيط بعثمان رضى الله عنه ، أن نخرج من المدينة فيقتل ولست بها .

ثم أشرت يوم قتل الا تبايع حتى تأتيك وفود العرب ، وبيعه أهل كل مصر ، فانهم لن يقطعوا أمرا دونك فأبيت .

ثم أشرت حين فعل هذان الرجلان (أى طلحة والزبير) ما فعلا ، ان تجلس فى بيتك حتى يصطلحا فان كان الفساد كان على يد غيرك ، فعصيتنى فى ذلك كله .

فلم يأنف أمير المؤمنين أن يساجل ابنه الامام الحسن الراى ليقنعه ويريح صدره فقال له :

أما قولك لو خرجت من المدينة حين أحيط بعثمان ، فوالله لقد أحيط بنا كما أحيط به .

وأما قولك لا تبايع حتى تاتى بيعة الأمصار ، فان الامر امر اهل المدينة وكرهنا أن يضيع هذا الأمر .

وأما قولك حين خرج طلحة والزبير فان ذلك كان وهنا على أهل الاسلام .

وأمل قولك اجلس فى بيتك فكيف لى بما قد لزمنى ، ومن تريدنى ، أتريد أن أكون مثل الضبع التى يحاط بها ، ويقال لها دباب ، دباب . . ليست هنا حتى يحل عرقوباها ثم تخرج ، وإذا لم أنظر فيما لزمنى من الأمر ويعنينى ، فمن ينظر فيه ، فكف عنى أى بنى ،

وهذا المثل يريك حسن استماع أبيه لرأيه وحسن معاملته واقناعه بالحجة دون استصغار رايه ، ولولا انه راى وزنا لآرائه ، ولما قارعها بحجته العلوية القوية ، وفوق كل ذى علم عليم .

أزواجه وأولاده رضى الله عنه :

نقل ابن حديد عن المدائنى قال : كان الحسن كثير التزوج ، تزوج خولة بنت منظور القزازية ، فولدت له الحسن بن الحسن ، وتزوج أم اسحق بنت طلحة بن عبيد الله فولدت له ابنا سماه طلحة ، وتزوج أم بشر بنت أبى مسعود الانصارى فولدت له زين بن الحسن ، وتزوج جعدة بنت الأشعث بن قيس وهى التى سقته السم ، وتزوج هند ابنة سهيل بن عمر ، وحفصة ابنة عبد الرحمن بن أبى بكر ، وتزوج أمراة من كلب ، وتزوج أمرأة من بنات علقمة بن زرارة ، وامراة من بنى شيبان من آل همام بن مرة ، فقيل له انها ترى رأى الخوارج فطلقها ، وقال انى أكره أن أضم الى نحرى جمرة من جمر جهنم .

وجاء فى كتاب الحسن والحسين للأستاذ محمد رضا أن أولاد الامام الحسن هم السادة :

١- زيد
٢- الحسن
٣- القاسم
٤- أبو بكر
٥- عبد الله
٦- عمرو
٧- عبد الرحمن
٨- الحسين الملقب بالأشرم
٩- محمد
١٠- يعقوب
١١- اسماعيل

وقال أصحاب السير أن العقب الصحيح الموجود للآن من الحسن السبط لزيد والحسن بن الحسن (المثنى) لا غير .

وروى أبو الفرج فى الأغانى بسنده عن عوف بن خارجة قال ، والله انى لعند عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى خلافته ، اذ أقبل رجل يتخطى رقاب الناس ، حتى قام بين يدى عمر ، فحياه بتحية الخلافة فقال له عمر من أنت ، قال أنا امرؤ نصرانى ، أنا امرؤ القيس بن عدى الكلبى ، قال فما تريد ، قال أريد الاسلام فعرضه عليه عمر رضى الله عنه فقبله ، ثم دعا له برمح ، فعقد له على من أسلم بالشام من قضاعة فأدبر الشيخ واللواء يهتز على رأسه ، قال عوف فوالله ما رأيت رجلا لم يصل لله ركعة قط أمر على جماعة من المسلمين قبله .

ونهض على بن أبى طالب رضوان الله عليه من المجلس ، ومعه ابناه الحسن والحسين عليهم السلام ، حتى أدركه فأخذ بثيابه ، فقال له ياعم ، أنا على بن أبى طالب ، ابن عم رسول الله صلى الله هليه وسلم وصهره ، وهذان ابناى الحسن والحسين من ابنته ، وقد رغبنا فى صهرك فأنكحنا .

فقال قد أنكحتك يا على المحياة بنت امرىء القيس ، وانكحتك يا حسن سلمى بنت امرىء القيس ، وأنكحتك يا حسين الرباب بنت امرىء القيس (أم السيدة سكينة) وقال هشام الكلبى كانت الرباب من خيار النساء وافضلهن ، فخطبت بعد قتل الحسين فقالت : ما كنت لأتخذ حما بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وجاء فى تاريخ الامام على زين العابدين لفضيلة العلامة الشيخ أحمد فهمى : انه رضى الله عنه تزوج من السيدة فاطمة بنت الحسن بن على رضى الله عنه ، وهى التى خلفها من زوجته أم اسحق بنت طلحة .

ولما حضرت الامام الحسن الوفاة ، دعا أخاه الامام الحسين وأوصاه بها ، وقال له يا أخى ، انى أرضى هذه المرأة لك فلا تخرجن من بيوتكم ، فاذا انقضت عدتها فتزوجها ، وقد نفذ الامام الحسين الوصية وتزوجها فأعقب منها فاطمة بنت الحسين التى تزوجها ابن أخيه الحسن بن الحسن .

ويحدث الامام جعفر الصادق عن السيدة فاطمة بنت الحسن التى تزوجها الامام على زين العابدين فيقول كانت صديقة لم تدرك فى آل الحسن امرأة سواها .

وفـــى الكـــافى بســـنده عـــن أبـــى الصـــباح عـــن أبـــى جعفـــر محمـــد البـــاقر قـــال كانـــت أمـــى قاعـــدة عنـــد جـــدار فتصـــدع الجـــدار وســـمعنا هـــدة شـــديد فقالـــت بيـــدها ، لا وحـــق المصـــطفى صـــلى الله عليـــه وســـلم مـــا أذن الله لـــك فـــى الســـقوط ، فبقى معلقا فى الجو حتى جازته ، فتصدق أبى عنها بمائة دينار .

وجـــاء فـــى كتـــاب الأغـــانى ان أول أزواج الســـيدة ســـكينة بنـــت الحســـين كان عبد الله بن الحسن بن على .

مشاهد مباركة بالقاهرة من سلالة الامام الحسن رضى الله عنه :

ومـــن المشـــاهد المباركـــة التـــى يرتادهـــا الـــزوار بالقـــاهرة مشـــهد ســـيدى حســـن الأنـــوار ، ومشـــهد الســـيدة نفيســـة ابنتـــه رضـــى الله عنهمـــا وعـــن ســـائر الإشـــراف .

مناقب سيدى حسن الانور رضى الله عنه :

كـــان رضـــى الله عنـــه شـــيخ بنـــى هاشـــم فـــى زمانـــه ، وجـــاء فـــى تاريخـــه أنـــه روى عـــن أبيـــه زيـــد الأبلـــج بـــن الحســـن بـــن علـــى ، وابـــن عمـــه عبـــد الله بـــن الحســـن بـــن الحسن ، وعن عكرمة وغيرهم .

وقـــد ولاه أبـــو جعفـــر المنصـــور امـــارة المدينـــة المنـــورة ، ثـــم عزلـــه وحبســـه ، لوشـــاية كاذبـــة اتهمـــوه فيهـــا أنـــه يســـعى للخلافـــة ، واســـتمر فـــى حبســـه الـــى أن ولـــى المهدى الخلافة العباسية ، فامر باخراجه ورد اليه ماله .

وكـــان رضـــى الله عنـــه ، متواضـــعا لله مـــع علـــوه قـــدره ومنصـــبه ، وقـــد دخـــل عليـــه احـــد الشـــعراء فأنشـــده : الله فـــرد وابـــن زيـــد فـــرد ، فكـــره منـــه ذلـــك وقـــال لـــه : بفيـــك الأثلـــب ألا قلـــت : الله فـــرد وابـــن زيـــد عبـــد ، ونـــزل عـــن ســـرير الامـــارة وألصق خده بالأرض ، يسبح لله تعالى .

وكان رضى الله عنه سخيا بماله ، حتى قال فيه أحد الشعراء :

اذا أمسى ابن زيد لى صديقا فحسبى من مودته نصيبى

ومـــن وفائـــه بأبيـــه ، أن أبـــاه مـــات والامـــام حســـن الأنـــور صـــغير ، وتـــرك أبوه دينا قدره أربعة آلاف دينار فحلف سيدى الأنور ألا يظل رأسه

سـقف الا سـقف مسـجد رسـول الله صـلى الله عليـه وسـلم أو بيـت رجـل يكلمـه فـى حاجـة ، حتـى يقضـى ديـن أبيـه فـوفى بنـذره ، وأدى الـدين أداه لحـق الأبـوة .
وقـد خلـف سـيدى الأنـور رضـى الله عنـه ، مـن الـذكور تسـعة ، ومـن البنـات اثنتـين أم كلثـوم ، وقـد تـزوج بهـا أبـو العباسـى السـفاح ، الخليفـة العباسـى ، والسـيدة نفيسـة وقـد تزوجـت مـن ابـن عمهـا سـيدى اسـحق المـؤتمن ابن سيدى جعفر الصادق .

وغلبـت شـهرة السـيدة نفيسـة علـى سـائر اخوتهـا وذلـك فضـل الله يؤتيـه من يشاء .

مناقب السيدة نفيسة رضى الله هنها :

أمهـا أم ولـد ، أمـا اخواتهـا فـأمهم السـيدة زينـب بنـت الحسـن بـن الحسـن ابن على رضى الله عن الجميع .

وجـاء فـى تحفـة الأشـراف ، أن الامـام زيـد بـن الحسـن رضـى الله عنـه ، كـان يأخـذ بيـد ولـده حسـن الأنـور ، والـد السـيدة نفيسـة ، ويـدخل الـى قبـر جـده المصـطفى صـلى الله عليـه وسـلم ويقـول يـا سـيدى يـا رسـول الله هـذا ولـدى الحسن ، أنا عنه راض ، ثم يرجع وينصرف .

فلمـا كـان فـى بعـض الليـالى ، أخذتـه سـنة مـن النـوم ، فـراى فـى نومـه النبـى صـلى الله عليـه وسـلم وهـو يقـول لـه : يـا زيـد اننـى راض عـن ولـدك الحسن برضاك عنه ، والحق سبحانه وتعالى راض عنه برضاى عنه .

فلمـا ولـى الحسـن المدينـة كـان يـذهب الـى قبـر جـده رسـول الله صـلى الله عليـه وسـلم ، ويأخـذ بيـد ابنتـه السـيدة نفيسـة ، وهمـا بـداخل المقـام الشـريف ، ويقـول يـا سـيدى يـا رسـول الله ، اننـى راض عـن بنتـى نفيسـة ، ويرجـع آيبـا الـى داره ، فمـا زال يكـرر ذلـك ويقولـه حتـى رأى النبـى صـلى الله عليـه وسـلم فـى المنـام يقـول لـه : يـا حسـن اننـى راض عـن ابنتـك نفيسـة برضـاك عنهـا ، والحـق سبحانه وتعالى راض عنها برضاى عنها .

وقد مكن الله السيدة نفيسة ، فحفظت القرآن الكريم ، وألمت بتفسيره وتأويله ، وشغفت بحديث جدها المصطفى صلى الله عليه وسلم ، فألمت بالسنة ، وروت من الحديث والآثار الكثير عن أبيها ، و آل بيتها ، وعلماء وقتها ، وبخاصة الامام مالك بن أنس بالمدينة ، ومسلم بن خالد الزنجى بمكة . واخذت كذلك بحظ وافر من الفقه والعلم ، حتى لقبت بنفيسة العلم ، وسمع منها الحديث الامام الشافعى حين جاء الى مصر كما سمعه منها جمهرة من علماء وقتها ، مثل ذى النون المصرى وعبد الله بن الحكم وولداه محمد وعبد الرحمن ، وعبد الرحمن البويطى ، والربيعان المرادى والجيزى وحرملة ، ومن أصحاب الامام الشافعى رضى الله عنها وعنهم . وكانت رضى الله عنها ، عابدة ، ناسكة ، تصوم النهار ، وتقوم الليل ، وكانت وهى بالمدينة المنورة لا تفارق حرم جدها المصطفى صلى الله عليه وسلم . وقد حجت الى بيت الله الحرام ثلاثين حجة ، أكثرها ماشية ، وكذلك تتعلق بأستار الكعبة وتقول : الهى وسيدى ومولاى ، متعنى وفرحنى برضاك عنى ، فلا تسبب لى سببا يحجبك عنى . وقالت بنت اخيها زينب بنت يحيى رضى الله عنهما : خدمت عمتى نفيسه اربعين سنه ، فما رايتها نامت الليل ، ولا افطرت بنهار . فقلت لها : اما ترفقين بنفسك ، فقالت كيف ارفق بنفسى ، وقدامى عقبات لا يقطعهن الا الفائزون .

وحين اشتكى اليها الناس ظلم احمد بن طولون فى اول عهده ، قالت لهم متى يركب ، فقالوا فى غد ، فكتبت رقعه ووقفت فى طريقه وقالت له :

يـا احمـد بـن طولـون فلمـا راهـا عرفهـا ، وترجـل عـن فرسـه ، واخـذ منها الرقعه ، فاذا فيها مكتوب :

ملكـتم فأسـرتم ، وقـدرتم فقهـرتم ، وخـولتم فعسـفتم ، ودرت علـيكم الارزاق فقطعـتم ، وقـد علمـتهم ان سـهام الاسـحار نافـذة وسـيما مـن قلـوب اجعتموهـا ، واجسـام اعريتموهـا مـا شـئتم فانـا صـابرون ، وجـوروا فانـا بـالله مسـتجيرون ، واظلمـوا فانـا مـنكم متظلمـون ، وسـيعلم الـذين ظلمـوا أى منقلب ينقلبون .

فرجـع أحمـد بـن طولـون عـن ظلمـه ، وعـدل مـن ذلـك اليـوم فـى حكمـه ، ومـن أراد المزيـد مـن تاريخـه الحافـل ، فليراجـع رسـالة العلامـة الشـيخ أحمـد فهمى وعنوانها كريمة الدارين ، وجزى الله المؤلف على مجهوده خيرا كثيرا .

٢- القاسم بن الحسن بن على :

وهو أخو أبى بكر المقتول قبله لأبيه وأمه

وروى أبـو الفـرج بسـنده حميـد بـن مسـلم قـال : خـرج الينـا غـلام ، كـأن وجهـه شـقة قمـر ، فـى يـده السـيف ، وعليـه قمـيص وأزار ونعـلان ، قـد انقطـع شسـع أحـدهما ، مـا أنسـى أنهـا اليسـرى فقـال عمـرو بـن سـعيد بـن نفيـل الأزدى : والله لأشـدن عليـه ، فقلـت لـه سـبحان الله ، ومـا تريـد مـن ذلـك ، يكفيـك قتلـه هـؤلاء ، الـذين تـراهم قـد احتوشـوه مـن كـل جانـب ، قـال والله لأشـدن عليـه ، فمـا ولـى وجهـه حتـى ضـرب رأس الغـلام بالسـيف ، فوقـع الغـلام لوجهـه ، وصـاح ياعمـاه ، قـال فـوالله لتجلـى الحسـين كمـا يتجلـى الصـقر ، ثـم شـد شـدة الليـث اذا غضـب ، فضـرب عمـرا بالسـيف فاتقـاه بسـاعده فأطنهـا (أى قطعها) من لدن الرفق ، ثم تنحى عنه ، وحملت خيل عمر بن سعد فاستنفذوه

من الحسين ، ولما حملت الخيل استقبلته بصدورها ، وجالت فتوطأته فلم يرم حتى مات – لعنة الله وأخزاه – فلما تجلت الغبرة ، اذا بالحسين على رأس الغلام وهو يفحص برجليه ، وحسين يقول بعدا لقوم قتلوك ، خصمهم فيك يوم القيامة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ثم قال ، عز على عمك أن تدعوه فلا يجيبك ، أو يجيبك ثم لا تنفعك اجابته يوم كثر واتره ، وقل ناصره ، ثم احتمله على صدره ، وكأنى أنظر الى رجلى الغلام تخطان فى الأرض ، حتى ألقاه مع ابنه على بن الحسين ، فسألت الغلام فقالوا هو القاسم بن الحسن بن على صلوات الله عليهم أجمعين .

٣- عبد الله بن الحسن بن على :

وأمه بنت السليل بن عبد الله ، أخى جرير بن عبد الله البجلى ، وقيل ان أمه أم ولد ، وروى أبو الفرج عن أبى جعفر بن محمد ان حرملة بن كاهل الأسدى قتله .

فصاحة العلويين وشجاعتهم :

وقد ورث امامنا على ذريته الفصاحة ، كما ورثهم الشجاعة ، فلم تقف فصاحتهم أو شجاعتهم عند الشباب والشيوخ بل كانت فى الناشئين منهم ، ونكتفى فى التدليل على ذلك بالمثلين الآتيين :

المثل الأول : لما أدخل الامام على زين العابدين ، ولم يكن قد بلغ الحلم ، على اليزيد فى دمشق قال له يزيد :

يا على ، أبوك الذى قطع رحمى ، وجهل حقى ، ونازعنى سلطانى ، فصنع الله به ما قد رأيت .

فقال سيدى زين العابدين ردا عليه : (ما أصاب من مصيبة فى الأرض ولا فى أنفسكم الا فى كتاب من قبل أن نبرأها) .

فقال يزيد لابنه خالد أردد عليه فما درى خالد ما يرد عليه .

المثـل الثـانى : دعـا يزيـد عمـرو بـن الحسـن وهـو غـلام صـغير فقـال لعمـرو أتقاتـل هـذا الفتـى (يعنـى خالـدا ابنـه) قـال لا ولكـن أعنـى سـكينا وأعطـه سكينا ، ثـم أقاتلـه ، فقـال لـه يزيـد وأخـذه وضـمه اليـه : شنشـنة أعرفهـا مـن أخـزم ، هـل تلـد الحيـة الا حيـة . أقـول وكـذب والله يزيـد ، ولـو أنصـف لقـال ان ذاك الشـبل مـن ذاك الأسـد ، ومـا عاشـت الحيـات ولا توالـدت الا فـى بنـى أميـة حتى أبادها الله بعدله فاستراح الناس منها .

ولقـد قـال معاويـة يومـا لابـن عبـاس : لمـاذا تصـابون يـا بنـى هاشـم فـى أبصاركم فقال وما أبدع ما قال : كما تصابون أنتم يابنى أمية فى بصائركم .

فضلاء بنى أميه :

ومـن آيـات الله الدالـة علـى أنـه يخـتص برحمتـه مـن يشـاء أن ثلاثـة مـن بنـى أميـة امتـازوا بالفضـل فـى الاسـلام عـن قـومهم وهـم : سـيدنا عثمـان بـن عفـان رضـى الله عنـه ، وسـيدتنا أم المـؤمنين ، ام حبيبـة بنـت أبـى سـفيان ، زوج النبـى صـلى الله عليـه وسـلم ، وهمـا مـن السـابقين الأولـين ومـن أصـحاب الهجـرتين ، وسـيدنا عمـر بـن عبـد العزيـز بـن مـروان الخليفـة الزاهـد العـادل الـذى قلـد فـى ورعـه جـده لأمـه سـيدنا عمـر بـن الخطـاب رضـى الله عـنهم أجمعـين ، فهـؤلاء نسـتثنيهم مـن بنـى أميـة ، ونشـيد بفضـل الله علـيهم ، لأننـا انمـا نريـد الحـق والانصاف ، ولا تزر وازرة وزر أخرى .

لـذلك لا تعجـب أن يرثـى السـيد الشـريف الرضـى أبـو الحسـن ، عمـر بـن عبد العزيز فيقول :

يا بن عبد العزيز لو بكت العين فتى من أميـة لبكيتـك

غيـر أنى أقـول انك قد طبت وان لم يطـب ولم يـزك بيتك

أنت نزهتنا عـن السب والقذف فلـو أمكـن الجـزاء جزيتك

ولو أننى ملـكت دفعـا لما نالك من طـارق الـردى لفديتـك فهذا الشريف من سادات بنى هاشم ينصف الحق وأهله ، على الرغم من أنـه موتور من بنى أمية ، والحق يعلوا ولا يعلى عليه .

وسيأتيك نبأ بدعة السب التى بدأها معاوية وأمر ولاته بها ، وأبطلها عمر بن عبد العزيز ، لأنها كانت من المنكرات التى ساير فيها معاوية هوى نفسه ، وما مثل الامام على بالذى يسب علانية على أسماع المسلمين المدينين له بالفضل فى حماية الدين .

أهل الشام وسب الامام على

ولقد قال المسعودى : ارتقى بأهل الشام الأمر فى طاعة معاوية الى أن جعلوا لعن على سنة ينشأ عليها الصغير ويهلك عليها الكبير .
وقد حدث بعضهم أنه قال لرجل من زعماء أهل الشام وأهل الراى فيهم : من أبو تراب هذا الذى يلعنه الامام فوق المنبر ، قال أراه لصا من لصوص العرب ، فانظر الى أى حد بلغ بهم السفه وبلغت بهم الغفلة .

العباسيون واضطهاد بنى الحسن :

وليت البلاء الذى أصاب العترة الطاهرة النبوية ، وقف عند ما أصابهم على أيدى بنى أمية ، لكنهم ذاقوا من مرارة الاضطهاد والحبس والقتل أيام العباسيين ما يفتت الأكباد ، مع أن الناس حاربوا مع العباسيين على أنهم يعملون على اقامة خلافة علوية ، حتى اذا تمت لهم الغلبة ، آثروا بها أنفسهم ، وجعلوها ملكا عضودا وارثا موروثا .
ولا تسع مثل هذا الكتيب للتفصيلات ، فليرجع اليها من شاء فى المراجع الكبيرة ، واكتفى بالاشارة الى قليل مما وقع فى صدر الدولة العباسية .

ابو العباس يحسن معاملة عبد الله بن الحسن واخيه الحسن بن الحسن :

ويؤخذ مما رواه أبو الفرج فى مقاتل الطالبيين أن أبا العباس لما تولى الخلافة وفد اليه عبد الله بن الحسن بن الحسن ، وأخوه الحسن بن الحسن

فوصـــلهما ، الا أنـــه ذكـــر لعبـــد الله ابنيـــه محمـــدا وابـــراهيم ، وقـــال مـــا خلفهمـــا ومنعهما أن يفدا الى أمير المؤمنين ، وكرر له ذلك مرات .

فقال لا والله ، ما هو كائن الا ما كتب الله

قــال : يــا اميــر المــؤمنين ، ففــيم تنغيصــك علــى هــذا الشــيخ نعمتــك التــى اوليته وايانا معه .

اضطهاد بنى الحسن ايام المنصور :

قــال أبــو الفــرج مقاتــل الطــالبيين ، كــان أبــو جعفــر المنصــور قــد طلــب محمــدا وابــراهيم ((ولــدى عبــد الله بــن الحســن بــن الحســن)) فلــم يقــدر عليهمــا ، فحــبس عبــد الله بــن الحســن وأخوتــه ، وجماعــة مــن أهــل بيتــه بالمدينــة ، ثــم أحضــرهم الــى الكوفــة ، فحبســهم بهــا ، فلمــا ظهــر محمــد قتــل عــدة مــنهم فــى الحبس .

وكان عبد الله بن الحسن بن الحسن شيخ بنى هاشم والمقدم فيهم وكان مصعب بن الزبير يقول انتهى كل حسن الى عبد الله بن الحسن . كان يقال من أحسن الناس فيقال عبد الله بن الحسن ، ويقال من أفضل الناس فيقال عبد الله بن الحسن ويقال من أقول الناس فيقال عبد الله بن الحسن .

حب عمر بن عبد العزيز لآل البيت :

وروى أبو الفرج كذلك بسنده عن سعيد بن ابان القرشى ، قال كنت عند عمر بن عبد العزيز ، فدخل عليه عبد الله بن الحسن وهو يومئذ شاب فى ازار ورداء فرحب به وأدناه وحياه ، وأجلسه الى جنبه وضاحكه ، ثم غمز عكنة من عكن بطنه ، وليس فى البيت يومئذ الا أموى ، فلما قام قالوا له : ما حملك على غمز بطن هذا الفتى قال : أنى أرجو بها شفاعة محمد صلى الله عليه وسلم .

قسوة المنصور فى معاملة آل البيت :

قارن بين هذا الذى يقوله الرجل الورع عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه وهو أموى ، وبين الذى فعله أبو جعفر وهو هاشمى ، فقد قيدهم فى الأغلال وحبسهم وحين حملوا من المدينة الى الكوفة حملوا على الأقتاب وهم فى القيود الثقال حتى كانت زينب بنت عبد الله بن الحسن تقول متحسرة على ما ترى من تعذيبهم واعبرتاه من الحديد والعباء والمحامل المعراه .

على بن الحسن وورعه :

وكان من بينهم على بن الحسن بن الحسن بن الحسن ، وكانوا فى ظلام السجن لا يدرون الليل من النهار ولا يعرفون أوقات الصلوات الا بأجزاء من القرآن يقرؤها رضى الله عنه ، وقد توفى وهو ساجد فى حبس أبى جعفر ، فقال عمه عبد الله أيقظوا ابن أخى ، فانى أراه قد نام فى سجوده قال فحركوه فاذا هو قد فارق الدنيا .

وحدث عنه من كان معه من أهله الحسنيين فقالوا : كانت حلق أقيادنا قد اتسعت فكنا اذا أردنا صلاة أو نوما جعلناها عنا ، فاذا خفنا دخول الحراس أعدناها ، وكان على بن الحسن لا يفعل فقال له عمه : يا بنى ما يمنعك أن تفعل قال لا والله ، لا أخلعه أبدا حتى اجتمع حتى أنا وأبو جعفر عند الله ، فيسأله لم قيدنى به .

قالوا وكان عدد المحبوسين ثمانية – فلما أدخلوا السجن قال على بن الحسن : اللهم ان كان هذا من سخط منك علينا فأشدد حتى ترضى .

فقال عبد الله بن الحسن : ما هذا يرحمك الله .

سبعة يموتون من آل البيت فى السجن :

وحدث عبد الله عن فاطمة الصغرى (بنت الامام الحسين وهى أم عبد الله) عن أبيها عن جدتها فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله : ((يدفن من ولدى سبعة بشاطئ الفرات لم يسبقهم الأولون ولا يدركهم الآخرون)) ، فقلت نحن ثمانية قال هكذا سمعت فقال فلما فتحوا الباب وجدوهم موتى الا واحدا ، قال الذى نجا منهم أصابونى وبى رمق وسقونى ماء وأخرجونى فعشت . قالوا واستمر حبسهم ستين ليلة ، وقد ضجر مرة عبد الله بن الحسن ضجرة فقال لعلى بن الحسن : ياعلى الا ترى مانحن فيه من البلاء ، ألا تطلب الى ربك عز وجل أن يخرجنا من هذا الضيق والبلاء .

قال فسكت عنه طويلا ثم قال :

يا عم ، ان لنا فى الجنة درجة لم تكن نبلغها الا بهذه البلية ، أو بما هو أعظم منها ، وان لأبى جعفر فى النار موضعا لم يكن ليبلغه حتى يبلغ منا مثل هذه البلية أو أعظم منها ، فان تشأ أن تصبر فما أوشك فيما أصابنا أن نموت فنستريح من هذا الغم كأن لم يكن منه شىء ، وان تشأ أن ندعو ربنا عز وجل أن يخرجك من هذا اغم ، وبقصر بأبى جعفر غايته التى له فى النار فعلنا .

قال : لا بل أصبر . فما مكثوا الا ثلاثا حتى قبضهم الله اليه ، قال أبو الفرج وتوفى على ابن الحسن وهو ابن خمس وأربعين سنة ، لسبع بقين من المحرم سنة ست وأربعين ومائة .

ويؤخذ مما قاله أبو الفرج فى مقاتل الطالبيين أنه كان فى الحبس مع عبد الله بن الحسن بن الحسن أولاد اخوته السادة : عبد الله بن الحسن بن الحسن بن الحسن (أخو السيد على المتقدم ذكره) ، والعباس بن الحسن ابن الحسن بن الحسن ، واسماعيل بن ابرهيم بن الحسن بن الحسن ويقال له طبا طبا ، ومحمد ابراهيم بن الحسن بن الحسن ، وعلى بن محمد بن عبد الله ابن الحسن بن الحسن ، وكان مع هؤلاء كذلك أخوهم لأمهم محمد محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان ، رضى الله عنهم أجمعين .

وقال أبو الفرج كان العباس بن الحسن بن الحسن بن الحسن أحد فتيان بنى هاشم وفيه يقول ابن هرمة :

لما تعرضت للحاجات واعتلجت عندى وعاد ضمير القلب وسواسا
سعيت أبغى لحاجات ومصدرها برا كريما لثوب المجد لباسا
هدانى الله للحسنى ووفقنى فاعتمت خير شباب الناس عباسا
قدح النبى وقدح من أبى حسن وعن حسين جرى لم يجر أحناسا

وحين أخذوا العباس الالسجن قالت امه وهى عائشة بنت طلحة دعونى أشمه شمة وأضمه ضمه فقالوا لا والله ما كنت فى الدنيا حية .

وقال أبو الفرج بسنده عن عبد الرحمن بن أبى الموالى وكان فى السجن مع بنى الحسن : كيف كان صبرهم على ماهم فيه ؟

قال : كانوا صبراء وكان فيهم رجل مثل سبيكة الذهب كلما أوقد عليها النار ازدادت خلاصا ، وهو اسماعيل بن ابراهيم ، كأنه كلما اشتد عليه البلاء ازداد صبرا .

قال أبو الفرج وكان السبب فى حبس عبد الله بن الحسن وأهله ، ان العوام لهجت بمحمد بن عبد الله تسمية المهدى حتى كان يقال محمد بن عبد الله المهدى،

المنصور وموقفه من محمد بن عبدالله :

وقف أبو جعفر المنصور من محمد بن عبدالله على النقيضين ، فقد كان يجله قبل أن يتطلع أبو جعفر للخلافة ، لا بل أنه بايعه بالخلافة مرتين ، كانت أحداهما بمكة فى المسجد الحرام ولما خرج محمد بن عبد الله من المسجد الحرام أمسك له أبو جعفر بالركاب وقال أما انه ان أفضى اليك الأمر نسيت لى هذا الموقف .

وقد روى أبو الفرج بسنده أن جماعة من بنى هاشم اجتمعوا بالأبواء ، وفيهم ابراهيم بن محمد بن على بن عبد الله بن العباس ، وأبو جعفر المنصور ، وصالح بن على ، وعبد الله بن الحسن بن الحسن ، وابناه محمد وابراهيم ، ومحمد بن عبد الله بن بن عمرو بن عثمان .

فقال صالح بن على : قد علمتم أنكم الذين تمد الناس أعينهم اليهم ، وقد جمعكم الله فى هذا الموضع ، فاعقدوا بيعة لرجل منكم تعطونه اياها من أنفسكم وتواثقوا على ذلك حتى يفتح الله وهو خير الفاتحين .

فقال أبو جعفر : لأى شىء تخدعون أنفسكم ، ووالله لقد علمتم ما الناس الى أطول أعناقا ولا أسرع اجابة منهم الى هذا الفتى – يريد محمد بن عبد الله .

قالوا قد صدقت ، ان هذا لهو الذى نعلم ، فبايعوا جميعا محمدا ومسحوا على يده .

قلق المنصور من محمد بن عبد الله :

لذلك كان أبو جعفر قلقا من تخلف محمد بن عبدالله عن مجلسه ، لأن له بيعة فى عنق أبى جعفر ، وانتهى به الأمر الى أن يشدد على عبد الله بن الحسن ويقول له : أين ابنك ؟ قال لا أدرى ، قال لتأتينى به ، فقال عبد الله : لو كان تحت قدمى ما رفعتهما عنه ، قال يا ربيع ، قم به الى الحبس ، فحبس وحبس مع أهله كما تقدم .

وقد حدث سيدى الحسن بن زيد قال : دخلنا على عبد الله ابن الحسن ابن الحسن ، بعثنا اليه رباح (والى المدينة) بكلمة فى أمر ابنيه ، فاذا به على حقيبة فى بيت فيه تبن ، فتكلم القوم حتى اذا فرغوا من كلامهم أقبل على فقال : يا ابن أخى والله لبليتى أعظم من بلية ابراهيم صلى الله عليه وسلم ، ان الله عز وجل أمر ابراهيم أن يذبح ابنه ، وهو لله طاعة ، قال ابراهيم (ان هذا لهو البلاء المبين) وانكم جئتمونى تكلمونى فى أن آتى بابنى هذا الرجل فيقتلهما ، وهو لله جل وعز معصية ، فوالله يا ابن أخى لقد كنت على فراشى فما يأتينى النوم ، وانى على ما ترى أطيب نوما .

قال أبو الفرج ، وكان محمد وابراهيم يأتيان أباهما معتمين فى هيئة الأعراب ، فيستأذنانه فى الخروج فيقول لا تعجلا حتى تملكا ، ويقول : ان منعكما أبو جعفر أن تعيشا كريمين ، فلا يمنعكما ان تموتا كريمين .

فضائل محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن :

قال أبو الفرج كان يقال له صريح قريش ، لأنه لم تقم عنه أم ولد فى جميع آبائه وأمهاته وجداته وكان أهل بيته يسمونه المهدى ، ويقدرون أنه الذى جاء فى الرواية ، وكان علماء آل أبى طالب يرون فيه أنه النفس الزكية وأنه المقتول بأحجار الزيت ، (وجاء فى مروج الذهب أنه كان يدعى النفس الزكية لزهده ونسكه) . وكان من أفضل أهل بيته ، وأكبر أهل زمانه فى علمه بكتاب الله ، وحفظه له ، وفقهه فى الدين ، وشجاعته ، وجوده ، وبأسه ، وكل أمر يجمل بمثله ، حتى لم يشك أحد أنه المهدى ، وشاع ذلك له فى العامة ، وبايعه رجال من بنى هاشم جميعا من آل أبى طالب ، وآل العباس ، وسائر بنى هاشم .

قالوا ثم ظهر من جعفر بن محمد (أى الصادق) قول فى أنه لا يملك ، وأن الملك يكون فى بنى العباس ، فانتبهوا من ذلك لأمر لم يكونوا يطمعون فيه .

أقول : وقد علمت مما طالعته ، أن كلام سيدى جعفر بن محمد كان ينظر فيه بنور البصيرة ، وكان رضى الله عنه نور من ربه ، بل لقد أحس

أن محمدا وابراهيم سيقتلان ولا يليان الخلافة ، وقد قال لأبيهما ان هذا الأمر والله ليس اليك ولا الى ابنيك وانما هو لهذا – يعنى السفاح ثم لهذا يعنى المنصور ثم لولده من بعده – لا يزال فيهم حتى يؤمروا الصبيان ويشاوروا النساء ، وكان أبوهما يستبعد قوله ، فكان الأمر صرح ، فتولى أبو العباس السفاح الخلافة ومن بعده أبو جعفر المنصور ، لذلك قالوا ان أبا جعفر المنصور هو الذى سماه (الصادق) فاشتهر بجعفر الصادق ، حيث تحقق للمنصور من كشفه ما كان بعيدا عن تصديقه وكان المنصور اذا حدث عنه قال : قال لى الصادق جعفر بن محمد كذا وكذا ٠

هذا وقد قال أبو الفرج أنه عند مقتل الوليد بن يزيد ، واختلاف كلمة بنى مروان خرجت دعاة بنى هاشم الى النواحى ، فكان أول ما يظهرونه فضل على بن أبى طالب وولده ، وما لحقهم من القتل والخوف والتشريد ، فاذا استتب لهم الأمر ادعى كل منهم الوصية لمن يدعوا اليه ٠

ثم قال ، فلما ظهرت الدعوة لبنى العباس وملكوا ، حرص السفاح والمنصور على الظفر بمحمد وابراهيم لما فى أعناقهم من البيعة لمحمد ، فتواريا ، فلم يزالا ينتقلان فى الاستتار ، والطلب يزعجهما من ناحية الى أخرى ، حتى ظهرا فقتلا ، صلوات الله عليهما ورضوانه ٠

ويقول ابن هرمة فى محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن :

لا والذى أنت منه نعمة سلفت   نرجو عواقبهما فى آخر الزمن
ما غيرت وجهه أم مهجنة   اذ القتام يغشى أوجه الهجن

وكان سيدى جعفر الصادق رضى الله عنه ، اذا رأى محمد بن عبد الله تغرغرت عيناه ثم يقول : بنفسى هو ، ان الناس يقولون فيه انه المهدى وأنه المقتول ٠ وكان سيدى جعفر الصادق مشهورا فى زمانه بكشف كثير من الأمور الغيبية ، والله يختص برحمته من يشاء (ولا يحيطون بشئ من علمه الا بما شاء) ٠

ونكتفى بهذا القدر مما جرى للسادة بنى الحسن فى صدر الدولة العباسية حتى لا يخرج بنا الأمر عن الايجاز الذى نتوخاه فى الكتيب ومن

أراد المزيد فليرجع الى مقاتل الطالبين وتاريخ الطبرى وغيرهما من المراجع الواسعة . ويرحم الله دعبلا الخزاعى حين كان يقول :

أرى أمية معذورين ان قتلوا ولا أرى لبنى العباس من عذر

وهو لا يقصد أن يعذر بنى أمية عذرا شرعيا ، انما يريد أنهم يعذرهم فى هوى نفوسهم ، وقد غلبهم على الحق فضلوا وأضلوا عن سواء السبيل ، ولم يكن لبنى العباس وهم من بنى هاشم أن يقلدوهم فى مسلكهم الضال المضل .

وأكادأجزم أنه لو قام عبد الله بن عباس ما تقدم ، على فضله وعلمه ، أحدا من الحسنيين أو الحسينيين ، فقد دخل مرة معاوية بعد موت سيدنا الحسن عليه السلام فقال له معاوية أنت شيخ بنى هاشم ، فقال : أما وأبو عبد الله حى فلا (يقصد سيدنا الحسين عليه السلام) ، وأين السفاح وأبو جعفر المنصور من جدهم عبد الله بن العباس فى العلم والفضل – وكان أمر الله قدرا مقدورا .

وفى مناسبة ذكرى دعبل ـــ رحمه الله ـــ نقتطف بعض أبيات من قصيدة له طويلة (١٢٠ بيتا) أنشدها فى خراسان بين يدى سيدى الامام على الرضا ابن سيدى موسى الكاظم وتحسر فيها على ما أصاب آل البيت من الاضطهاد والاغتراب والقتل ونوه بفضلهم وتمسك بحبهم :

ذكرت محل الربع من عرفات فأجريت دمع الأعين بالعبرات
وفل عرى صبرى وهاجت صبابتى رسوم ديار أقفرت وعرات
مدارس آيات خلت من تلاوة ومنزل وحى مقفر العرصات
لآل رسول الله بالخيف من منى وبالبيت والتعريف والجمرات
قفا نسأل الدار التى خف أهلها متى عهدها بالصوم والصلوات
وأين الألى شطت بهم غربة النوى فأمسين فى الأقطار مغتربات
أحب فضاء الدار من أجل حبهم وأهجر فيهم أسرتى وثقاتى
وهم أهل ميراث النبى اذا انتموا وهو خير سادات وخير حماة
أئمة عدل يقتدى بفعالهم وتؤمن منهم زلة العثرات

فيا رب زد قلبى هدى وبصيرة وزد حبهم يا رب فى حسناتى
لقد أمنت نفسى بهم فى حياتها وانى لارجو الأمن بعد وفاتى
ألم تر أنى من ثلاثين حجة أروح وأغدو دائم الحسرات
أرى فيئهم فى غيرهم متقسما وأيديهمو من فيئهم صفرات
سأبكيهمو ما ذر فى الأفق شارق ونادى منادى الخير بالصلوات
وما طلعتى وحان غروبها وبالليل أبكيهم و بالغدوات
فلولا الذى أرجوه فى اليوم أو غد لقطع قلبى اثرهم حسرات
فيا نفس طيبى ثم يا نفس فاصبرى فغير بعيد كل ما هو آت
ملامك فى أهل النبى فانهم أحباى ما عاشوا وأهل ثقاتى
تخيرتهم رشدا لأمر ى فانهم على كل حال خيرة الخيرات
فيارب زدنى من يقينى بصيرة وزد حبهم يا رب فى حسناتى

وقد قالوا أنه عندما بلغ فيها قوله :

اذا وتروا مدوا الى أهل وترهم أكفا عن الأوتار منقبضات

بكى سيدى على الرضا حتى أغمى عليه ، واستعاد ذلك البيت ثلاثا ، وفىكل مرة يغمى عليه فلما أفاق ، قال له أحسنت ثلاث مرات ، وأعطاه عشرة آلاف درهم مضروبة باسمه فى خراسان ، كما أعطاه ثوبا من ثيابه فعرض عليه ثلاثون ألفا ثمنا له فأبى وحلف ألا يبيعه أو يعطوه بعض الثوب ليكون فى كفنه فأعطوه ، وقالوا كذلك أنه حين قدم دعبل العراق باع كل درهم بعشرة دراهم ، اشتراها منه الشيعة .

وقد طلب منه المأمون انشاد تلك القصيدة وقال له لك الأمان فلا تخف ، فصار ينشدها والمأمون يبكى حتى أخضلت (تبللت) لحيته .

وفاة الامام الحسن بن على رضى الله عنه :

قال أبو الفرج ، كانت وفاته عليه السلام بعد عشر سنين خلت من امارة معاوية ، وذلك فى سنة ٥٠ من الهجرة ، وقال أبو الفدا وابن الأثير الصحيح أنه توفى فى سنة ٤٩ هـ

الامام الحسن عليه السلام يموت مسموما :

قال أبو الفرج : دس معاوية السم للامام الحسن حين أراد أن يعهد الى يزيد بعده ، وكذلك دس معاوية السم لسعد بن أبى وقاص ، فماتا منه فى أيام متقاربة ٠

قال أبو الفرج : وكان الذى تولى ذلك من الحسن زوجته جعدة بنت الأشعث بن قيس لمال بذله لها معاوية فقد أرسل اليها انى مزوجك بيزيد ابنى ، على أن تسمى الحسن بن على وبعث اليها بمائة ألف درهم ، فقبلت وسمت الحسن ، فسوغها المال ولم يزوجها من يزيد ، فخلف عليها رجل من آل طلحة فأولدها ، فكان اذا وقع بينهم وبين بطون قريش كلام عيروهم ، وقالوا يا بنى مسمة الأزواج ٠

وروى أبو الفرج بسنده عن عمير بن اسحق ، قال كنت مع الحسن والحسين فى الدار ، فدخل الحسن المخرج ، ثم خرج فقال سقيت السم مرارا ما سقيته مثل هذه المرة ، ولقد لفظت قطعة من كبدى ، فجعلت أقلبها بعود معى ، فقال له الحسين : من سقاكه ، فقال وما تريد منه ، أتريد أن تقتله ، ان يكن هو فالله أشد نقمة منك ، وان لم يكن هو فما أحب أن يؤخذ بى برئ ٠

رأى الدكتور طه حسين فى قصة السم :

ويقول عميد الأدب العربى الدكتور طه حسين تعليقا على قصة السم :

(ولست أقطع بأن معاوية قد دس الى الحسن من سمه ، ولكنى لا أقطع كذلك بأنه لم يفعل ، فقد عرف الموت بالسم فى أيام معاوية على نحو غريب مريب فقد مات الأشتر ــ فيما يقول المؤرخون مسموما فى طريقه الى ولاية مصر ، فخلصت مصر لمعاوية ، وقال معاوية وعمرو (ان الله لجندا من عسل) ومات عبد الرحمن بن خالد بن الوليد مسموما بحمص فى خبر طويل ، ومات الحسن بين هذين الرجلين مسموما كذلك فى أكبر الظن ، وخلصت الخلافة لمعاوية وابنه يزيد) ٠

أقول وعلى الرغم من أن جميع المصادر العربية تقول أن الحسن مات مسموما فان دائرة المعارف الاسلامية وهى من صنع المستشرقين ، زعمت كاذبة أنه مات بمرض السل لافراطه فى الشهوة ، وهذا دأب المستشرقين فيما يكتبون ، فانهم يحاولون دائما أن يضعفوا الثقة فى أئمة المسلمين وسلفهم الصالح ، وهيهات أن يحجبوا نور الشمس بأكفهم ، ويأبى الله الا أن يتم نوره ولو كره الكافرون .

معاوية يشمت بموت الامام الحسن :

وفد عبد الله بن عباس على معاوية ، قال فوالله انى لفى المسجد اذ كبر معاوية فى الخضراء ، فكبر أهل الخضراء ثم كبر أهل المسجد بتكبير أهل الخضراء ، فخرجت فاختة بنت قرظة بن عمرو بن نوفل من خوخة لها فقالت : سرك الله يا أمير المؤمنين ، ما هذا الذى بلغك فسررت به ، قال موت الحسن بن على ، فقالت انا لله وانا اليه راجعون ، ثم بكت وقالت مات سيد المرسلين وابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال معاوية : نعما والله ما فعلت انه كان كذلك أهلا لأن يبكى عليه .

ثم بلغ الخبر ابن عباس رضى الله عنهما فراح فدخل على معاوية ، فقال معاوية : علمت يا ابن العباس أن الحسن قد توفى ، قال ألذلك كبرت ، قال نعم ، قال ابن عباس :

والله ما موته بالذى يؤخر أجلك ولا حفرته بسادة حفرتك ، ولئن أصبنا به فقد أصبنا بسيد الأوصياء ، فجبر الله تلك المصيبة ورفع تلك العبرة ، فقال ويحك يا ابن عباس ما كلمتك الا وجدتك معدا .

وقد قال أحد الشعراء فى شماته معاوية :

أصبح اليوم ابن هند شامتا ظاهر النخوة اذ مات الحسن

يا ابن هند ان تذق كأس ا لردى تك فى الدهر كشىء لم يكن

لست بالباقى فلا تشمت به كل حى للمنايا مرتهن

ولم تكن شماتة معاوية بموت الامام الحسن مستغربة ، فقد شمت من قبل فى أبيه الامام على كما سترى فيما بعد .

وقــد نســب بعــض الــرواة دس الســم الــى يزيــد ، ولعلهــم راعــوا فــى ذلــك صــحبة معاويــة فــأرادوا أن يجنبــوه قتــل الــنفس التــى حــرم الله الا بــالحق ، ولكنــك ســتعلم بعــد حــين أنــه قتــل حجــر بــن عــدى وهوصــحابى جليــل ، وقتــل معــه أصــحاب حجــر لا لــذنب الا أنهــم كــانوا مــن محبــى الامــام علــى وبنيــه ، وقــد قــال تعــالى لرســوله داود عليــه الســلام ولا تتبــع الهــوى فيضــلك عــن ســبيل الله) ، ودع عنــك الــدماء التــى ســالت مــن عشــرات الالــوف فــى الجمــل وصــفين والمعــارك التــى ترتبــت علــى بيعــة يزيــد ، وقــد ترتبــت كلهــا علــى موقــف معاويــة من الامام على وابنيه ، ولم يكن له عذر شرعى فيه .

الامام الحسن يوصى ان يدفن الى جنب جده صلى الله عليه وسلم :

روى أبــو الفــرج بســنده أن الامــام الحســن عليــه الســلام أرســل الــى السـيدة عائشــة رضــى الله عنهــا أن تــأذن لــه أن يــدفن مــع النبــى صــلى الله عليــه وســلم فقالــت نعــم مــا كــان بقــى الا موضــع قبــر واحــد ، فلمــا ســمعت بــذلك بنــو أميــة : اشــتملوا بالســلاح هــم وبنــو هاشــم للقتــال ، وقالــت بنــو أميــة : والله لا يدفن مع النبى صلى الله عليه وآله أبدا .

فبلــغ ذلــك الحســن فارســل الــى أهلــه ، أمــا اذا كــان هــذا فــلا حاجــة لــى فيــه : ادفنــونى الــى جانــب أمــى فاطمــة ، فــدفن الــى جنــب أمــه فاطمــة عليهــا الســلام بــالبقيع ، وصــلى عليــه ســعيد بــن العــاص وكــان أميــر بالمدينــة ، قدمــه الامــام الحسين للصلاة على أخيه وقال لولا أنها سنة ما قدمتك .

وصية الامام الحسن لاخيه الحسين :

لمــا حضــرت الامــام الحســن الوفــاة قــال لأخيــه الامــام الحســين رضــى الله عنهما :

يــا أخــى ، ان أبانــا رحمــه الله تعــالى ، لمــا قــبض رســول الله صــلى الله عليــه وســلم استشــرف لهــذا الأمــر ورجــا أن يكــون صــاحبه ، فصــرفه الله عنــه ووليهــا أبو بكر ، فلما حضرت أبا بكر الوفاة ، تشوف اليها أيضا فصرفت عنه الى

عمر ، فلما احتضر عمر ، جعلها شورى بين ستة هو أحدهم فلم يشك أنها لا تعدوه ، فصرفت عنه إلى عثمان ، فلما هلك عثمان ، بويع ، ثم نوزع حتى جرد السيف ، وطلبها فما صفا له شئ منها .

وانى والله ما أرى أن يجمع الله فينا أهل البيت النبوة والخلافة ، فلا أعرفنك استخفك سفهاء أهل الكوفة فأخرجوك ، وقد كنت طلبت الى عائشة اذا مت أن تأذن لى فأدفن فى بيتها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالت نعم ، وأنى لا أدرى لعل ذلك كان منها حياء ، فاذا أنا مت فاطلب ذلك اليها ، فان طابت نفسها فادفنى فى بيتها ، وما أظن الا القوم سيمنعونك اذا أردت ذلك ، فان فعلوا فلا تراجعهم فى ذلك وادفنى فى بقيع الغرقد .

قالوا ، ولما بلغ أبا هريرة أن مروان منع أن يدفن الامام الحسن مع جده صلى الله عليه وسلم ، قال والله ما هو الا ظلم ، يمنع الحسن أن يدفن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، انه لابن رسول الله ، ثم انطلق الى الامام الحسين وناشده الله وقال له : أليس قد قال أخوك ان خفت أن يكون قتال فردونى الى مقبرة المسلمين .

قال ثعلبة بن أبى مالك : شهدت الحسن يوم مات ودفن فى البقيع ، فلقد رأيت البقيع لو طرحت فيه ابرة ما وقعت الا على رأس انسان (لشدة الزحام) .

ولم يشهد جنازته أحد من بنى أمية الا سعيد بن العاص ، وكان يومئذ أميرا على المدينة فتركوه فشهد دفنه فى المقبرة وقال هى السنة ، وخالد بن الوليد بن عقبة ، ناشد بنى أمية يتركوه يشاهد الجنازة ، فتركوه فشهد دفنه .

وانك لتعجب كيف لا يشيع بنو أمية جنازة الامام الحسن ، وهو الذى سالمهم وحقن دماءهم ودماء المسلمين ولعلهم خافوا سطوة معاوية وها قد رأيت أن أهل المدينة خرجوا لتشييعه حتى لو طرحت فى البقيع ابرة ما وقعت الا على رأس انسان ، وهكذا يفضح الصبح فحمة الدجى .

رثاء أخيه محمد بن الحنفية :

مر على القارىء العزيز ما رثاه به الامام الحسين رضى الله عنه ، وهاك ما رثاه به أخوه لأبيه محمد بن الحنفية رضى الله عنهم أجمعين :

لئن عزت حياتك ، لقد هدت وفاتك ، ولنعم الروح روح تضمنه كفنك ، ولنعم الكفن كفن تضمن بدنك ، وكيف لا تكون هكذا ، وأنت عقب الهدى ، وخلف أهل التقوى ، وخامس أصحاب الكساء ، غذتك بالتقوى أكف الحق ، وأرضعتك ثدى الايمان ، وربيت فى حجر الاسلام ، فطبت حيا وميتا ، وان كانت أنفسنا غير سخية بفراقك ، رحمك الله أبا محمد .

ثم أنشد يقول

أأدهن رأسى أم تطيب مجالسى وخدك معفور وأنت سليب
أأشرب ماء المزن من غير مائه وقد ضمن اللآحشاء منك لهيب
سأبكيك ما ناحت حمامة أيكة وما اخضر فى أرض الحجاز قضيب
غريب وأكناف الحجاز تحوطه ألا كل من تحت التراب غريب

رثاء رجال من ولد ابى سفيان بن الحارث :

وقام رجل من ولد أبى سفيان بن الحارث بن عبد المطلب فقال :

ان أقدامكم قد نقلت ، وان أعناقكم قد حملت الى هذا القبر ، وليا من أولياء الله ، ليبشر نبى الله بمقدمه ، وتفتح أبواب السماء لروحه ، وتبتهج الحور العين بلقائه ، ويأنس به سادة أهل الجنة من أمته ، ويوحش أهل الحجى والدين فقده ، رحمة الله عليه ، وعنده تحتسب المصيبة به .

رثاء شاعر النجاشى :

ومما قاله الشاعر النجاشى فى رثاء الامام الحسن عليه السلام :

جعدة بكيه ولا تسأمى بعد بكاء المعول الثاكل
لم يسبل الستر على مثله فى الأرض من حاف ومن ناعل
أعنى الذى أسلمنا هلكه للزمن المستخرج الماحل

ورثاء شاعر آخر فقال :

تأس فكم لك من سلوة   تفرج عنك غليل الحزن
بموت النبى وقتل الوصى   وقتل الحسين وسم الحسن

رثاء سليمان بن قته :

روى أبو الفرج بسنده عن محمد بن على بن حمزة أن سليمان بن قتة قال فى رثاء الامام الحسن :

يا كذب الله من نعى حسنا   ليس لتكذيب نعيه ثمن
كنت خليلى وكنت خالصتى   لكل حى من أهله سكن
أجول فى الدار لا أراك وفى   الدار أناس جوارهم غبن
بدلتهم منك ليت أنهمو   أضحوا وبينى وبينهم عدن

أقول وصدق صلى الله عليه وسلم حين قال (الخلافة بعدى ثلاثون ثم تصير ملكا عضودا) ، وقد كملت الثلاثون سنة بخلافة الامام الحسن عليه السلام ، ثم صارت ملكا عضودا ، لم تنسن فيه خلافة الراشدين ، وصدق امامنا على بن أبى طالب حين رأى الناس يجنحون الى الدنيا فقال : أردتكم لله ، وتريدوننى لأنفسكم .

من حكم الامام الحسن عليه السلام :

ونسرى قليلا عن القارىء العزيز ببعض من الحكم التى فاض بها قلب الامام الحسن عليه السلام ، ولا تعجب من علو مستواها فانه شبل الامام على كرم الله وجهه ، وسترى وصيته له ، وتعرف منها كيف كانت عناية أبيه بتربيته .

قال الامام الحسن رضى الله عنه : حسن السؤال نصف العلم .

وقال : من بدأ بالكلام قبل السلام فلا تجيبوه .

وسئل عن الصمت فقال ، هو سر العى ، وزين العرض ، وفاعله فى راحة ، وجليسه فى أمن .

وقيل له : ان أبا ذر يقول : الفقر أحب الى من الغنى ، والسقم أحب الى من الصحة ، فقال رحم الله أبا ذر ، أما أنا فأقول : من اتكل على حسن اختيار الله ، لم يتمن أنه فى غير الحالة التى اختارها الله له ٠

وكان رضى الله عنه يقول :

يا ابن آدم ، عف عن محارم الله تكن عابدا ، وارض بما قسم الله لك تكن غنيا ، وأحسن جوار من جاورك تكن مسلما ، وصاحب الناس بمثل ما تحب أن يصاحبوك به تكن عادلا ٠

وقد سأله أبوه يوما فقال له : يا بنى ما السداد ، فقال : دفع المنكر بالمعروف ٠

قال فما الشرف ، قال : اصطناع العشيرة واحتمال الجريرة ٠

قال فما السماح ، قال البذل فى العسر واليسر ٠

قال فما اللؤم ، قال : احراز المرء ماله وبذل عرضه ٠

قال فما الجبن ، قال : الجراءة على الصديق والنكول عن العدو ٠

قال فما الغنى ، قال : رضى النفس بما قسم الله لها وان قل ٠

قال فماالحلم ، قال : كظم الغيظ وملك النفس ٠

قال فما المنعة ، قال : شدة البأس ومنازعة أعز الناس ٠

قال فما الذل ، قال : الفزع عند الصدمة ٠

قال فما الكلفة ، قال كلامك فيما لا يعنيك ٠

قال فما المجد ، قال : ان تعطى فى الغرم وتعفو فى الجرم ٠

قال فما السؤدد ، قال : اتيان الجميل وترك القبيح ٠

قال فما السفه ، قال اتباع الدناءة ومحبة الغواية ٠

قال فما الغفلة ، قال : ترك المسجد وطاعة المفسد ٠

وكان رضى الله عنه يقول : لا أدب لمن لا عقل له ، ولا مودة لمن لاهمة له ، ولا حياء لمن لا دين له ، ورأس العقل معاشرة الناس بالجميل ، وبالعقل تدرك الداران جميعا ٠

وكـــان يقـــول : هـــلاك النـــاس فـــى ثـــلاث : فـــى الكبـــر والحـــرص والحســـد ، فـــالكبر هـــلاك الـــدين وبـــه لعـــن ابلـــيس ، والحـــرص عـــدو الـــنفس وبـــه أخـــرج أدم من الجنة ، والحسد رائد السوء ومنه قتل قابيل هابيل

وكان رضى الله عنه كثيرا مايتمثل:

يا أهل لذات دنيا لا بقاء لها ان اغترارا بظل زائل حمق

وقـــال رضـــى الله عنـــه : لا تـــأت رجـــلا الا أن ترجـــو نوالـــه ، أو تخـــاف يـــده ، أو تســـتفيد مـــن عملـــه ، أو ترجـــو بركتـــه ودعـــاءه ، أوتصـــل رحمـــا بينـــك وبينـــه .

وقـــال أيضـــا عليـــه الســـلام : علـــم النـــاس علمـــك وتعلـــم علـــم غيـــرك ، فتكـــون وقد انفقت علمك علمت .

وقـــال عليـــه الســـلام : دخلـــت علـــى أميـــر المـــؤمنين وهـــو يجـــود بنفســـه لمـــا ضـــربه ابـــن ملجـــم ، فجزعـــت لـــذلك فقـــال أتجـــزع ، فقلـــت وكيـــف لأجـــزع وأنـــا أراك فـــى حالـــك هـــذه ، فقـــال ألا أعلمـــك خصـــالا أربعـــا ان أنـــت حفظـــتهن نلـــت النجاة ، وان انت ضيعتهن فاتك الداران .

يـــا بنـــى لا غنـــى أكبـــر مـــن العقـــل ، ولا فقـــر مثـــل الجهـــل ، ولا وحشـــة أشد من العجب ، ولا عيش الذ من حسن الخلق .

الباب الثانى
تاريخه السياسي

* كيف بويع الامام على
* فتنة الخوارج
* الخلافة والملك
* لماذا تنازل الامام الحسن عن الخلافة

لا يستطيع القارئ أن يتفهم تاريخ الامام الحسن السياسى من غير أن يقف على موجز لتاريخ أبيه الامام على كرم الله وجهه ، لأن الأمامين الحسن والحسين عليهما السلام ، شاركا أباهما فى سلمه وحربه ، وعاصرا خطوبه التى تتابعت عليه خطبا بعد خطب ، تلك الخطوب التى تهد الجبال من هولها ، كما انهما عاشرا معه أصحابه وأنصاره ، وقاتلا معه أعداءه وخصومه ، وانما كان الذى وقع لهما بعد قتل أبيهما حلقات فى سلسلة واحدة يتصل أولها بآخرها ٠

ونوجز تاريخ أمير المؤمنين الامام على كرم الله وجهه فنقول :

انتهت الثورة على أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضى الله عنه بمقتله ، وكان الثوار قد وفدوا الى المدينة المنورة من مصر والكوفة والبصرة ، وقد قتلوه بعد أن حاصروه فى داره أربعين يوما ، ولم يذكروا له أياديه البيضاء على الاسلام والمسلمين ، ولم يذكروا له أن جيوشه صانت هيبة الدولة الاسلامية بعد مقتل أمير المؤمنين عمر رضى الله عنه ، وغزت برا وبحرا وأمنت سلامة الدولة ، وضمنت بلادا كثيرة فى الشرق والغرب اليها ، كما لم يذكروا له انه جمع المصحف الشريف على ترتيبه الحالى ، وعلى القراءة الغالبة فى زمانه ، حتى لا يختلف المسلمون فيقول هؤلاء قرآننا ويقول أولئك قرآننا ، وهذا من أمجد الأعمال وأجرئها بشهادة الباحثين المدفقين ٠

لكن الفتنة كانت صماء عمياء ، وقام بها الدهماء وحركها اليهودى المنافق عبد الله بن سبأ المعروف بابن السوداء ، وكان من رأى امامنا على أن يقاتل دفاعا عن الخليفة المحصور ، واستأذن أمير المؤمنين عثمان فى القتال لكنه لم يقبل كما سترى ، وخشى أن تقوم بين المسلمين حرب أهلية تراق فيها الدماء ، فآثر أن يضحى بنفسه ولا يكون سببا فى حرب شعواء ٠

ولم يتخل الامام علىعن نصرة أمير المؤمنين عثمان ، بكل ما ملكت يداه ، فكان يمده بالرأى الناصح الأمين ، وأرسل ولديه الامامين الحسن والحسين فقاما بسيفهما على بابه ليدفعا الثوار من اقتحامه ، وحين منع

الثوار الماء عن أمير المؤمنين عثمان أرسل امامنا على قرب الماء على عجل .

وكان موقف امامنا على من هذه الفتنة فى غاية الدقة ، فالثوار كانوا يلجأون اليه ويلوذون به ، وأمير المؤمنين عثمان كان يراجعه ويشاوره المرة بعد المرة ، وكلما هم أمير المؤمنين عثمان أن يعمل برأى امامنا على ، كان مروان يشككه ويخوفه ، حتى وقع ما قدر الله أن يكون من استشهاد أمير المؤمنين عثمان ، حيث تسور الثوار عليه الدار من الخلف من بيت مجاور لأحد الأنصار وقتلوه ، وقد حزن لقتله سيدنا على ، ولطم ابنه الحسن على وجهه ظنا منه أنهم دخلوا من الباب .

وبقيت المدينة خمسة أيام بعد الاستشهاد يحكمها الغافقى بن حرب زعيم الثوار ، وهم يلتمسون من يجيبهم الى القيام بالخلافة .

وكان هوى أهل مصر مع الامام على ، وهوى أهل البصرة مع طلحة ابن عبيد الله ، وهوى أهل الكوفة مع الزبير بن العوام .

وكان المصريون يلحون على الامام على ، وهو يهرب منهم الى الحيطان (البساتين) ، ويطلب الكوفيون الزبير فلا يجدونه ، والبصريون يطلبون طلحة فلا يجيبهم .

فقالوا فيما بينهم ، لا نولى أحد من هؤلاء الثلاثة ، فمضوا الى سعد بن أبى وقاص ، فقالوا انك من أهل الشورى ، فلم يقبل منهم ، ثم راحوا الى ابن عمر فابى عليهم ، فحاروا فى أمرهم .

ثم قالوا : ان نحن رجعنا الى أمصارنا بقتل عثمان من غير أمرة ، اختلف الناس فى أمرهم ولم نسلم ، فرجعوا الى الامام على والحوا عليه ، فأخذ الأشتر بيده فبايعه وبايعه الناس ، وكلهم يقول لا يصلح لها الا على وقد أرادوا أن يبايعوه فى داره ، فأبى الا أن تكون البيعة علانية فى المسجد ، وقال لو تخلف عنى بدرى واحد من أهل بدر لا أقبل الخلافة ، فبايعه المهاجرين والأنصار وأهل بدر ولم يتخلف عنه بدرى واحد .

فلمـــا كـــان يـــوم الجمعـــة ، وصـــعد المنبـــر ، بايعـــه مـــن لـــم يبايعـــه بـــالأمس وكان أول من بايعه طلحة ، ثم الزبير .

وأنـــت تـــرى مـــن ذلـــك أن الخلافـــة جاءتـــه منقـــادة راغمـــة ، ولـــم يكـــن غيـــره يصـــلح لهـــا علـــى الشـــروط التـــى شـــرطها الثـــوار ، لـــذلك كـــان ، كـــرم الله وجهـــه ، صادقا حين قال : أن العامة لم تبايعنى لسلطان غالب ، ولا لعرض حاضر .

وبـــراءة الامـــام علـــى مـــن دم أميـــر المـــؤمنين عثمـــان أوضـــح مـــن الواضـــح وأظهـر مـن الظـاهر ، ولـو كـان أميـر المـؤمنين عثمـان يشـك فيـه ولـو قلـيلا مـا فـزع اليـــه كلمـــا تحرجـــت عليـــه الأمـــور ، وقـــد ســـاعده فـــى تفـــريج الأمـــور ، فصـــرف النـــاس عـــن الالتفـــاف حـــول طلحـــة ، وأعطـــاهم الأمـــوال مـــن بيـــت المـــال ، حتـــى اضـطر حـين لـم يجـد المفتـاح أن يكسـر البـاب ليعجـل لهـم العطـاء فتسـكن ثـأرتهم ، وقـد سـر عملـه هـذا اميـر المـؤمنين عثمـان رضـى الله عنـه ، وقـد كـان علـى يقـين مـن اخـلاص امامنـا علـى ووفائـه ، يـدلك علـى ذلـك أنـه أتصـل بـه فـى آخريـات أيامـه فقـــال : ان أمـــر النـــاس ارتفـــع فـــى شـــأنى فـــوق قـــدره وزعمـــوا أنهـــم لا يرجعـــون دون دمى ، وطمع فى من لا يدفع عن نفسه :

فان كنت مأكولا فكن خير آكل . . والا فأدركنى ولما أمزق .

وقـــد حـــاول امامنـــا علـــى ، كـــرم الله وجهـــه ، أن يـــدفع الشـــر عـــن الخليفـــة بكـــل مـــا ملكـــت يـــداه ، حتـــى غلـــب قضـــاء الله ، فقـــد روى شـــداد بـــن أوس أن الامـــام عليـــا خـــرج مـــن داره حـــين أحـــاط الثـــوار بيـــت عثمـــان عليـــه الســـلام معتمـــا بعمامـــة رســـول الله صـــلى الله عليـــه وســـلم متقلـــدا ســـيفه ، أمامـــه الحســـن وعبـــد الله بـــن عمـــر فى نفر من المهاجرين والأنصار حتى حملوا على الناس وفرقوهم .

ثـــم دخلـــوا علـــى الخليفـــة ، فســـلم عليـــه الامـــام علـــى ، وقـــال بعـــد تمهيـــد وجيـــز لا أرى القـــوم الا قاتليـــك فمرنـــا فلنقاتـــل ، فقـــال الخليفـــة : أنشـــد الله رجـــلا رأى لله حقـــا وأقـــر أن لـــى عليـــه حقـــا ، أن يهريـــق فـــى ســـبيلى مـــلء محجمـــة مـــن دم ، أو يهريق دمه فى ، فأعاد على القول ، فاعد الخليفة عليه الجواب .

ثـــم خـــرج الامـــام علـــى مـــن عنـــده الـــى المســـجد ، وحضـــرت الصـــلاة فنـــادوه : يا أبا الحسن تقدم بالناس ، فقال : لا أصلى بكم والامام محصور

ولكنــى أصـــلى وحـــدى ، ثـــم صـــلى وحـــده وانصـــرف الـــى منزلـــه ، وتـــرك ابنيـــه الحســـن والحســـين مـــع أبنـــاء زمـــرة الصـــحابة فـــى حراســـة دار الخليفـــة ، الا أن الثـــوار تســـوروا الـــدار مـــن دار مجـــاورة وقتلـــوا الخليفـــة كمـــا مـــر القـــول ، فمـــات شـــهيدا ، ولـــو شـــاء لســـفك دمـــاء الثـــوار قبـــل أن يمســـوه بســـوء ، بمالـــه مـــن ولايـــة وسلطان عليهم ، ولكن الله غالب على أمره .

أقـــول ومـــن عجـــب أن يـــتهم معاويـــة وأعوانـــه الامـــام علـــى بقتـــل عثمـــان رضـــى الله عنـــه ، وقـــد بـــذل جهـــد مســـتطاع فـــى نصـــرته وحمايتـــه حتـــى أنـــه عهـــد الـــى ولديـــه الحســـن والحســـين أن يقفـــا مـــدافعين عنـــه بســـيفيهما مـــع أنـــه كـــان يضـــن بهمـــا خشـــية أن ينقطـــع بموتهمـــا نســـل رســـول الله صـــلى الله عليـــه وســـلم فـــى الأرض ، ولـــم يحـــرك معاويـــة ســـاكنا فـــى نصـــرة عثمـــان عليـــه الســـلام ، وكـــان معاويـــة متمكنـــا فـــى ولايتـــه بالمـــال والرجـــال ، وكـــان حاضـــرا المـــؤتمر الـــذى عقـــده أميـــر المـــؤمنين عثمـــان مـــن مستشـــاريه للتفكـــر فـــى طلبـــات الثـــوار ، كمـــا كـــان عمـــرو بـــن العـــاص حاضـــرا ذلـــك المـــؤتمر ورأوا رأى العـــين خطـــر الثـــورة علـــى الخليفـــة ، ولكـــن معاويـــة كـــان يتطلـــع فـــى نفســـه الـــى الخلافـــة اذا أقصـــى عثمـــان عنهـــا ، وكـــان عمـــرو موتـــورا مـــن عثمـــان حيـــث عزلـــه عـــن ولايـــة مصـــر فكـــان يحـــرض عليـــه ، لا بـــل انـــه أول مـــن أشـــار عليـــه بـــاعتزال الخلافـــة فـــأبى عثمـــان اعتزالهـــا وقـــال لا أنـــزع قميصـــا ألبســـنيه الله ، كمـــا أبـــى أن يخـــرج مـــن المدينـــة وقـــال ، لا أتـــرك جـــوار رســـول الله صلى الله عليه وسلم .

موقعة الجمل :

ولكن ما الحيلة فى مغالطة المغالطين من خصوم الامام على ، فقد رموه بدم عثمان زورا وبهتانا وطلبوه بتسليم قتلته أو القود (القصاص) منهم تعجيزا له فى بداية خلافته .

أما القتلة فلم يكونوا معروفين على وجه التحديد ، وأما القود فلولى الأمر ، وهم لم يعترفوا بولايته ومن كان منهم بايعه عدل عن بيعته .

ذلك بأن طلحة والزبير ، تعللا بمقتل عثمان ، بعد أن كان بايعا أمير المؤمنين عليا ، على ملأ من المهاجرين والأنصار ، كما تعلل بمقتل عثمان

معاوية حين أبى يبايع ، مع أن المدينة من المهاجرين والأنصار عقدوا لأمير المؤمنين على البيعة ، والناس تبع لهم سائر الأقطار والأمصار وجرى الأمر على ذلك فى خلافة سادتنا أبى بكر وعمر وعثمان رضى الله عنهم .

وكان الامام على رضى الله عنه ، من الذكاء بحيث لا تنطلى عليه حيلة خصومه ، لكنه كان يعامل الله فى عباده ، فيخشاه سبحانه ولا يخشى الناس ، فوسع خصومه بالحلم والمهادنة ، والاقناع قبل أن يجرد فيهم سيفه ، ليعذره الله فى قتالهم بماله من ولاية وسلطان عليهم .

وكان لمعاوية أكبر ضلع فى تلك الفتنة المشؤومة ، فانه كتب من الشام لطلحة ولقبه بأمير المؤمنين ولم يكن ذلك جائزا منه ، فان بيعة أهل المدينة ، وقد بايعوا الامام عليا ، قد لزمت معاوية ، وهو بالشام ، كما لزمته بيعة الخلفاء قبله ، كما أن معاوية حرض طلحة على مناوأة أمير المؤمنين على .

وقد طلب طلحة والزبير أن يشركهما أمير المؤمنين على معه أو أن يوليهما البصرة والكوفة ، أما اشراكهما فى الخلافة فليس بالأمر الطبيعى ، فالخلافة له وحده ، وأما الولاية ، فانها كانت تمكنهما من مناوأته ، وكانت العراق موطن المال والرجال ، كما أنها قريبة الجوار من بلاد الشام التى أتت منها مناوأة معاوية .

وقد استأذن طلحة والزبير أمير المؤمنين عليا فى الخروج لمكة ، وقالا له ، اننا نريد العمرة ، فقال لهما انكما لا تريدان العمرة بل تريدان الغدرة .

وقد أفلح طلحة والزبير فى اقناع السيدة عائشة رضى الله عنها فى الخروج معهما الى العراق ، وتأييدها ، وكان طلحة تميميا من أبناء عمومتها ، وكان الزبير زوجا لأختها السيدة أسماء بنت أبى بكر ، وكذلك رجاها ابن أختها عبد الله بن الزبير ، وكان ربيبا لها من طفولته ، بل انها كانت تكنى به ويقال لها (أم عبد الله) ومولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذى اختار لها هذه الكنية .

خـــرج طلحـــة والزبيـــر بجيشـــهما الـــى البصـــرة ، وخرجـــت مـــع الجـــيش الســـيدة عائشـــة ، وحـــين اختلفـــا فـــى الطريـــق أيهمـــا يكـــون امامـــا قـــدمت ابـــن اختهـــا عبـــد الله ابن الزبير فصلى بالناس .

وقـــد تحققـــت فـــى الطريـــق معجـــزة للنبـــى صـــلى الله عليـــه وســـلم فانـــه قـــال مـــرة لســـيدتنا أمهـــات المـــؤمنين : أيـــتكن صـــاحبة الجمـــل الأحـــدب ، تنبحهـــا كـــلاب الحـــوأب ، ثـــم نظـــر الـــى الشـــيدة عائشـــة وقـــال لهـــا اخشـــى أن تكونيهـــا يـــا حميـــراء . فقـــد نبحـــت كـــلاب الحـــواب ، وكانـــت ســـيدتنا عائشـــة تركـــب الجمـــل الحـــدب ، ولمـــا علمـــت بـــذلك همـــت بـــالرجوع ، فـــاتى لهـــا عبـــد الله بـــن الزبيـــر بجماعـــة مـــن البـــدو شـــهدوا زورا بـــأن هـــذه الجهـــة ليســـت الحـــواب ، وكانـــت هـــذه بكل أسف ، أول شهادة زور وقعت لله الاسلام .

فســـارت مـــع الجـــيش مكذوبـــة ومخدوعـــة ، رضـــى الله عنهـــا ، وكـــان مـــا قـــدر الله مـــن التحـــام جـــيش طلحـــة والزبيـــر بقـــوات أميـــر المـــؤمنين علـــى فـــى البصـــرة فـــى الواقعة التى عرفت بواقعة الجمل نسبة الى الجمل الذى كانت تركبه أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها .

وكان من عادة أمير المؤمنين على ، أن يبدأ باقناع خصومه قبل أن يبدأهم بالقتال كما قدمنا .

فنـــادى الزبيـــر مـــن صـــفوفهم ، وقـــال لـــه : أتـــذكر انـــك يومـــا صـــافحتنى وعـــانقتنى بحضـــرة رســـول الله صـــلى الله عليـــه وســـلم فقـــال لـــك أتحبـــه ، فقلـــت كيـــف لا أحبـــه وهـــو اخـــى وابـــن خـــالى ، فقـــال لـــك : أمـــا انـــك ســـتقاتله وأنـــت ظـــالم لـــه ، فقـــال الزبيـــر : لقـــد اذكرتنـــى مـــا انســـانيه الـــدهر ، لـــو ذكـــرت ذلـــك ماخرجـــت والله لا أقاتلـــك ابـــدا ، وانســـحب مـــن المعركـــة ، فعيـــره ابنـــه عبـــد اللـــه بـــن الزبيـــر ، وقـــال لـــه تعيرنـــا نســـاء قـــريش ، فقـــال يـــا بنـــى لقـــد أذكرنـــى مـــا أنســـانيه الـــدهر ، العار ولا النار .

هـــذه نفـــس الزبيـــر ، نفـــس كريمـــة ، رجاعـــة للحـــق ، والرجـــوع الـــى الحـــق اولـــى مـــن التمـــادى فـــى الباطـــل .

وقـــدر الله ، أن يقتـــل الزبيـــر رضـــى الله عنـــه خـــارج المعركـــة فـــى وادى الجرمـــوز ، ظنـــا مـــن قاتلـــه أن ذلـــك يرضـــى الامـــام عليـــا ، فـــذهب بـــرأس الزبيـــر الـــى الامـــام علـــى ، يطلـــب منـــه أجـــره ، فقـــال لـــه أمـــا انـــى ســـمعت رســـول الله صـــلى الله عليه وسلم بشر قاتل الزبير بالنار .

والتحمت القوات بعضها ببعض ، وكان القتال عنيفا حول الجمل ، فأمرامامنا على بعقر الجمل فعقر ، وتم النصر لأمير المؤمنين على خصومه ، وأكرم معاملة أم المؤمنين فقالت رضى الله عنها له : يا ابن أبى طالب ملكت فأسجح ، فقال غفر الله لك ، فقالت رضى الله عنها له : وغفر لك .

وقـــد نـــدمت الســـيدة عائشـــة أشـــد النـــدم لخروجهـــا وقالـــت ، لـــو لـــم أســـر مســـيرى ذلـــك لكـــان أحـــب مـــن أن يكـــون لـــى ســـتة عشـــر ذكـــرا مـــن رســـول الله صلى الله عليه وسلم مثل عبد الرحمن بن الحارث بن هشام (فقيه المدينة)كما قالت ليتنى مت قبل هذا اليوم بعشرين عاما ، وكانت كثيرا ما تبكى وتقول (وقرن فى بيوتكن) .

والســـيدة عائشـــة أم رحيمـــة بأبنائهـــا ، ولا شـــك أنهـــا تألمـــت حـــين رأت قريبـــا مـــن عشـــرين ألـــف نفـــس مـــن أبنائهـــا المـــؤمنين يموتـــون فـــى تلـــك المعركـــة ، والفئتـــان مـــن المـــؤمنين وعنـــدما تركـــت رضـــى الله عنهـــا البصـــرة الـــى المدينـــة ، ودعهـــا النـــاس ، فقالـــت لهـــم انـــه لـــن يكـــن قـــط بينهـــا وبـــين الامـــام علـــى الا مـــا يكـــون بـــين المـــرأة وأحمائها (أهل الزوج) .

وتلك نفس السيدة عائشة ، وهى نفس كريمة أوابة .

أما طلحة ، فقد ضربه مروان بن الحكم فقتله ، واعجب أيها القارىء الكريم من حليف يقتل حليفه ، فان طلحة كان مروان تحت رايته ، ولكنه رأى أن يثأر منه لعثمان حيث كان الثوار يلتفون حول طلحة بالمدينة ورأى مروان أنه ربما لا يملك فرصة خيرا من هذه فى الثأر منه.

وكانـــت نفـــس طلحـــة نفســـا كريمـــة كـــذلك ، فانـــه رأى رجـــلا قريبـــا منـــه وهـــو يجـــود بنفســـه ، فســـأله مـــن أى الفـــريقين أنـــت ، قـــال مـــن فريـــق أميـــر المـــؤمنين علـــى ، فقـــال أبلغـــه انـــى مبايعـــه ، فلمـــا بلـــغ الرجـــل أميـــر المـــؤمنين ذلـــك ، قـــال أبـــى الله أن يدخل طلحة الجنة الا وبيعتى فى عنقه .

وقــد تــأثر أميــر المــؤمنين علــى حــين رأى طلحــة قتــيلا ، ونفــض التــراب عــن وجهه وقال : أعزز على بأن أراك مجندلا تحت السماء أبا محمد .

وكانــت واقعــة الجمــل أولــى المآســى التــى قامــت فــى وجــه أميــر المــؤمنين علــى فــى بدايــة خلافتــه ، وقــد جاءتــه مــن الحجــاز ، لكنــك رأيــت أن خصــومه فيهــا كــانوا ذوى نفــوس كريمــة رجاعــة الــى الحــق غيــر متماديــة فــى الباطــل ، ولا عجــب فطلحــة والزبيــر مــن العشــرة المبشــرين بالجنــة ، وأم المــؤمنين نزلــت براءتهــا فــى القــرآن الكــريم (أولئــك لهــم مغفــرة ورزق كــريم) . وعلــى الــرغم مــن أن الامــام عليــا تمــت لــه الغلبــة ، فانــه كــان شــديد التــألم لمــا وقــع ، حتــى انــه كــان يقــول : وودت لــو أنــى مــت قبــل هــذا اليــوم بعشــرين عامــا ، كمــا كــان يقــول لــو عرفــت أن الأمر يبلغ بنا ما بلغ ما دخلت فيه .

الامام الحسن كان يرى بقاء ابيه بالمدينة :

لــم يكــن مــن رأى الامــام الحســن أن يتــرك أبــوه المدينــة ، ويرحــل الــى العــراق للقــاء طلحــة والزبيــر وعائشــة رضــى الله عــنهم ، وكــان يفضــل أن يبقــى أبــوه مجــاورا لرســول الله صــلى الله عليــه وســلم ، وكــره لــه أن يــذهب الــى دار غربــة ويتعــرض للمــوت بمضــيعة ، حتــى لقــد بكــى الامــام الحســن حــين رأى ركــاب أبيه يؤم العراق ، فقال له أبوه : انك لتحن حنين الجارية .

أمــا أبــوه فكــان يــرى أن العــراق مــوطن المــال والرجــال ، وكــان أبــوه مــن أشــد النــاس مــيلا الــى السـلم مــع المسـلمين ، كمـا تبـين مـن تصـرفاته مـع خصـومه ، حتــى مــع الخــوارج ، الا أن المقــدر غلــب علــى تقــديره ، فكانــت الحــروب ، ذلــك الــى أن الامــام عليــا كــان يتوقــع وثبــة علــى العــراق مــن معاويــة فكــان يــرى أن يكون قريبا من الشام لمقابله تلك الوثبة .

أمير المؤمنين على كان يضن بالحسن والحسين عن القتال :

وكــان امامنــا علــى يضــن بالحســن والحســين عــن القتــال فــى واقعــة الجمــل ، وقــال لأصــحابه : املكــوا عنــى هــذين ، لــئلا يهــدانى ، لأنــى أخشــى أن ينقطــع بموتهما نسل رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الأرض ، ودفع الراية لابنه

محمد بن الحنفية وهو أخوهما لأبيهما ، وأبلى محمد فى المعركة بلاء عظيما حتى قال قائلهم مادحا له :

أبوك الذى لم يركب الخيل مثله على وسماك النبى محمدا

حروب صفين :

أما المأساة الثانية ، فجاءته من بلاد الشام ، وكانت أشد هؤلا ، وراح ضحيتها عشرات الالوف من الفريقين ، وكنت ترى الرجل فى صف معاوية وابنه فى صف أمير المؤمنين ، او ترى الأخوين ، كل منهما فى صف غيرصف أخيه .

وقد حاول أمير المؤمنين على كعادته أن يعالج الأمر بالاقناع والمراسلة ، ولكن أبى معاوية الا عنادا ، وشد أزره فى موقف العناد عمرو بن العاص .

الخلافة والملك :

وقد تعلل معاوية ظاهرا بمقتل عثمان ، الا أنه فى الحقيقة كان يصبوالى الملك ، الذى تهيأ له المجتمع ، حيث فتحت خيرات الدنيا على الناس ، ففتنوا بها ، وجنحوا الى زخرفها ، وصدق الله تعالى اذ يقول : (كلا بل تحبون العاجلة وتذرون الآخرة) .

ان الورع أيام رسول الله صلى الله عليه وسلم وأيام الخلفاء الثلاثة من بعده ، حجز الناس عن الافتتان بمادة الدنيا ، وان كانوا قد استشرفوا لها فى أخريات أيام عثمان رضى الله عنه ، نتيجة لاتساع الفتوحات واختلاط العرب بغيرهم فى البلاد التى فتحوها واتساع تجارتهم التى درت عليهم أموالا وافرة لم يكن لهم بها عهد .

وكان الامام على يريد أن يعيد الناس الى سيرتهم الأولى فى الورع والزهد ، وضرب بنفسه المثل الأعلى لهم ، وكان معاوية يدفع بهم الى ما تصبوا اليه نفوسهم من المال والجاه .

وهــذا يفســر لــك مــا كــان يحــذره الخليفــة الأول ســيدنا أبــو بكــر الصــديق رضــى الله عنــه حــين أوصــى أميــر المـؤمنين عمـر بعـد أن اسـتخلفه علـى النــاس ، وقال له فى وصيته :

((احــذر هــؤلاء النفــر مــن أصــحاب رســول الله صــلى الله عليــه وســلم الــذين انتفخــت أجــوافهم وطمحــت أبصــارهم ، وأحــب كــل امــرىء نفســه وان مــنهم الحيـرة عنـد زلــة واحـدة مـنهم ، فايــاك أن تكونــه ، واعلـم أنهـم لـن يزالـوا منك خائفين ما خفت الله)) .

بين سياستى عمر وعثمان :

وقــد التــزم أميــر المــؤمنين عمــر هــذه الوصــية ، فحجــر علــى أصــحاب رســول الله صــلى الله عليــه وســلم أن يبرحــوا المدينــة ، حتــى لقــد كــانوا يســتأذونه فــى الخــروج للقتــال ، فكــان لهــم : كفــاكم شــرف الجهــاد مــع رســول الله صــلى الله عليه وسلم .

أمــا أميــر المــؤمنين عثمــان فقــد غيــر تلــك السياســة ، وســمح لأصــحاب رســول الله صــلى الله عليــه وســلم أن يضــربوا فــى الأرض ، فاتســعت تجــارتهم ، وكثــرت أمــوالهم ، ولعلــه كــان مــدفوعا فــى ذلــك التغييــر بمــا رآه مــن مللهــم مــن شـدة أميـر المـؤمنين عمـر ، وكـان أميـر المـؤمنين عمـر يلحـظ فـى أخريـات أيامـه ملـل قـريش منــه ويتمنــى لــو تــرك الخلافــة ، بـل انــه تمنـى المـوت وطلبـه مـن الله فـى رجوعه من الحج الأخير فاستجاب له .

رسائل متبادلة بين الامام على ومعاوية :

وعلــى ضــوء مــا تقــدم ، انظــر فــى الرســالتين التــاليتين المتبــادلتين بــين أميــر المــؤمنين علــى كــرم الله وجهــه ومعاويــة ، لتــرى المشــادة واضــحة بــين الصــدق والمغالطــة ، أو بــين الــدين والــدنيا ، أو بــين الخلافــة التــى يمثلهــا أميــر المــؤمنين علــى ، والملــك الــذى ينشــده معاويــة ، الــذى الــف حضــارة الشــام ، ورخــاء العيش ، ورأى ملوك الرومان المحاورين فى أبهة ملكهم ، وسعة مظاهرهم .

كتب أمير المؤمنين على إلى معاوية بعد واقعة الجمل (وقد سبقته كتب كثيرة من المدينة المنورة) :

سلام عليك ، أما بعد فان بيعتى بالمدينة لزمتك وأنت بالشام ، لأنه بايعنى الذين بايعوا أبا بكر وعمر وعثمان على ما بويعوا عليه ، فلم يكن للشاهد أن يختار ، ولا للغائب أن يرد ، وانما الشورى للمهاجرين والأنصار ، فاذا اجتمعوا على رجل وسموه أماما ، كان ذلك لله رضا ، وان خرج عن أمرهم ردوه الى ما خرج عنه ، فان أبى قاتلوه على اتباعه غير سبيل المؤمنين وولاه ما تولى ، واصلاه جهنم وساءت مصيرا .

وان طلحة والزبير ، بايعانى ، ثم نقضا بيعتهما ، وكان نقضهما كردهما فجاهدتهما ، بعد ما أعذرت اليهما ، حتى جاء الحق ، وظهر أمر الله وهم كارهون .

فادخل فيما دخل فيه المسلمون ، فان أحب الأمور الى قبولك العافية وقد أكثرت فى قتلة عثمان ، فان رجعت عن رأيك وخلافك ، ودخلت فيما دخل فيه المسلمون ، ثم حاكمت القوم الى ، حملتك واياهم على كتاب الله . وأما تلك التى تريدها – يعنى الخلافة – فهى خدعة الصبى عن اللبن ولعمرى لئن نظرت بعقلك دون هواك لتجدننى أبرأ قريش من دم عثمان، واعلم أنك من الطلقاء (يشير الى أن معاوية وأباه أطلقا من الأسر يوم فتح مكة ، حين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقريش ما تظنون أنى فاعل بكم ، قالوا أخ كريم وابن أخ كريم فقال فى سماحته النبوية اذهبوا فانتم الطلقاء) ، الذين لا تحل لهم الخلافة ولا يدخلون فى الشورى . وقد بعثت اليك والى من قبلك ، جرير بن عبد الله ، وهو من أهل الايمان والهجرة ، فبايعه ولا قوة الا بالله .

وقد رد معاوية قائلا : سلام عليك ، أما بعد فلعمرى لو بايعك الذين ذكرت ، وأنت برىء من دم عثمان ، لكنت كأبى بكر وعمر وعثمان ، ولكنك أغريت بدم عثمان ، وخذلت الانصار ، فأطاعك الجاهل ، وقوى بك الضعيف .

وقد أبى أهل الشام الا قتالك حتى تدفع اليهم قتلة عثمان ، فان فعلت كانت شورى بين المسلمين ، وانما كان الحجازيون هم الحكام على الناس والحق فيهم ، فلما فارقوه كان الحكام على الناس أهل الشام ، ولعمرى ما حجتك على أهل الشام كحجتك على طلحة والزبير ، وان كانا بايعاك فلم أبايعك أنا ٠

فأما فضلك فى الاسلام ، وقرابتك من رسول الله صلى الله عليه وسلم فلست أدفعه ٠

تعقيب على رسالة معاوية :

وها أنت ترى معى من رد معاوية كل مغالطة ، وانى لأعجب كيف تصدر مثل هذه الرسالة من رجل صحابى ، وقد ضمنها مبادئ خطيرة ، لا يقوم أى منها على حجة صحيحة ، وقد أهدر فيها حقوقا كثيرة ، واليك ما أراه فيها من الأباطيل :

أولا : انه اتهم أمير المؤمنين بدم عثمان والتحريض عليه ، وهو عكس ما وقع ، وقد مر عليك أنه دفع عنه بكل الوسائل حتى غلب عليه قضاء الله ٠

ثانيا : انه أسقط العدالة عن المهاجرين والأنصار ، مدعيا عليهم أن الحق فارقهم الى أهل الشام ، وهذا محض افتراء على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعلى أهل بدر الذين لم يتخلف واحد منهم عن بيعة أمير المؤمنين على كرم الله وجهه ، ورضاء الله على أهل بدر ثابت ، والامام على من أبرزهم .

ثالثا : ان معاوية يعترف بفضل الامام على فى الاسلام بقوله ، ولا يعترف به فى فعله ، فلو كان صادقا فيما يقول ، لوقف منه المقر بفضله ، ولكنه خاصمه ، وفجر فى خصومته ، ولم يقف فى الخلاف معه عند دم عثمان الذى يدعيه ، بل فتح للباطل أبوابا أخرى ، فتسلم قتلة عثمان لا يكفى ، وشورى الحجازيين والعراقيين لا تكفى ، لأنهم ليسوا على حق ، وانما أهل الشام هم أهل الحق وحدهم .

وهكــذا يصــارع باطــل المبطلــين حــق المحقــين فــى غيــر تحــرج أو تــأثم ، ولا حول قولا قوة الا بالله .

الحرب بعد المسالمة :

ولمــا لــم يجــد الاقنــاع الصــادق شــيئا ، زحــف أميــر المــؤمنين علــى بجيشــه مــن الكوفــة الــى صــفين ووجــد معاويــة علــى المــاء ، فنحــاه عنــه بقتــال بعــد أن أبــى معاويــة أن يخلــى السـبيل الــى المــاء ، وهــو موقــف غيــر انســانى مــن معاويــة فــان رســول الله صــلى الله عليــه وســلم علمنــا أن نحســن فــى الطعــام والشــراب للحيوان فكيف بالانسان .

وأيــن موقــف معاويــة الــذى ينــافى الانســانية مــن موقــف أميــر المــؤمنين علــى فانـه حـين غلـب معاويـة علـى المـاء لـم يعاملـه بالمثـل بـل سـمح لجـيش معاويـة بالمـاء ، ولــم يقابــل الســيئة بالســيئة ، ولــو فعــل مــا كــان ملومــا فــى لغــة الحــرب ، والبــادى أظلم .

ثــم وقــع قتــال شــديد بــين جــيش العــراق وعلــى رأســه أميــر المــؤمنين علــى ، وبــين جــيش الشــام ، وعلــى رأســه معاويــة ، ولاحــت كفــة النصــر لأميــر المــؤمنين فــى ليلــة الهريــر التــى بلــغ القتــال فيهــا أشــده ، وهــم معاويــة بــالفرار مهزومــا ، لــولا ان عمــروبن العــاص أشــار عليــه بخدعــة رفــع المصــاحف علــى أســنة الرمــاح كاشارة الى طلب التحكيم بين الفريقين .

خدعة التحكيم :

وعلــى الــرغم مــن أن أميــر المــؤمنين بــين لجيشــه أنهــا خدعــة وبــين لهــم أن خصــومهم ليســوا أهــل ديــن مــأمون ، الا أنهــم ركبــوا رءوســهم ، وأســتحوذ علــيهم الشــيطان فعانــدوا أميــرهم ، وطلبــوا أن يرســل أمــره للأشــتر ليتراجــع ويوقــف القتــال ، وكــان الأشــتر قــد دخــل عســكر معاويــة متقــدما منتصــرا ، ولمــا رجــا الأشــتر أن يمهــل ســاعة واحــدة يكســب فيهــا النصــر علــى أتمــه ، تمــرد جــيش أميــر المــؤمنين وزادوا عتــوا وعقوقــا فــى ســاغة الجــد التــى تجــب فيهــا الطاعــة ، كمــا يجــب فيهــا اتحــاد الكلمــة ، ووصــل بهــم العقــوق أنهــم هــددوه بتسليمه لمعاوية أو قتله كما قتل عثمان ، وجدير بالذكر أن فكرة رفع

المصـاحف ، لـم تكـن مـن ابتكـار عمـرو بـن العـاص بـل انهـا أصـلا مـن ابتكـار أميـر المـؤمنين علـى فهـو الـذى رفعهـا مـن قبـل فـى معركـة الجمـل ، وعنـه أخـذ الفكرة عمرو فى معارك صفين .

الاشعت بن قيس وموقفه المشين :

وعندئـذ أكـره أميـر المـؤمنين علـى قبـول التحكـيم الـذى لـم يكـن فـى محلـه ، وكـان علـى رأس العـاقين المشـاقين ، الاشـعت بـن قـيس الـذى خطـب فـى قومـه من كندة قائلا :

قـد رأيـتم يـا معشـر المسـلمين مـا كـان فـى يـومكم هـذا الماضـى ، ومـا قـد فنـى فيـه مـن العـرب ، فـوالله لقـد بلغـت مـن السـن مـا شـاء الله أن أبلـغ ، فمـا رأيـت مثـل هـذا اليـوم قـط ، الا فليبلـغ الشـاهد الغائـب ، انـا ان لـم نتواقـف غـدا لفنيـت العـرب ، وضـيعت الحرمـات ، أمـا والله لا أقـول هـذه المقالـة خوفـا مـن الحرب ، ولكنى رجل مسن أخاف على النساء والذرارى غدا اذا فنينا .

ويحـق للقـارىء أن يعجـب لمثـل هـذا الموقـف المشـين مـن الاشـعث ، وقـد كـان الأشـتر متقـدما بجنـده داخـل عسـكر معاويـة ، وكانـت روح عسـكر الشـام قـد ضـعفت حـين قتلـوا عمـار بـن ياسـر الصـحابى ، وكـان رسـول الله صـلى الله عليـه وسـلم قـال لـه : تقتلـك الفئـة الباغيـة ، وكـان عمـار رضـى الله عنـه يقاتـل بهمـة لا تعـرف الكلـل (رغـم شـيخوخته) فـى صـف أميـر المـؤمنين علـى ، بـل كـان يـده اليمنـى يومئـذ وقـد جـاء فـى الحـديث الشـريف : (ان الجنـة تشـتاق الى أربع ، عمار وعلى وسلمان وبلال) .

تاريخ الاشعث :

ويـزول عـن القـارىء العجـب ، اذا وقـف علـى تـاريخ الأشـعث بـن قـيس ، فقـد كـان ذلـك الرجـل علـى رأس كنـدة وكـان يطمـع فـى الملـك ، ثـم ارتـد بعـد النبـى صـلى الله عليـه وسـلم ، فحاربـه سـيدنا أبـو بكـر وحصـره فـى الحصـن ، حتـى استسـلم علـى أن يسـلم بدمـه ودم عشـرة مـن أصـحابه ، وجـاء تائبـا الـى سيدنا أبى بكر ، فقبل توبته وزوجه أخته أم فروة .

اكراه امير المؤمنين على اختيار ابى موسى الاشعرى فى التحكيم :

وليت الأشعث ترك لأمير المؤمنين أن يختار الحكم الذى يطمئن الى وعيه وصحة رأيه ، حين اختار معاوية عمرو بن العاص من جانبه للتحكم ، فأراد أمير المؤمنين على أن يقابله بعبد الله بن عباس من جانبه ، الا أن الأشعث عارض وقال : أنا رضينا بأبى موسى الأشعرى ، فقال أمير المؤمنين انه ليس لى بثقة ، وقد فارقنى وخذل الناس عنى ((كان ذلك فى واقعة الجمل)) ثم هرب حتى أمنته بعد أشهر ولكن هذا ابن عباس نوليه ذلك ، قالوا لا نريد الا رجلا هو منك ومن معاوية سواء ، ليس الى واحد منكما بأدنى من الآخر .

قال فانى أجعل الأشتر فقال الأشعث - وهو يحسد الأشتر على مكانته وبلائه - وهل سعر الارض غير الاشتر أو قال وهل نحن الا فى حكم الأشتر .

فلما رأى الامام اصرارهم وقلة أنصاره ، قال قد أبيتم الا أبا موسى . قالوا نعم ، فاصنعوا ما بدالكم .

تعقيب للعلامة العقاد :

واليك ما يعقب به المرحوم عباس العقاد على موقف ذلك الأشعث فى كتابه (عبقرية الامام على) :

((فهذا رجل من الزعماء ، المطاعين فى جيش على ، لم يدع من وسعه شيئا لتغليب حزب معاوية على حزبه ، واستكثر عليه أن يكون الحكم الذى يختاره نصيرا له ، مؤمنا بحقه وصحة رأيه .

ولا طائل فى البحث عن هذا الخذلان الصريح ، أكان هو الطمع فى الملك بعد فشل على ، أم النقمة على الأشتر النخعى فى مكانته وبلائه ، أم التواطؤ بينه وبين معاوية على منفعة مؤجله ومكافأة موعودة) .

رأى للمؤلف :

وأنى أقول تعقيما على كلام العلامة العقاد ، انى أرجح الاحتمال الثالث وهو الاخير ، وأستند فى ترجيحى هذا الى ما يأتى :

أ) ان الامــام الحســن ، كمــا علمــت مــات مســموما ، وقــد دســت لــه الســم زوجتــه جعــدة بنــت الأشــعث بــن قــيس ، فكمــا خــذل أبوهــا أميــر المــؤمنين عليا ، قتلت هى زوجها لمال أعطى لها ، ووعد بزواجها من يزيد ، فوفى لها المال ولم يأمنوها علىحياة يزيد .

ب) ان معاوية كما سترى فيما بعد ، اشترى بماله ذمة عبيد الله بن عباس وكان صاحب لواء فى جيش أمير المؤمنين الحسن بن على ، ودفع له معاوية نصف المال الذى وعده به فورا ، ووعده بدفع النصف الثانىعندما يدخل معاوية الكوفة .

وقــد تــرك عبيــد الله بــن عبــاس لــواءه وانحــاز الــى صــف معاويــة ، ممــا اضــطر قــيس بــن ســعد بــن عبــادة أن يصــلى بالنــاس بدلــه ، واذا كــان معاويــة قــد اشــترى ذمــة عبيــد الله بــن عبــاس وهــو صــميم بنــى هاشــم فشــراء غيره أيسر وأرخص .

وقــد ذهــب المــال وذهــب الرجــال وســجل التــاريخ موقفــا مخزيــا لكــل مــن معاوية وعبيد الله بن عباس .

جــ) ان معاويــة أغــرى عمــرو بــن العــاص بخــراج مصــر كلهــا ان تــم لــه الأمــر ، فوقف الى جنبه عمرو الى نهاية الشوط ، وسترى موقفا غير مشرف لعمرو فى أمر التحكيم ، خان فيه أمانة الله ، وصالح المسلمين العام ،

أقول ذلك على أسف بالغ منى ، ولا أستطع أن ادارى ما تواترت الأخبار الصحيحة به .

امير المؤمنين يصف فساد جيشه :

هذا ونرجع لما فيه فنقول انه لم يخف على امامنا على كرم الله جهه خبث أنصاره ولا فساد نياتهم فخاطبهم قائلا :

أيها الناس ، المجتمعة أبدانهم ، المختلفة أهواؤهم ، كلامكم يوهى الصم الصلاب ، وفعلكم يطمع فيكم الأعداء ، ما عزت دعوة من دعاكم ، ولا استراح قلب من قاساكم . . الى أن قال :

(أصبحت والله لا أصدق قولكم ، ولا أطمع فى نصركم ، ولا أوعد العدو بكم ، ما بالكم ما دواؤكم ، ما طبكم ، القوم رجال أمثالكم ، أقولا بغير علم ، وغفلة من غير ورع ، وطمعا فى غير حق) .

عمرو يخدع أبا موسى :

ثم ان الحكمين اجتمعا فى دومة الجندل (بين العراق والشام) وتشاوروا ، وبعد جدال وأخذ ورد اتفقا على خلع الزعيمين علىو معاوية ، وقدم عمرو أبا موسى ليعلن القرار الذى اتفقا عليه ، وكان أبن عباس حذره من كيد عمرو وغدره ، وقال له ان اتفقتما على شىء فليعلنه عمرو أولا ، لكنه لم يسمع نصح ابن عباس ، وتقدم أبو موسى ليعلن القرار فقال بعد تمهيد :

((. . أيها الناس ، انا قد نظرنا فى أمر هذه الأمة ، فلم نر أصلح لأمرها ولا ألم لشعثها من أمر قد أجمع رأيى ورأى عمرو عليه ، وهو أن نخلع عليا ومعاوية ، ونستقبل الأمة بهذا الأمر ، فيولوا منهم من أحبوا عليهم وأنى قد خلعت عليا ومعاوية فاستقبلوا أمركم ، وولوا عليكم من رأيتموه لهذا الأمر أهلا) .

وتلاه عمرو فقال بعد تمهيد :

(. . ان هذا قال ما قد سمعتم وخلع صاحبه ، وأنا أخلع صاحبه كما خلعه ، وأثبت صاحبى معاوية فانه ولى عثمان بن عفان ، رضى الله عنه ، الطالب بدمه وأحق بمقامه) .

ابو موسى وعمرو يتبادلان الشتائم :

فغضب أبو موسى وصاح به : مالك لا وفقك الله ، غدرت وفجرت ، انما مثلك مثل كلب ان تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث .

فابتسم عمرو ، وهو يقول ، أنما مثلك كمثل الحمار يحمل أسفارا وكما قال العلامة العقاد رحمه الله : انتهت المأساة بهذه المهزلة ، أو أنتهت المهزلة بهذه المأساة .

موقعة النهروان

فتنة الخوارج :

وبعد التحكيم ، زاد الطين بلة ، فقامت بسبب التحكيم فتنة الخوارج ، وانضافت مأساة ثالثة على عاتق أمير المؤمنين على، ويرحم الله أمير الشعراء شوقى حين قال له :

يا جبلا تأبى الجبال ما حمل

وصدق مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قال : أشدكم بلاء الأنبياء ثم الأولياء ثم الأمثل فالأمثل .

وقد قال الخوارج فيما بينهم ، ان هذين الحكمين قد حكما بغير ما أنزل الله ، وقد كفر اخواننا حين رضوا بهما وحكموا الرجال فى دينهم ، ونحن على الحق من بين هذا الخلق .

وحاول أمير المؤمنين على كعادته أن يسالمهم ويقنعهم لعلهم يرشدون ، لكنهم كانوا متهوسين ، وبلغ بهم الهوس الى أن كفروا الامام وأصحابه ، ورأوا أن يعاملوهم فى الحرب والسلم على أنهم كفار .

وعلى الرغم من موقفهم الشائن هذا ، فقد رفع أمير المؤمنين عليه السلام فى الساحة راية ضم اليها الفى رجل ونادى ، من التجأ الى هذه الراية فهو آمن ، وقال لأصحابه لا تبدأوهم بالقتال حتى يبدأوكم ، فصاح الخوارج صيعتهم لا حكم الا لله وان كره المشركون ، وهى الصيحة التى عقب عليها أمير المؤمنين عليه السلام بكلمته المشهورة فقال : (كلمة حق أريد بها باطل) .

وعندئذ لم يجد أمير المؤمنين مناصا من قتالهم فى موقعة النهروان ، فما هى الا ساعة ، حتى قتل منهم أربعة آلاف وبقى منهم نحو أربعمائة

اصـيبوا بجـراح وعجـزوا عـن القتـال ، فـأمر بهـم أميـر المـؤمنين فحملـوا الـى عشائرهم ، لينظروا من فيه رمق فيدركوه بعلاج .

وماذا بعد قتال الخوارج

الأشعث يعوق الحرب مرة أخرى :

وأراد أمير المؤمنين ، كرم الله وجهه ، أن يسير الى الشام ليلقى جيش معاوية ، فتصدى له الأشعث بن قيس مرة أخرى ، كما تصدى له من قبل فى الفرصة السانحة للغلبة وقال له على مسمع من الناس :

((يـا أميـر المـؤمنين ، نفـدت نبالنـا ، وكلـت سـيوفنا ، ونصـلت أسـنة رماحنـا ، فـأرجع بنـا الـى مقرنـا ، لنسـتعد بأحسـن عـدتنا ، ولعـل أميـر المـؤمنين يزيد فى عدتنا عدة من هلك منا ، فانه أوفى لنا على عدونا)) .

وتسلل الجند من معسكرهم ، ولاذ من لاذ بالمدن القريبة منهم وأيقن أمير المؤمنين أن القـوم مرقـوا مـن يـده ، ولا طاعـة لـه علـيهم اذا دعـاهم للقتال .

جيش معاوية فى طاعته :

وعلـى عكسـه كـان معاويـة ، فـان جنـده كـانوا فـى طاعتـه ، وأعانـه الخـوارج غيـر عامـدين ، فحـاربوا أميـر المـؤمنين ولـم يحـاربوه ، وطلبـوا التوبـة مـن أميـر المؤمنين ولم يطلبوها من معاوية .

واسـتمر معاويـة فـى ارسـال بعوثـه وسـراياه ، فلـم تـنقض سـنتان حتـى كانـت معـه مصـر والمدينـة ومكـة ، وبقـى اميـر المـؤمنين فـى قطـاع الكوفـة بائسا منعزلا عن الناس ، ويوجس شرا من أقرب المقربين اليه .

ولست أجد فى وصف أهل العراق وموقفهم من أمير المؤمنين ابلغ من كلامه هو حين خاطبهم قائلا :

أخلاقكم دقاق ، ومـاؤكم زعاق ، ودينكم نفاق ، وعهدكم شقاق القائم بين أظهركم مرتهن بذنبه ، والشاخص عنكم متدارك برحمة من ربه .

اغتيال أمير المؤمنين غدرا

الخوارج يغدرون بأمير المؤمنين :

ثم كان ما قدره الله من اغتيال أمير المؤمنين على كرم الله وجهه غدرا بيد أحد الخوارج فمات شهيدا راضيا مرضيا .

ذلك بأن ثلاثة من الخوارج هم : عبد الرحمن بن ملجم ، والبرك بن عبد الله ، وعمرو بن بكر التميمى ، وهم من غلاة الخوارج الموتورين ، اجتمعوا وتذاكروا القتلى من المسلمين عامة ، وألقوا وزر هذه الدماء كلها على ثلاثة من الكفار أو أئمة الضلال (فى رأيهم السفيه) وهم على بن أبى طالب ، ومعاوية بن أبى سفيان ، وعمرو بن العاص فقال ابن ملجم : أنا أكفيكم على بن أبى طالب ، وقال البرك ، أنا اكفيكم معاوية بن أبى سفيان ، وقال عمرو بن بكر أنا أكفيكم عمرو بن العاص .

فأما عمرو بن العاص فقد اشتكى بطنه فلم يخرج من ليلته تلك ، وأمر خارجة بن حذافة صاحب شرطته أن يصلى بالناس ، فقتله عمرو بن بكر وهو يحسبه عمرو بن العاص ، فقال عمرو بن العاص ، أردتنى وأراد الله خارجة ، وأمر بقتله .

وأما معاوية فضربه البرك بن عبد الله ، فوقعت الضربة على اليته فعولج وشفى .

وأما أمير المؤمنين على فضربه ابن ملجم فى جبينه بسيف مسموم ، وهو خارج لصلاة الفجر فمات بعد أيام .

ومن ورعه أوصى كرم الله وجهه ، ألا يمثل أهله بقاتله ، وقال لهم (يا بنى عبد المطلب لا ألفينكم تخوضون دماء المسلمين ، تقولون قتل أمير المؤمنين ، قتل أمير المؤمنين ، الا لا يقتلن أحد الا قاتلى .

(انظر يا حسن اذا مت من ضربته هذه ، فاضربه ضربة بضربة ، ولا تمثل بالرجل ، فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ، (اياكم والمثلة ولو بالكلب العقور) .

دور المرأة فى اغتيال أميرالمؤمنين :

ومـــن عجـــب الأمـــور ، أن تلعـــب امـــرأة دورهـــا فـــى اغتيـــال أميـــر المـــؤمنين علـــى ، وأن تلعـــب امـــرأة أخـــرى دورهـــا فـــى ســـم ابنـــه الامـــام الحســـن الســـبط ، وقـــد وقـــف القـــارىء علـــى قصـــة ســـم الامـــام الحســـن ، خيانـــة مـــن خصـــومه ، وغدرا بيد زوجته جعده بنت الأشعث .

أمـــا دور المـــراة فـــى اغتيـــال أميـــر المـــؤمنين علـــى فهـــو أن ابـــن ملجـــم لعنـــه الله والملائكـــة والنـــاس أجمعـــون ، كـــان يحـــب فتـــاة مـــن تـــيم الربـــاب يقـــال لهـــا قطـــام ، قتـــل أبوهـــا وأخوهـــا وبعـــض أقربائهـــا فـــى معركـــة الخـــوارج ، وكانـــت توصـــف بالجمـــال الفـــائق ، والشـــكيمة القويـــة ، وتـــدين بمـــذهب أهلهـــا ، فـــوق مـــا فـــى جوانحها من لوعة الحزن على قتل ذويها .

فلمـــا خطبهـــا ابـــن ملجـــم لـــم تـــرض بـــه زوجـــا الا أن يشـــفى لوعتهـــا ، وقـــال ومـــا يشـــفيك ، قالـــت ثلاثـــة آلاف درهـــم وعبـــد وقينـــة وقتـــل علـــى بـــن أبـــى طالـــب . وشـــاء الله أن تنتهـــى حيـــاة الامـــام علـــى الغاليـــة فـــى ليلـــة الجمعـــة لســـبع عشـــرة ليلـــة مـــن رمضـــان ســـنة ٤٠ هـــ علـــى يـــد الآثـــم الفـــاجر ابـــن ملجـــم خطيـــب قطـــام ، وفـــى ذلك يقول ابن ابى مياس المرادى .

ولم أر مهرا ساقه ذو سماحة   كمهر قطام من فصيح وأعجم
ثلاثة آلاف وعبد وقينة   وضرب على بالحسام المسمم
فلا مهر أغلى من على وان غلا   ولا فتك الا دون فتك ابن ملجم

اخر كلمات اير المؤمنين :

وعلى الرغم من ألم الجراح وشدة سكرات الموت ، فان أمير المؤمنين كرم الله وجهه ، لم يبرح الدنيا الفانية قبل أن يوصى أبناه الثلاثة الحسن والحسين ومحمـــد بـــن الحنفيـــة ، فقـــد دعـــا اليـــه الحســـن والحســـين رضـــى الله عنهمـــا وقال لهما :

(أوصـــيكما بتقـــوى الله ، ولا تبغيـــا الـــدنيا وان بغتكمـــا ، ولا تبكيـــا علـــى شىء زوى عنكما ، وقولا الحق ، وارحما اليتيم ، واغنيا الضائع ، واصنعا

للآخرة ، وكونا للظالم خصما ، وللمظلوم ناصرا ، واعملا بما فى كتاب الله ، ولا تأخذكما فى الله لومة لائم) .

ثم نظر الى أخيهما لأبيهما محمد بن الحنفية رضى الله عنه وقال له : (هل حفظت ما اوصيت به أخويك ، قال نعم ، قال فانى أوصيك بمثله ، وأوصيك بتوقير أخويك ، لعظيم حقهما عليك ، وتزين أمرهما ، ولا تقطع أمرا دونهما .

ثم قال لهما ، وصيتكما به فانه شقيقكما وابن أبيكما ، وقد علمتما أن أباكما كان يحبه فأحباه) .

ثم قيل له نبايع الحسن من بعدك ؟ فقال لا آمركم ولا أنهاكم ، أتركهم كما تركهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومعنى ذلك أنه أراد أن تكون الخلافة شورى ويختاروا لأنفسهم .

ثم كتب كرم الله وجهه وصيته ، ولم يتكلم الا بلا اله الا الله حتى فاضت روحه الى روح وريحان وجنة نعيم ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد نبأه بما وقع له ، فقد قال له يوما : أتعلم من أشقى الأولين ؟ قال نعم عاقر الناقة ، فقال الا تعلم من اشقى الآخرين ؟ قال لا ، قال الذى يضربك على هذه فيخضب هذه .

بيعة الامام الحسن بالخلافة بعد أبيه :

روى أبو الفرج بسنده فى مقاتل الطالبيين ، ويؤيده ما جاء فى الطبرى وابن الأثير وابن أبى حديد ، ان الامام الحسن خطب بعد وفاة أبيه أمير المؤمنين على عليهما السلام فقال :

(لقد قبض فى هذه الليلة رجل لم يسبقه الأولون ، ولا يدركه الآخرون بعمل ، ولقد كان يجاهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقيه بنفسه ، ولقد كان يوجهه برايته ، فيكتنفه جبريل عن يمينه ، وميكائيل عن يساره ، فلا يرجع حتى يفتح الله عليه ، وقد توفى فى هذه الليلة التى عرج فيها بعيسى بن مريم ، ولقد توفى فيها يوشع بن نون وصى موسى ،

ومـــا خلــف الصـــفراء ولا بيضـــاء الا ســـبعمائة درهـــم بقيـــت مـــن عطائـــه ، أراد أن يبتاع بها خادما لأهله . ثم خنقته العبرة فبكى وبكى الناس معه .

ثـــم قـــال : (أيهـــا النـــاس ، مـــن عرفنـــى فقـــد عرفنـــى ، ومـــن لـــم يعرفنـــى فأنـــا الحســـن بـــن محمـــد صـــلى الله عليـــه وســـلم ، أنـــا ابـــن البشـــير ،أنـــا ابـــن النـــذير ، أنـــا ابـــن الـــداعى الـــى الله عـــز وجـــل باذنـــه ، وأنـــا ابـــن الســـراج المنيـــر ، وأنـــا مـــن أهـــل البيـــت الـــذين أذهـــب الله عـــنهم الـــرجس وطهـــرهم تطهيـــرا ، والـــذين افتـــرض الله مـــودتهم فـــى كتابـــه اذ يقـــول (ومـــن يقتـــرف حســـنة نـــزد لـــه فيهـــا حســـنا) فـــاقتراف الحسنة مودتنا أهل البيت) .

ثـــم قـــام ابـــن عبـــاس بـــين يديـــه ، فـــدعا النـــاس الـــى بيعتـــه ، فاســـتجابوا لـــه ، وقالوا ما أحبه الينا وأحقه بالخلافة فبايعوه .

ثم نزل عن المنبر .

جواسيس معاوية :

قـــال ودس معاويـــة رجـــلا مـــن بنـــى حميـــر الـــى الكوفـــة ورجـــلا مـــن بنـــى القـــين الى البصرة يكتبان اليه بالأخبار ، فكشف أمرهما وقتلا .

رسالتين بين الامام الحسن ومعاوية :

قال وكتب الامام الحسن الى معاوية :

أمـــا بعـــد فانـــك دسســـت الـــى الرجـــال ، كأنـــك تحـــب اللقـــاء ، ومـــا أشـــك فـــى ذلك ، فتوقعه ان شاء الله ، وقد بلغنى أنك شمت بمالا يشمت به ذوو الحجى ، وانما مثلك فى ذلك كما قال الأول :

وقل للذى يبغى خلاف الذى مضى ... تجهز لأخرى مثلها فكأن قد

وانا ومن قد مات منا لكالذى ... يروح ويمسى فى المبيت ليغتدى

وأنـــت تـــدرك مـــن تلـــك الرســـالة ذكـــاء الامـــام الحســـن ، وبلاغـــة ارشـــاده للشامتين بالموت الذى لا مهرب منه لأى مخلوق .

قال فاجابه معاوية :

أمـــا بعـــد ، فقـــد وصـــل كتابـــك ، وفهمـــت مـــا ذكـــرت فيـــه ولقـــد علمـــت بمـــا حـــدث فلـــم أفـــرح ، ولـــم أحـــزن (؟) ولـــم أشـــمت ولـــم آس ، وان عليـــا أبـــاك لكما قال أعشى بن قيس بن ثعلبة :

فأنت الجـواد وانت الذى اذا القلوب ملأن الصـدورا
جدير بطعنه يوم اللقـاء يضرب منها النساء النحورا
وما مزيد من خليج البحـار يعلو الأكام ويعلو الجسـورا
بأجود منه بمـا عنـده فيعطى الألوف ويعطى ا لبـدورا

أقـــول ولـــئن كـــان معاويـــة يقـــول انـــه لـــم يشـــمت فقـــد شـــمت بالفعـــل كمـــا ســـترى فيمـــا بعـــد ، وأمـــا قولـــه انـــه لـــم يحـــزن ، فقـــد فاتتـــه الكياســـة فـــى قولـــه هـــذا ، ولـــو أنـــه اكتفـــى بنفـــى الشـــماتة ، لكـــان أكـــيس ، علـــى أنـــه برغمـــه امتـــدح أميـــر المـــؤمنين عليـــا بالشـــعر الـــذى تمثـــل بـــه ، ولعلـــه أراد أن يلايـــن الامـــام الحســـن مضطرا من باب السياسة .

جانب الدنيا فى سياسة معاوية :

ولقـــد غلـــب معاويـــة فـــى سياســـته ، جانـــب الـــدنيا ، علـــى جانـــب الـــدين ، وهـــو مـــا بفســـر لـــك قـــول أميـــر المـــؤمنين علـــى كـــرم الله وجهـــه : والله مـــا معاويـــة بـــأدهى منـــى ، ولكنـــه يغـــدر ويفجـــر ، ولـــولا كراهيـــة الغـــدر لكنـــت مـــن أدهـــى الناس .

أمـــا جانـــب الـــدنيا الـــذى غلـــب علـــى معاويـــة فـــى سياســـته فيفســـره قـــول مستشـــاره الأول عمـــرو بـــن العـــاص حـــين قـــال : انـــه لا يصـــلح لهـــذا الأمـــر الا رجـــل لـــه ضرســـان ، يأكـــل باحـــدهما ويطعـــم بـــالآخر ، وذلـــك الـــذى يقولـــه عمـــرو اتبعـــه معاويـــة فأكـــل بضـــرس وأطعـــم بـــالآخر ، واوأســـفاه علـــى ديـــن يـــرخص ، ودنيـــا تغلو .

الامام الحسن يكتب لمعاوية مرة أخرى :

قـــال أبـــو الفـــرج ، وكتـــب الامـــام الحســـن عليـــه الســـلام الـــى معاويـــة مـــع جندب بن عبد الله الأزدى :

بسم الله الرحمن الرحيم . من الحسن بن على أمير المؤمنين الى معاوية بن أبى سفيان سلام الله عليك ، فأنى أحمد اليك الله الذى لا اله الا هو ، أما بعد :

فان الله جل جلاله ، بعث محمدا رحمة للعالمين ، ومنة للمؤمنين ، وكافة للناس أجمعين (لينذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين) فبلغ رسالات الله ، وقام بأمر الله حتى توفاه الله ، غير مقصر ولا وان ، وبعد أن أظهر الله به الحق ، ومحق به الشرك ، وخص به قريشا خاصة ، فقال له (وانه لذكر لك ولقومك) .

فلما توفى تنازعت سلطانه العرب ، فقالت قريش : نحن قبيلته وأسرته وأولياؤه ولا يحل لكم أن تنازعونا سلطان محمد وحقه ، فرأت العرب أن القول ما قالت قريش ، وأن الحجة فى ذلك لهم ، على من نازعهم أمر محمد ، فأنعمت لهم (أى قالت نعم) وسلمت اليهم .

ثم حاججنا نحن قريشا بمثل ما حاججت به العرب ، فلم تنصفنا قريش انصاف العرب لها ، انهم أخذوا هذا الأمر دون العرب ، بالانتصاف والاحتجاج .

فلما صرنا – أهل بيت محمد وأولياءه الى محاجتهم ، وطلب النصف (أى الانصاف) منهم – باعدونا ، واستولوا بالاجماع على ظلمنا ومراغمتنا والعنت منهم لنا ، فالموعد الله ، وهو الولى النصير .

ولقد كنا تعجبنا ، لتوثب المتوثبين علينا فى حقنا وسلطان نبينا ، وان كانوا ذوى فضلة وسابقة فى الاسلام ، وأمسكنا عن منازعتهم مخافة على الدين ان يجد المنافقون والأحزاب فى ذلك مغمزا يثلمونه به ، أو يكون لهم بذلك سبب الى ما أرادوا من افساده .

فاليوم ، فليتعجب المتعجب من توثبك يا معاوية على أمر لست من أهله ، لا فضل فى الدين معروف ، ولا أثر فى الاسلام محمود ، وأنت ابن حزب من الأحزاب ، وابن أعدى قريش لرسول الله صلى الله عليه وسلم وآله

ولكتابه ، والله حسيبك ، فسترد فتعلم لمن عقبى الدار ، وبالله لتلقين عن قليل ربك ، ثم ليجزينك بما قدمت يداك ، وما الله بظلام للعبيد .

ان عليا لما مضى لسبيله ، رحمة الله عليه يوم قبض ، ويوم من الله عليه بالإسلام ، ويوم يبعث حيا ، ولاقى المسلمون الأمر من بعده ، فاسأل الله ألا يؤتينا فى الدنيا الزائلة شيئا ينقصنا به فى الآخرة مما عنده من كرامة .

وانما حملنى على الكتاب اليك ، الاعذار فيما بينى وبين الله عز وجل فى أمرك ، ولك فى ذلك ان فعلته الحظ الجسيم ، والصلاح للمسلمين ، فدع التمادى فى الباطل ، وادخل فيما دخل فيه الناس من بيعتى ، فانك تعلم أنى أحق بهذا الأمر منك عند الله وعند كل أواب حفيظ ومن له قلب منيب . وأتق الله ودع البغى ، واحقن دماء المسلمين ، فوالله مالك خير فى أن تلقى الله من دمائهم بأكثر مما أنت لاقيه به ، وادخل فى السلم والطاعة ، ولا تنازع الأمر أهله ، ومن هو أحق به منك ، ليطفىء الله النائرة (أى العداوة) بذلك ويجمع الكلمة ، ويصلح ذات البين .

وان أبيت الا التمادى فى غبك ، سرت اليك بالمسلمين فحاكمتك ، حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين .

تعقيبى على الكتاب المتقدم :

وأود أن أعقب قليلا على ذلك الكتاب الكريم ، لأيسر للقارىء فهمه اذا لم يكن قد أطلع على تفاصيل التاريخ فى صدر الاسلام ، فأقول وبالله التوفيق :

كان لقريش مركزها الاجتماعى بين قبائل العرب فى الجاهلية ، وكسبت مركزها ذلك بمواهب خصوا بها فى امور الدنيا والدين ، فكانت لهم تجارتهم الواسعة فى رحلتى الشتاء والصيف، كما كانوا قائمين على شؤون البيت الحرام فى مكة المكرمة ، من سقاية وعمارة وضيافة للوافدين من كل فج ، ثم أراد الله أن بلبسها فوق ذلك كله ، الشرف الخالد ، فاختار من قريش بنى هاشم واختار من بنى هاشم رسوله صلى الله عليه وسلم ، وأنزل القرآن الكريم بلغة قريش .

واستجاب لدعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بدايتها من عشيرته الأقربين بنو هاشم ، وكان أولهم أسلاما فى صباه الأمام على كرم الله وجهه ، وكان أول المسلمين من الرجال أبو بكر الصديق رضى الله عنه وهو من بنى تيم ، وأسلم على يده عثمان بن عفان رضى الله عنه ، فكان أول من أسلم من بنى أمية ، وكان اسلام عمر بن الخطاب رضى الله عنه على تمام أربعين أنسانا فى أظهر الروايات ، وهو من بنى عدى ، وكلهم قريشيون وان تنوعت فروعهم ، رضىالله عنهم وعن سائر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان لبنىهاشم فى الجاهلية الشرف والسيادة على غيرهم من بيوتات قريش ، وزادوا فى الاسلام شرفا بالرسالة المحمدية على صاحبها أفضل الصلاة وأتم التسليم .

وعندما أذن الله لرسوله صلىالله عليه وسلم بقتال الكافرين ، برزت تضحيات امامنا على فى شبابه ، كما برزت تضحيات قومه من بنى هاشم واستشهد منهم فى دين الله ، صناديد على رأسهم حمزة بن عبد المطلب وجعفر بن ابى طالب.

ولما انتقل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الرفيق الأعلا اشتغل بتجهيزه الامام على كرم الله وجهه ، وكان الأنصار قد اجتمعوابسقيفة بنى ساعدة ليختاروا خليفة له ، واتجهوا الى سعد بن عبادة الخزرجى .

ولما علم سيدنا عمر بن الخطاب بذلك أسرع الى هنالك ومعه سيدنا أبو بكر الصديق ، وبعد أخذ ورد قال سيدنا عمر للحاضرين : من منكم يريد أن يتقدم قدمين قدمهما رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين اشتد به المرض أمر أن يصلى بالناس أبو بكر ، فقال مروا أبا بكر فليصل بالناس ، ثم قال سيدنا عمر للحاضرين : لقد رضيه رسول الله صلىالله عليه وسلم لديننا، أفلا نرضاه لدنيانا ، امدد يا أبا بكر يدك أبايعك ، فبايعه سيدنا عمر وبايعه الباقون .

وقد تأخر امامنا على عن بيعة سيدنا أبىبكر ، وقالوا انه بايعه بعد ستة أشهر ، من موت السيدة فاطمة الزهراء.

واختلفوا فى أسباب تأخره ، فمن قائل انه كان يرى نفسه أحق بالخلافة ، وكان عمه العباس قد عرض عليه أن يبايعه هو وأبو سفيان ، فيبايعه المهاجرون والأنصار ويقولون عم رسول الله بايع عليا ، وكان للعباس مكانه المرموق فيهم ، وكان معروفا بحصافة الرأى والرشد ، فلم يشأ الامام على أن يترك تجهيز رسول الله صلى الله عليه وسلم ويتفرغ للبيعة ٠

ومن قائل انه حرص على شعور زوجته السيدة فاطمة الزهراء ، وكانت طالبت الخليفة أبا بكر بميراثها فى أرض فدك التى خلفها أبوها ، فقال لها رضى الله عنه انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : نحن معاشر الأنبياء لا نورث ما تركناه فهو صدقة ٠

وقد بلغ من حرص سيدنا أبى بكر على مرضاة السيدة الزهراء ، أنه رضى الله عنه هدد بترك خلافة المسلمين ان لم تكن الزهراء راضية عنه ٠

ومن قائل ان الامام على ساءه أن تعقد البيعة ، فى سقيفة بنى ساعدة دون أن يدعى لحضورها ٠

وكان عذر السلف الصالح واضحا فى الاسراع بالبيعة ، قبل أن يشتد الخلاف بين المهاجرين والأنصار ، حيث كان كل فريق يرى أنه أحق بها من الفريق الآخر ، واحتج المهاجرون بأنهم أول الناس اسلاما وان كانت نصرة الأنصار لا تنكر ، فقد نصروا دين الله بالنفس والمال ٠

ولما أسرعوا ببيعة سيدنا أبى بكر اطفأوا نار الفتنة ، ودانت سائر الأمصار ببيعة المهاجرين والأنصار بالمدينة وهم أهل الحل والعقد فى المسلمين ٠

وعندما حان أجل سيدنا أبى بكر رضى الله عنه ، خاف أن يتكرر الخلاف بموته ، فاستخلف على المؤمنين سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، ووافقه على بيعته المهاجرون والأنصار ٠

ولما طعن سيدنا عمر وأحس بأن ضربته قاتلة ، وقيل له أوص يا أمير المؤمنين واستخلف ، فقال رضى الله عنه ، ما أجد أحق بهذا الأمر من هؤلاء النفر الذين توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راض فسمى :

عليا وعثمان والزبير وطلحة وسعد بن أبى وقاص ، وعبد الرحمن بن عوف ، وقال يشهدكم عبد الله بن عمر وليس له من الأمر شئ ، فان أصابت الامارة سعدا ، فهو أهل لذلك ، والا فليستعن به أيكم أمر ، فانى لم أعزله عن عجز ولا خيانة ٠

ثم قال : أوصى الخليفة من بعدى بالمهاجرين الأولين أن يعرف لهم حقهم ويحفظ لهم حرمتهم ، وأوصيه بالأنصار خيرا ، الذين تبوأوا الدار والايمان من قبلهم ، أن يقبل من محسنهم ، وأن يعفو عن مسيئهم ، وأوصيه بأهل الأمصار خيرا ، فانهم درء الاسلام وجباة الأموال ، وغيظ العدو ، الايأخذ منهم الا فضلهم ، عن رضاهم ، وأوصيه بالأعراب خيرا ، فانهم أصل العرب ، ومادة الاسلام ، أن يؤخذ من حواشى أموالهم ، ويرد على فقرائهم ، وأوصيه بذمة الله وذمة رسوله أن يوفى اليهم بعهدهم ، وأن يقاتل من وراءهم ، والا يكلفوا الا طاقتهم ٠

فلما فرغ من دفن أمير المؤمنين عمر رضى الله عنه (على ما رواه البخارى) اجتمع هؤلاء الرهط ، فقال عبد الرحمن : اجعلوا أمركم الى ثلاثة منكم ، فقال الزبير : جعلت أمرى الى على ، فقال طلحة ، قد جعلت أمرى الى عثمان ، وقال سعد ، قد جعلت أمرى الى عبد الرحمن بن عوف ٠ فقال عبد الرحمن : أيكما تبرأ من هذا فنجعله اليه ، والله عليه والاسلام لينظرن أفضلهم فى نفسه ، فأسكت الشيخان فقال عبد الرحمن ، أفتجعلونه الى ، والله على الا آلو عن أفضلكم ، قالا نعم ، فأخذ بيد أحدهما فقال لك قرابة من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والقدم فى الاسلام ما قد علمت ، فالله عليك لئن أمرتك لتعدلن ، وان أمرت عثمان لتسمعن ولتطيعن ، ثم خلا بالآخر فقال مثل ذلك ٠

فلما أخذ الميثاق قال : ارفع يدك يا عثمان ، فبايعه ، فبايع له على ، وولج أهل الدار فبايعوه ٠

وجاء فى شرح نهج البلاغة لابن ابى حديد أن أمير المؤمنين عمر كان يحصرها بتقديره فى واحد من اثنين ، اما على واما عثمان ، لذلك نصح عليا

فقال له : اذا بويعت فلا تحملن بنى هاشم على رقاب الناس ، كما نصح عثمان وقال له : اذا بويعت فلا تحملن بنى معيط على رقاب الناس ، وقال أيضا : لو ولوها الأجلح (كان سيدنا على أصلع الراس) لحملهم على الجادة ، فقيل له : فما منعك أن تستخلفه ، قال لا أحملها حيا وميتا ، فليختاروا أنفسهم .

ثم كانت الثورة التى قامت آخر خلافة أمير المؤمنين عثمان رضى الله عنه وانتهت بمقتله ، وانتهى رأى الثوار كما مر عليك الى مبايعة الامام على فكان يهرب منهم الى الحيطان (البساتين) ولكنهم الزموه الخلافة ، فأبى الا أن تكون بيعته علانية فى المسجد ، فبايعه الثوار الوافدون من مصر والكوفة والبصرة ، كما بايعه المهاجرين والأنصار وأهل بدر ، وهم الذين بايعوا أبا بكر وعمر وعثمان قبله .

وقد علم القارىء الكريم من موجز تاريخ الامام على الذى قدمناه ، ماكان من أمر حروب الجمل وصفين والنهروان ، وما كان من أمر التحكيم ، وما كان من اغتيال أمير المؤمنين على غدرا بيد الآثم اللعين ابن ملجم الخارجى ، وما كان من أمر البيعة التى تمت لأمير المؤمنين الحسن بن على ، بعد مقتل أبيه كرم الله وجهه ، وكان لابد من اعطاء فكرة عن الخلافة الاسلامية منذ قامت ، الى أن وليها أمير المؤمنين الحسن بن على ، لارتباط رسالته المتقدمة التى بعث بها الى معاوية ، ولارتباط رد معاوية بها ، وها هو رد معاوية الذى كتب به للإمام الحسن .

رد معاوية على الامام الحسن :

من معاوية أمير المؤمنين الى الحسن بن على : سلام عليك ، فانى أحمد اليك الله الذى لا اله الا هو ، أما بعد بلغنى كتابك ، وفهمت ما ذكرت به محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم من الفضل كله قديمه وحديثه ، وصغيره وكبيره ، وقد والله بلغ وأدى ، ونصح وهدى ، حتى انقذ الله به من الهلكة ، وانار به من العمى ، ونصح به من الجهالة والضلالة ، فجزاه الله أفضل ما جزى نبيا عن أمته ، صلوات الله عليه ، يوم ولد ويوم بعث ، ويوم قبض ، ويوم يبعث حيا .

وذكــرت وفـــاة النبـــى صـــلى الله عليـــه وآلـــه ، وتنـــازع المســـلمين الأمـــر بعـــده ، وتغلـــبهم علـــى أبيـــك ، فصـــرحت بتهمـــة أبـــى بكـــر الصـــديق ، وعمـــر الفـــاروق ، وأبـــى عبيـــد الأمـــين ، وحـــوارى رســـول الله صـــلى الله عليـــه وســـلم ، وصـــلحاء المهـــاجرين والأنصـــار ، فكرهـــت ذلـــك لـــك ، أنـــت امـــرؤ عنـــدنا وعنـــد النـــاس غيـــر الظنـــين ولا المســـىء ، ولا اللئـــيم ، وأنـــا أحـــب لـــك القـــول الســـديد ، والـــذكر الجميل .

ان هذه الأمة ، لما اختلفت بعد نبيها ، لم تجهل فضلكم ولا سابقتكم ولا مكانكم فى الاسلام وأهله ، فرأت الأمة أن تخرج من هذا الأمر لقريش لمكانها من نبيها ، ورأى صلحاء الناس من قريش والأمصار وغيرهم من سائر الناس وعوامهم أن يولوا هذا الأمر من قريش أقدمها اسلاما ، وأعلمها بالله ، وأحبها له ، وأقواها على أمر الله ، فاختاروا أبا بكر وكان ذلك رأى

ذوى الـــدين والفضـــل ، والنـــاظرين للأمـــة ، فـــأوقع ذلـــك فـــى صـــدوركم لهـــم التهمـــة ، ولـــم يكونـــوا متهمـــين ، ولا فيمـــا أتـــوا بـــالمخطئين ، ولـــو رأى المســـلمون أن فـــيكم مـــن يغنـــى غنـــاءه ، ويقـــوم مقامـــه ، ويـــذب عـــن حـــريم الاســـلام ذبـــه ، مـــا عـــدلوا بـــالأمر الـــى غيـــره رغبـــة منـــه ، ولكـــنهم عملـــوا فـــى ذلـــك بمـــا رأوه صـــلاحا للاســـلام وأهله والله يجزيهم عن الاسلام وأهله خيرا .

وقـــد فهمـــت الـــذى دعـــوتنى اليـــه مـــن الصـــلح ، والحـــال فيمـــا بينـــى وبينـــك اليـــوم ، مثـــل الحـــال التـــى كنـــتم عليهـــا ، أنـــتم وأبـــو بكـــر بعـــد وفـــاة النبـــى صـــلى الله عليه وسلم وآله .

فلـــو علمـــت أنـــك أضـــبط منـــى للرعيـــة ، وأحـــوط علـــى هـــذه الأمـــة ، وأحســـن سياســـة ، وأقـــوى علـــى جمـــع الأمـــوال ، وأكيـــد للعـــدو ، لأجبتـــك الـــى مـــا دعـــوتنى اليـــه، ورأيتـــك لـــذلك أهـــلا ، ولكـــن قـــد علمـــت أنـــى أطـــول منـــك ولايـــة ، وأقـــدم منـــك بهـــذه الأمـــة تجربـــة ، وأكبـــر منـــك ســـنا ، فأنـــت أحـــق أن تجيبنـــى الـــى هـــذه المنزلة التى سألتنى .

فادخـــل فـــى طـــاعتى ولـــك الأمـــر مـــن بعـــدى ، ولـــك مـــا فـــى بيـــت مـــال العـــراق بالغـــا مـــا يبلـــغ ، تحملـــه الـــى حيـــث أحببـــت ، ولـــك خـــراج أى كـــور العـــراق شـــئت ، معونة لك على نفقتك ، يجبيها أمينك ويحملها اليك فى كل سنة ، ولك الا

نستولى عليك بالاساءة ، ولا نقضى دونك الأمور ، ولا نعصى فى أمر اردت به طاعة الله ، أعاننا الله وإياك على طاعته انه سميع مجيب الدعاء والسلام .

وروى أبو الفرج فى مقاتل الطالبيين بسنده عن جندب قال ، فلما أتيت الحسن بكتاب معاوية – قلت له أن الرجل سائر اليك ، فابدأه بالمسير ، حتى تقاتله فى أرضه وبلاده وعمله – فاما أن تقدر أن ينقاد لك ، فلا والله حتى يرى منا أعظم من صفين ، فقال أفعل ، ثم قعد عن مشورتى وتناسى قولى .

رسالة اخرى من معاوية للامام الحسن :

قالوا وكتب معاوية الى الحسن :

أما بعد ، فان الله يفعل فى عباده ما يشاء ، لا معقب لحكمه ، وهو سريع الحساب ، فاحذر أن تكون منيتك على أيدى رعاع من الناس ، وأيأس من أن تجد فينا غميزة ، وأن أنت أعرضت عما أنت فيه وبايعتنى ، وفيت لك بما وعدت وأجريت لك ما شرطت ، وأكون فى ذلك ، كما قال أعشى بنى قيس بن ثعلبة :

وان أحد أسدى اليك أمانة فأوف بها تدعى اذا مت وافيا

ولا تحسد المولى اذا كان ذا غنى ولا تجفه ان كان فى المال فانيا

رد الامام الحسن على معاوية :

فأجابه الحسن عليه السلام :

أما بعد فقد وصل الى كتابك ، تذكر فيه ما ذكرت ، فتركت جوابك ، خشية البغى منى عليك ، وبالله أعوذ من ذلك ، فاتبع الحق تعلم أنى من أهلك ، وعلى اثم أن أقول فأكذب والسلام .

معاوية يكتب الى عماله على النواحى :

فلما وصل كتاب الحسن عليه السلام الى معاوية قرأه ، ثم كتب الى عماله على النواحى بنسخة واحدة :

من عبد الله معاوية أمير المؤمنين الى فلان بن فلان ومن قبله من المسلمين ، سلام عليكم فانى أحمد اليكم الله الذى لا اله الا هو أما بعد : فالحمد لله الذى كفاكم مؤونة عدوكم ، وقتل خليفتكم ، ان الله بلطفه ، وحسن صنعه أتاح لعلى بن أبى طالب رجلا من عباده ، فاغتاله فقتله ، فترك أصحابه متفرقين مختلفين ، وقد جاءتنا كتب أشرافهم وقادتهم ، يلتمسون ، الأمان لأنفسهم وعشائرهم ، فاقبلوا الى حين ياتيكم كتابى هذا بجهدكم وجندكم ، وحسن عدتكم ، فقد أصبتم بحمد الله الصبر ، وبلغتم الأمل ، وأحل الله أهل البغى والعدوان ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

كتاب معاوية يشهد بشماتته فى موت امير المؤمنين على :

أقول : فكيف نفى معاوية شماتته بموت الامام على فى رده على الامام الحسن الذى مر عليك وشماتته فى كتابه الى عماله ظاهرة ، وهل من الصدق أن ينسب البغى والعدوان للامام على ، ولكنهم قديما قالوا رمتنى بدائها وانسلت.

الفئة الباغية :

ولقد قتل جند معاوية فى صفين الصحابى الجليل عمار بن ياسر ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له : تقتلك الفئة الباغية ، كما سلف القول ، فلا حجة لمعاوية فيما يدعيه بغير حق ، من أن الامام عليا وأنصاره أهل بغى .

معاوية تغلبه السياسة على دينه :

وأين شهادة معاوية هذه فى امامنا على ، من شهادة امامنا على حين سئل عن معاوية وأصحابه وقيل له : أكفار هم ؟ قال لا من الشرك فروا ، وقالوا ، أمنافقون هم ؟ قال لا ، ان الله قال فى المنافقين (ولا يذكرون الله الا قليلا) وليسوا هم كذلك قالوا فما حالهم ، قال اخواننا بغوا علينا .

ومن هنا تعلم أن السياسة لم تغلب الامام عليا كما غلبت معاوية ، فحافظ الامام على كرم الله وجهه على دينه بينما تهاون معاوية فيه .

الامام الحسن يجمع جيشه :

قالوا ، فاجتمعت العساكر الى معاوية ، فسار بهم قاصدا الى العراق ، وبلغ الامام الحسن خبره ومسيره نحوه ، وأنه قد بلغ جسر منبج ، فتحرك عند ذلك ، وبعث حجر بن عدى فامر العمال والناس بالتهيؤ للمسير ، ونادى المنادى الصلاه جامعة ،

فأ قبل الناس يثوبون ويجتمعون ، وقال الحسن : اذا رضيت الجماعة ، فأعلمونى .

وجاء سعيد بن قيس الهمدانى فقال له اخرج.

فخرج الحسن عليه السلام فصعد المنبر فحمد الله واثنى عليه ثم قال : أما بعد فان الله كتب الجهاد على خلقه ، وسماه كرها، ثم قال لاهل الجهاد من المؤمنين : اصبرو ا ان الله مع الصابرين ، فلستم أيها الناس نائلين ما تحبون الا بالصبر على ما تكرهون .

بالغنى ان معاوية بلغه اننا كنا ازمعنا على المسير اليه ، فتحرك لذلك ، اخرجو رحمكم الله ، الى معسكركم بالنخيله ، حتى ننظر وتنظروا ، ونرى وتروا.

قالوا : وانه فى كلامه ليتخوف خذلان الناس له ، قالوا؛ فسكتو ا فما تكلم منهم احد ولااجابه بحرف.

شجاعة عدى بن حاتم ووفاؤه :

فلما رأى ذلك عدى بن حاتم قام فقال : انا ابن حاتم ، سبحان الله ، ما اقبح هذا المقام ، الاتحبون امامكم ، وابن بنت نبيكم ، ابن خطباء مضر ، اين المسلمون ، ابن الخواضون من اهل المصر ، الذين السنتهم كالمخاريق فى الدعة ، فاذا جد الجد فرواغون كالثعالب ، تخافون مقت الله ، ولاعيبها وعارها .

ثم استقبال الامام الحسن بوجه فقال : اصاب الله بك المراشد ، وجنبك المكاره ، ووفقك لما تحمد ورده وصدره ، قد سمعنا مقالتك ،

وانتهينا الى امرك ، وسمعنا لك واطعناك فيما قلت وما رأيت ، وهذا وجهى الى معسكرى ، فمن احب ان يوافينى فليواف .

ثم مضى لوجهه ، فخرج من المسجد ودابته بالباب ، فركبه ومضى الى النخيلة ، وامر غلامه ان يلحقه بما يصلحه ، وكان عدى بن حاتم اول الناس عسكرا.

نخبه من الاوفياء :

وقام قيس بن سعد بن عباد الانصارى ، ومعقل بن قيس الرياحى ، وزياد بن صعصعة التيمى ، فأنبو ا الناس ولاموهم وحرضوهم ، وكلموا الامام الحسن بمثل كلام عدى بن حاتم فى الاجابة والقبول ٠

فقال لهم الامام الحسن عليه السلام ، صدقتم رحمكم الله ، ما زلت أعرفكم بصدق النية والوفاء والقبول والمودة الصحيحة ، فجزاكم الله خيرا ثم نزل ٠

وخرج الناس وعسكروا ، ونشطوا للخروج ، وخرج الامام الحسن الى المعسكر ، واستخلف على الكوفة المغيرة بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب ، وأمره باستحثاث الناس واشخاصهم اليه ، فجعل يستحثهم ويستخرجهم حتى يلتئم العسكر ٠

ابن عباس يبدى رأيه للامام الحسن :

وروى ابن أبى حديد بسنده عن المدائنى عن أبى بكر بن الأسود قال : كتب ابن عباس الى الامام الحسن : أما بعد فان المسلمين ولوك أمرهم بعد على عليه السلام ، فشمر للحرب وجاهد عدوك ، وقارب أصحابك ، واشتر من الظنين دينه بما لا يثلم لك دينا ، ووال أهل البيوت والشرف ، تستصلح به عشائرهم ، حتى يكون الناس جماعة ، ، فان بعض مايكره الناس – مالم يتعد الحق ، وكانت عواقبه تؤدى الى ظهور العدل وعز الدين – خير من كثير مما يحبه الناس اذا كانت عواقبه تدعوا الى ظهور الجور وذل المؤمنين وعز الفاجرين .

واقتـد بمـا جـاء عـن أئمـة العـدل ، فقـد جـاء عـنهم أنـه لا يصـلح الكـذب الا فـى حـرب أو اصـلاح بـين النـاس ، فـان الحـرب خدعـة ، ولـك فـى ذلـك سـعة اذا كنت محاربا مالم تبطل حقا ،

واعلـم أن عليـا ابـاك ، انمـا رغـب النـاس عنـه الـى معاويـة ، انـه أسـاء اليهم فى الفىء ، وسوى بينهم فى العطاء فثقل عليهم .

واعلـم أنـك تحـارب مـن حـارب الله ورسـوله فـى ابتـداء الاسـلام ، حتـى ظهـر أمـر الله ، فلمـا وحـد الـرب ومحـق الشـرك وعـز الـدين ، أظهـروا الايمـان ، وقـرءوا القـرآن ، مسـتهزئين بآياتـه ، ، وقـاموا الـى الصـلاة وهـم كسـالى ، وأدوا الفرائض وهم لها كارهون .

فلمـا رأوا أنـه لا يعـز فـى الـدين الا الاتقيـاء الأبـرار ، توسـموا بسـيما الصـالحين ، لـيظن المسـلمون بهـم خيـرا ، فمـا زالـوا بـذلك حتـى شـركوهم فـى أمانـاتهم ، وقـالوا حسـابهم علـى الله ، فـان كـانوا صـادقين فاخواننـا فـى الـدين ، وان كانوا كاذبين كانوا بما افترقوا هم الأخسرين ٠

وقـد منيـت بأولئـك وبأبنـائهم وأشـباههم ، والله مـا زادهـم طـول العمـر الا غيـا ، ولا زادهـم ذلـك لأهـل الـدين الا مقتـا ، فجاهـدهم ولا تـرض دنيـة ولا تقبـل خسـفا ، فـان عليـالم يجـب الـى الحكومـة حتـى غلـب أمـره فأجـاب ، وانهـم يعلمـون أنـه أولـى بـالأمر ان حكمـوا بالعـدل ، فلمـا حكمـوا بـالهوى ، رجـع الـى مـا كـان عليـه حتـى أتـى عليـه أجلـه ، ولا تخـرجن مـن حـق أنـت أولـى به ، حتى يحول الموت دون ذلك والسلام ٠

قـالوا : وسـار الامـام الحسـن عليـه السـلام فـى عسـكر عظـيم وعـدة حسـنة ، حتى نزل دير عبد الرحمن فأقام به ثلاثا حتى اجتمع الناس ٠

ثـم دعـا عبيـد الله بـن عبـاس بـن عبـد المطلـب (أخـو عبـد الله بـن عبـاس) فقـال لـه : يـا ابـن عـم ، انـى باعـث اليـك اثنـى عشـر الفـا مـن فرسـان العـرب وقـراء المصـر ، الرجـل مـنهم يـزن الكتيبـة ، فسـر بهـم وألـن لهـم جانبـك ، وابسـط لهـم وجهـك ، وافـرش لهـم جناحـك ، وأدنهـم مـن مجلسـك ، فـانهم بقيـة ثقـات أمير المؤمنين ، وسر بهم على شط الفرات حتى تقطع بهم الفرات ، حتى تعبر

مسكن ، ثم امض حتى تستقبل بهم معاوية ، فان أنت لقيته فاحبسه حتى آتيك ، فانى على أثرك وشيكا ، وليكن خبرك عندى كل يوم ، وشاور هذين (يعنى قيس بن سعد وسعيد بن قيس) وإذا لقيت معاوية فلا تقاتله حتى يقاتلك ، فان فعل فقاتله ، وان أصبت فقيس بن سعد على الناس ، وان اصيب قيس بن سعد فسعيد بن قيس على الناس .

قالوا ، فسار عبيد الله حتى انتهى الى شينور حتى خرج الى شاهى ثم لزم الرات والفلوجه حتى أتى مسكن ، وأخذ الحسن على حمام عمر حتى أتى دير كعب ، ثم بكر فنزل ساباط دون القنطرة .

فلما أصبح نادى فى الناس ، الصلاة جامعة ، فاجتمعوا فصعد المنبر ، وخطبهم فقال :

الحمد لله كلما حمده حامد ، وأشهد ألا اله الا الله كلما شهد له شاهد ، وأشهد أن محمدا رسول الله ، أرسله بالحق وائتمنه على الوحى ، صلى الله عليه وآله أما بعد :

فوالله انى لأرجو أن أكون قد أصبحت بحمد الله ومنه ، وأنا أنصح خلقه ، وما أصبحت محتملا على مسلم ضغينه ، ولا مريدا له بسوء ولا غائلة ، ألا وان ما تكرهون فى الجماعة ، خير لكم مما تحبون فى الفرقة ، ألا وأنى ناظر لكم خيرا من نظركم لأنفسكم ، فلا تخالفوا أمرى ، ولا تردوا على رأيى ، غفر الله لى ولكم ، وأرشدنى وإياكم لما فيه محبته ورضاه ان شاء الله ، ثم نزل .

قالوا ، فنظر الناس بعضهم الى بعض ، وقالوا ما ترونه يريد بما قال قالوا نظنه يريد أن يصالح معاوية ، ويكل الأمر اليه ، كفر والله الرجل ، ثم شدوا على فسطاطه ، فانتهبوه حتى أخذوا مصلاه من تحته ، ثم شد عليه عبد الرحمن بن عبد الله بن جعال الأزدى فنزع مطرفه الذى على عاتقه ، فبقى جالسا متقلدا سيفه بغير رداء ، فدعا بفرسه فركبه ، وأحدق به طوائف من خاصته وشيعته ، ومنعوا منه من أراده ولاموه وضعفوه لما تكلم به .

فقال ادعوا لى ربيعة وهمدان ، فدعوا له ، فأطافوا به ، ودفعوا الناس عنه ، ومعهم شؤب (اخلاط) من غيرهم ، فلما مر فى مظام ساباط (قرب المدائن) قام اليه رجل من بنى أسد ثم من بنى نصر بن قعين يقال له جراح بن سنان ، وبيده معول فأخذ بلجام فرسه ، وقال له : الله أكبر يا حسن ، أشرك أبوك ، ثم أشركت أنت ، وطعنه بالمعول ، فوقعت فى فخذه فشقته حتى بلغت أربيته (أصل الفخذ) وسقط الحسن عليه السلام الى الأرض بعد أن ضرب الذى طعنه بسيف كان بيده واعتنقه ، فخرا جميعا الى الأرض ، فوثب عبد الله بن الأخطل الطائى ونزع المعول من يد جراح بن سنان ، فخضخضه به ، وأكب ظبيان بن عمارة عليه فقطع أنفه ، ثم أخذ له الآجر فشدخا رأسه ووجهه حتى قتلوه .

وحمل الحسن عليه السلام على السرير الى المدائن وبها سعيد بن مسعود الثقفى واليا عليها من قبله ، وقد كان أمير المؤمنين على عليه السلام ولاه المدائن فأقره عليها الحسن عليه السلام ، فأقام يعالج نفسه .

أمر عجيب وكرامة كبرى :

وأقول فى هذه المناسبة ، انعجبت فى تاريخ الامام الحسين ، أن يقوم المختار بن عبيد الله الثقفى ، وهو ابن أخ لسعيد بن مسعود الثقفى ، فيتزعم الشيعة بعد مقتل سليمان بن صرد الخزاعى ، ويثأر للامام الحسين ، ويمكن له الله من قتلة الامام الحسين ، فيوقفهم بين يديه ويأمر بقتلهم أنواعا من القتلات تناسب ما فعلوه ، فمنهم من أحرقه بالنار ، ومهم من قطع أطرافه و تركه حتى مات ، ومنهم من رمى بالنبال حتى مات ، وكان ممن قتلهم عبيد الله بن زياد ، وشمر بن ذى الجوشن ، عليهما اللعنة الدائمة ، وكان عمر بن سعد وابنه حفص ، وقد أرسل برأس ابن زياد الى سيدى على زين العابدين ، وأرسل برأس عمر وحفص الى سيدى محمد بن الحنفية ، وقال المختار حين قتلا ، والله لو قتلت بالحسين ثلاثة أرباع قريش ما وفوا بأنمله من أنامله ، أقول ان هذا الرجل الذى سلطه على أعداء الامام الحسين ، كان خصما لأمير المؤمنين على ولأمير المؤمنين الحسن ، ويدلك

علـى ذلـك أنـه حـين طعـن الامـام الحسـن ودخـل المـدائن ليعـالج جرحـه قـال المختـار لعمــه سـعيد بـن مسـعود الثقفـى والمتقـدم ذكـره لـو سـلمت الحسـن الـى معاويـة لاتخـذت عنـده اليـد البيضـاء ، فأجابـه عمـه فـى وفـاء ، بـئس مـا تـأمرنى بـه . ألسـت تـرى معـى أيهـا القـارىء الكـريم أن هـذا أمـر عجيـب ، فقـد تحـول المختـار مـن عـداوة سـافرة ، الـى صـداقة صـادقة ، ولله فـى خلقـه آيـات ، وتلـك والله لآل البيت من كبرى الكرامات .

ونعود الى التاريخ فنقول :

أمـا معاويـة فأنـه وافـى حتـى نـزل قريـة يقـال لهـا الحلوبيـة بمسـكن ، وأقبـل عبيد الله بن عباس حتى نزل بازائـه ، فلما كان من غد ، وجه معاوية بخيلـه اليه ، فخرج اليهم عبيد الله فيمن معه ، فضربهم حتى ردهم الى معسكرهم . عبيد الله بن عباس يخون الامام الحسن :

فلمـا كـان الليـل أرسـل معاويـة الـى عبيـد الله بـن عبـاس أن الحسـن قـد راسـلنى فـى الصـلح ، وهـو مسـلم الأمـر الـى ، فـان دخلـت فـى طـاعتى الأن ، كنـت متبوعـا ، والا دخلـت وأنـت تـابع ، ولـك ان أجبتنـى الآن ألـف ألـف درهـم ، أعجل لك فى هذا الوقت نصفها واذا دخلت الكوفة النصف الآخر .

فانسـل عبيـد الله اليـه لـيلا ، فـدخل عسـكر معاويـة ، فـوفى لـه بمـا وعـده وأصـبح النـاس ينتظـرون عبيـد الله أن يخـرج فيصـلى بهـم ، فلـم يخـرج حتـى أصـبحوا ، فطلبـوه فلـم يجـدوه ، فصـلى بهـم قـيس بـن سـعد بـن عبـادة ، ثـم خطـبهم فثبـتهم ، وذكـر عبيـد الله فنـال منـه ، ثـم أمـرهم بالصـبر والنهـوض الـى العـدو ، فأجـابوه بالطاعـة وقـالوا لـه : انهـض بنـا الـى عـدونا علـى أسـم الله ، فنـزل فنهض بهم .

وخـرج اليـه بسـر بـن ارطـاه ، فصـاح الـى أهـل العـراق ، ويحكـم هـذا أميـركم عنـدنا قـد بـايع وامـامكم الحسـن قـد صـالح ، فعـلام تقتلـون أنفسـكم . فقـال لهـم قـيس بـن سـعد ، اختـاروا احـدى اثنتـين ، امـا القتـال مـع غيـر امام ، واما أن تبايعوا بيعة ضلال ، فقالوا بل نقاتل بلا امام .

بين قيس بن سعد ومعاوية :

فخرجوا ، فضربوا أهل الشام حتى ردهم الى مصافهم ، فكتب معاوية الى قيس بن سعيد ، ، يدعوه ويمنيه فكتب اليه قيس : لا والله لا تلقانى أبدا الا بينى وبينك الرمح ، فكتب اليه معاوية لما يئس منه .

كتاب معاوية الى قيس بن سعد :

أما بعد فانك يهودى بن يهودى ، تشقى نفسك وتقتلها فيما ليس لك فان ظهر أحب الفريقين اليك نبذك وغدرك ، وان ظهر أبغضهم اليك نكل بك وقتلك ، وكان أبوك أوتر غير قوسه ، ورمى غير غرضه ، فأكثر الحر وأخطأ الفصل ، فخذله قومه ، وأدركه يومه ، فمات بحوران طريدا غريب والسلام .

رد الشجاع قيس بن سعد على معاوية :

فكتب اليه قيس بن سعد

أما بعد فانما أنت وثن ، دخلت فى الاسلام كرها ، وأقمت فيه فرقا ، وخرجت منه طوعا ، ولم يجعل الله لك فيه نصيبا ، ولم يقدم اسلامك ، ولم يحدث نفاقك ، ولم تزل حربا لله ولرسوله ، وحزبا من أحزاب المشركين وعدوا لله ولنبيه وللمؤمنين من عباده .

وذكرت أبى ، فلعمرى ما أوتر الاقوسه ، ولا رمى الاغرضه ، فشغب عليه من لا يشق غباره ولا يبلغ كعبه ، وزعمت أنى يهودى ابن يهودى ، وقد علمت وعلم الناس ، أنى وأبى أعداء الدين الذى خرجت منه ، وأنصار الدين الذى دخلت فيه ، وصرت اليه والسلام .

فلما قرأ معاوية كلامه غاظه ، وأراد اجابته ، فقال له عمرو بن العاص ، مهلا ، فانك ان كاتبته أجابك بأشد من هذا ، وان تركته دخل فيما دخل فيه الناس ، فأمسك عنه .

رسل معاوية الى الامام الحسن :

وبعث معاوية عبد الله بن عاصر وعبد الرحمن بن سمرة الى الامام الحسن للصلح فدعواه اليه فزهداه فى الأمر ، وأعطياه ما شرط له معاوية والا يتبع أحد بما مضى ، ولا ينال أحد من شيعة على بمكروه ، ولا يذكر على الا بخير ، وهى أشياء شرطها الامام الحسن فأجاباه الى ذلك ، وستعلم تفاصيل الشروط فيما بعد من كتاب الصلح الذى أرسله الامام الحسن الى معاوية .

وانصرف قيس بن سعد فيمن معه الى الكوفة ، واجتمع الى الامام الحسن عليه السلام وجوه الشيعة ، وأكابر أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام يلومونه ، ويبكون اليه جزعا مما فعل .

نص كتاب الصلح الذى كتبه الامام الحسن :

جاء نص كتاب الصلح فى كتاب مطالب السؤول فى مناقب آل الرسول لأبن طلحة القرشى كما يلى :

بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا ما صالح عليه الحسن بن على بن أبى طالب معاوية بن أبى سفيان ، صالحه على أن يسلم اليه ولاية أمر المسلمين على أن يعمل فيهم بكتاب الله وسنة رسوله محمد صلى الله عليه وسلم وسيرة الخلفاء الراشدين .

وليس لمعاوية بن أبى سفيان أن يعهد لأحد من بعده عهدا ، بل يكون الأمر من بعده شورى بين المسلمين ، وعلى أن الناس آمنون حيث كانوا من أرض الله فى شامهم وعراقهم وحجازهم ويمنهم ، وعلى أن أصحاب على وشيعته آمنون على أنفسهم وأموالهم ونسائهم وأولادهم ، وعلى معاوية بن أبى سفيان بذلك عهد الله وميثاقه ، وما أخذ الله على أحد من خلقه بالوفاء بما أعطى الله من نفسه ، وعلى أنه لا يبغى للحسن بن على ولا لأخيه الحسين ولا لأحد من بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم غائلة سرا ولا جهرا ، ولا يخيف أحدا منهم فى أفق من الآفاق ، شهد عليه بذلك الله وكفى بالله شهيدا وفلان وفلان والسلام .

معاوية فى طريقه للكوفه :

ونعـود للتـاريخ ، قـال أبـو الفـرج : وسـار معاويـة حتـى نـزل النخيلـة وجمـع النـاس فخطـبهم قبـل أن يـدخل الكوفـة خطبـة طويلـة لـم ينقلهـا أحـد مـن الـرواة تامة ، ودخل معاوية بعد فراغه من خطبته بالنخيلة .

كيف بايع قيس بن سعد معاوية :

وقـال ، فلمـا تـم الصلـح بـين الحسـن ومعاويـة ، أرسـل الـى قـيس بـن سـعد ، يـدعوه الـى البيعـة ، فجـاءه ، فلمـا أرادوا ادخالـه اليـه ، قـال انـى حلفـت ألا ألقـاه الا وبينـى وبينـه الـرمح أو السـيف ، فـأمر معاويـة بـرمح وسـيف فوضـعا بينـه وبينه ليبر يمينه .

قـال ، وفـى روايـة أخـرى أن الحسـن لمـا صـالح معاويـة ، اعتـزل قـيس بـن سـعد فـى أربعـة آلاف فـارس ، وأبـى أن يبـايع ، فلمـا بـايع الحسـن أدخـل قـيس ليبـايع ، فأقبـل علـى الحسـن فقـال ، أفـى حـل أنـا مـن بيعتـك ، فقـال نعـم ، فـألقى لـه كرسـى ، وجلـس معاويـة علـى سـرير والحسـن معـه ، فقـال لـه معاويـة أتبـايع يـاقيس ، قـال نعـم ، ووضـع يـده علـى فخـذه ولـم يمـدها الـى معاويـة ، فجـاء معاويـة مـن سـريره وأكـب علـى قـيس حتـى مسـح يـده علـى يـده ، ومـا رفـع اليـه قيس يده .

الامام الحسن يخطب بعد الصلح :

قـال أبـو الفـرج ، ثـم ان معاويـة أمـر الحسـن أن يخطـب فظـن أنـه سيحصـر فخطب فقال فى خطبته :

أنما الخليفة من سار بكتاب الله وسنة نبيه ، وليس الخليفة من سارباالجور ، ذاك رجل ملك ملكا تمتع بـه قليلا ، ثم تنخمه ، تنقطع لذته ، وتبقى تبعته (وان أدرى لعله فتنه لكم ومتاع الى حين) .

تعقيب على خطبة الامام الحسن :

أقـول والمبـدأ الـذى أبـرزه الامـام الحسـن فـى خطبتـه تلـك ، هـو ذات المبدأ الذى أبرزه أبوه الامام على قبله ، حين بين أن السادة آل البيت

لا يطلبون الخلافة لسلطان الدنيا وانما يطلبونها ليروا بها المعالم من دين الله وليظهروا بها الاصلاح فى بلاد الله ، واليك نص ماقاله الامام على كرم الله وجهه كما ورد فى نهج البلاغة :

(اللهم انك تعلم أنه لم يكن الذى كان منا ، منافسه فى سلطان ، ولا التماس شىء من فضول الحطام ، ولكن لنرد المعالم من دينك ، ونظهر الاصلاح فى بلادك ، فيأمن المظلومون من عبادك ، وتقام المعطلة من حدودك .

(اللهم انى أول من أناب ، وسمع وأجاب ، لم يسبقنى الا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالصلاة ، وقد علمتم أنه لا ينبغى أن يكون الوالى على الفروج والدماء والمغانم والأحكام وامامة المسلمين البخيل ، فتكون أموالهم نهمته ، ولا الجاهل فيضلهم بجهله ، ولا الجافى فيقطعهم بجفائه ، ولا الخائف للدول فيتخذ قوما دون قوم ، ولا المرتشى فى الحكم فيذهب بالحقوق ، ويقف بها دون المقاطع ، ولا المعطل للسنة فيهلك الأمة .)

فرحة معاوية بالصلح :

كانت فرحة معاوية بالصلح شديدة ، ولا أدل على ذلك من أنه أرسل صحيقة الصلح بيضاء وموقعة منه على بياض ، وقال للامام الحسن اكتب ما شئت من شروط .

وانى أنوه بصفة خاصة ، بأن معاوية عرض على الامام الحسن أن يكون له الأمر من بعده ، ولكن الامام الحسن رأى أن يكون الأمر شورى بعد معاوية ، حتى لا يخرج بالأمة عن مبدأ الشورى الذى جرى عليه سلف الأمة المقتدى بهم فى أمر الدين .

وقد بذل أخوه الامام الحسين (كما هو معروف) نفسه الغالية ، وبذل أنفسهم معه اخوته ، وأبناؤه ، وأبناء أخيه وأبناء أخته وأبناء عمومته وصحبه ، ومن أجل الحفاظ على ذلك المبدأ الذى هو حق مقدس من حقوق الأمة وكان معاوية قد خرج بعد موت الامام الحسن عن مبدأ الشورى

وحمل الناس بالسلطان والسيف على بيعة ابنه يزيد الذى لم يكن أهلا للخلافة .

وكذلك أنوه بأن الامام الحسن اشترط الا يساء من أصحابه أو أصحاب أبيه بأية اساءة والا عدل عن الصلح فاضطر معاوية الى القبول .

لماذا تنازل الامام الحسن عن الخلافة :

ان الامام الحسن حين تنازل عن الخلافة ، لم يكن خوارا ، يتهيب الحرب فقد خاض المعارك الكثيرة مع أبيه ومع غير أبيه كما علمت مما تقدم ، لكنه كان ذا فراسة عميقة بأحوال من حوله ، ودلته فراسته أنه وان كان هو الأصلح للخلافة الا أن أهل العراق يزهدون الخلافة ، بينما معاوية يطلب ملكا يسح المال من جوانبه سحا ، فجرى القوم وراء المال ، واشتروا الضلالة بالهدى وباعوا الدين بالدنيا ، والخلافة لا تنج الا فى مجتمع ينشدها ويرضى حكمها ، ومغالبة الناس لأهوائهم الدنيوية أمر عسير ، وان كانوا نجحوا فيه فى حياة الرسول صلى الله عليه وسلم والخلفاء الأربعة ، فان استمرار المغالبة كان مستبعدا لأنه ضد الطباع البشرية .

واذا كان معاوية قد استطاع أن يشترى ذمة عبيد الله بن عباس ، وهو ابن عم الامام الحسن ، فشراء الذمة من غيره كان أهون وأرخص .

وقد رأيت أن جند الامام الحسن اعتدوا عليه وطعنوه ، فهل كان يرجو من هؤلاء المتمردين خيرا فى ساعة الجد .

ولو قدرنا أنه التحم مع قوات معاوية وانتصر عليه ، فان أهل الشام كانوا يخرجون من المعركة حاقدين موتورين ، ولا تنس ما كان للخوارج من بقية ناوأت حتى بنى أمية مناواة شديدة فاستعانوا عليهم بالمهلب بن أبى صفرة وبنية الى أن تمت لهم الغلبة عليهم .

فالامام الحسن كان كأبيه يطلب خلافة الراشدين ، والمجتمع كان ينحط الى الدنيا انحطاطا سريعا ، فلا تتسنى خلافة الراشدين ، وصدق الله تعالى اذ يقول (كلا بل تحبون العاجلة وتذرون الآخرة) .

عدوى معاوية لاصحابه :

وقد تأثر أصحاب معاوية بمشربه في الخدعة وشراء الذمم ، ومن أبرز ما قرأته الواقعة الآتية :

بين عبيد الله بن عمر والامام الحسن :

كان عبيد الله بن عمر في صفين ، في صف معاوية ، وأثناء وقائع صفين أرسل عبيد الله الى الامام الحسن عليه السلام : ان لى اليك حاجة فالقنى ، فلقيه الامام الحسن عليه السلام ، فقال له عبيد الله : ان أباك وتر قريشا أولا وآخرا ، وقد شنئه الناس ، فهل لك في خلعه ، و ان تتولى أنت هذا الامر ، فقال كلا ، والله لا يكون ذلك .

ثم قال الامام الحسن عليه السلام يا أبن الخطاب ، والله لكأنى أنظر اليك مقتولا في يومك أو غدك ، أما الشيطان قد زين لك وخدعك حتى أخرجك مخلقا بالخلوق ، ترى نساء اهل الشام موقفك ، وسيصرعك الله ، ويبطحك لوجهك قتيلا .

قالوا ، فوالله ما كان الا بياض ذلك اليوم حتى قتل عبيد الله ، وهو في كتيبة رقطاء ، وكانت تدعى الخضرية ، وكانوا أربعة آلاف عليهم ثياب خضر .

فانظر رعاك الله ، كيف سرت عدوى معاوية ، في عبيد الله بن عمر بن الخطاب ، ووالله ما كان يسر أباه أن يراه في مثل هذا الموقف القبيح الذى غرته فيه دنياه ، وظن أن الامام الحسن مثله تغريه الدنيا الدنية ، وحاشاه .
وانى لست في حاجة لأن أسترعى نظرك لما تحقق من قتل عبيد الله كما تفرس الامام الحسن بنور الله ، فهو ممن جعل الله نورا يمشى به في الناس .

هل وفى معاوية للامام الحسن :

روى ابن أبي حديد بسنده عن المدائنى قال ، طلب زياد رجلا من أصحاب الحسن ممن كانوا في كتاب الأمان فكتب اليه الحسن :

من الحسن بن على الى زياد :

أمــا بعــد فقــد علمــت مــا كنــا أخــذنا مــن الأمــان لأصــحابنا ، وقــد ذكــر لــى فلان أنك تعرضت له ، فأحب ألا تعرض له الا بخير والسلام .

زياد يغضب اذ ينسبه الامام الحسن لأبى سفيان :

فلمــا أتــاه الكتــاب ، غضــب اذ لــم ينســبه الــى ابــى ســفيان ، وكــان معاويــة قــد ألحقــه بــأبى ســفيان بحجــة أن أبــاه كــان قــد أتــى أم زيــاد فــى الجاهليــة ، وفــى ذلــك مخالفــة لقولــه تعــالى (ادعــواهم لآبــائهم هــو أقســط عنــد الله فــان لــم تعلمــوا آبــائهم فــاخوانهم فــى الــدين ومــواليكم) وكــان النــاس يقولــون قبــل ذلك زياد أبن أبيه ، ورد زياد على الامام الحسن يقول :

من زياد بن أبى سفيان ، الى الحسن

أمــا بعــد ، فانــه أتــانى كتابــك فــى فاســق ، تؤويــه الفســاق مــن شــيعتك وشــيعة أبيــك ، وايــم الله لأطلبنــه بــين جلــدك ولحمــك ، وان أحــب النــاس الــى لحما أن آكله ، للحم أنت منه والسلام .

الامام الحسن يبعث كتاب زياد لمعاوية :

فلمــا قرألامــام الحســن الكتــاب بعــث بــه الــى معاويــة فلمــا قــرأه غضــب وكتب الى زياد :

كتاب معاوية الى زياد :

مـن معاويـة بـن أبـى سفيان الـى زيـاد أمـا بعد فـان لـك رأيـين ، رأيـا مـن سمية (أم زيـاد) فأمــا رأيــك مــن أبــى ســفيان فحلــم وحــزم ، وأمــا رأيــك مــن ســمية فمــا يكــون من مثلها .

ان الحســن بــن علــى كتــب الــى بأنــك عرضــت لصــاحبه ، فــلا تعــرض لــه ، فانى لم أجعل لك عليه سببيلا ، وان الحسن ليس ممن يرمى به الرجوان

(أى لا يستهان به) والعجب من كتابك اليه لا تنسبه الى ابيه أو الى أمه فالآن حين اخترت له والسلام .

ومع هذه الشدة التى كتب بها معاوية لزياد ، فان الوقائع التى جرت من معاوية ، دلت على أنه لم يف بالشروط التى شرطها الامام الحسن ، وكان الحسين بن المنذر الرقاشى يقول ، والله ما وفى معاوية للحسن بشىء مما أعطاه ، قتل حجرا وأصحاب حجر ، وبايع لابنه يزيد ، وسم الحسن .

الصالحون ينكرون استلحاق زياد بأبى سفيان :

ويقول الدكتور طه حسين فى كتابه (على وبنوه) ان استلحاق زياد بأبى سفيان أنكره الصالحون حين أعلنه معاوية وحرص عليه زياد أشد الحرص ، وغضب له موالى زياد من بنى ثقيف .

ويروى الدكتور طه عن البلاذرى أن يونس بن سعد قطع على معاوية خطبة الجمعة وقال له :

اتق الله يا معاوية ، فان رسول الله صلى الله عليه وسلم قضى بأن الولد للفراش وللعاهر الحجر ، وأنت قد جعلت للعاهر الولد وللفراش الحجر ، وان زيادا عبد عمتى وابن عبدها ، فاردد الينا ولاءنا .

فقال له معاوية : والله يا يونس لتكفن أو لأطيرن بك طيرة بطيئا وقوعها ، قال يونس ، اليس المرجع بعد بك وبى الى الله عز وجل .

وقال يزيد بن مفرغ يعيب معاوية بهذا الاستلحاق .

الا أبلغ معاوية بن حرب مغلغلة عن الرجل اليمان
أتغضب أن يقال أبوك عف وترضى أن يقال أبوك زانى

ويرى القارئ من ذلك قوة المعارضة التى لقيها معاوية فم استلحاق زياد بأبى سفيان .

الامام الحسن يرحل الى المدينة بعد الصلح :

يقول الدكتور طه حسين أن الامام الحسن ارتحل بأهل بيته الى المدينة بعد الصلح وترك معاوية فى الكوفةيدبر أمر دولته الجديدة كما

يشـاء ، ومـا كـاد يبعـد عـن الكوفـة حتـى أدركـه رسـول معاويـة يريـد أن يـرده الـى الكوفـة ليقاتـل طائفـة مـن الخـوارج خرجـت عليـه ، فـأبى الحسـن أن يعـود ، وقال لقد صالحته ، وما أريد ألا حقن الدماء واجتناب الحرب .

وانتهـى الحسـن الـى المدينـة فلقـى مـن أهلهـا أثـر وصـوله اليهـا مـن لامـه فـى الصـلح ، كمـا لامـه فيـه أهـل الكوفـة ، فكـان يقـول اللآئمـين ، كرهـت أن القـى الله عـز وجـل فـاذا سـبعون الفـا أو أكثـر تشـخب أوداجهـم دمـا يقـول كـل منهم ، ياربى فيم قتلت .

معاوية يلاين أهل العراق ثم يشتد عليهم :

يقـول الـدكتور طـه حسـين أن معاويـة صـانع أهـل العـراق ورفـق بهـم حتـى يـتم لـه الصـلح ويسـتقيم لـه الأمـر ويخـرج الحسـن عـن العـراق ، فلمـا تـم لـه ما أراد أصطنع الحزم وساس أهل العراق سياسة لم يكونوا يعرفونها من قبل .

فـاخرجهم مـن الدعـة التـى ألفوهـا ، وعلمهـم أن طاعـة الأمـراء فـرض لا ينبغـى التـردد فيـه أو الالتـواء بـه ، وأن مـن لـم يعـط الطاعـة لا أمـان لـه ، وقـد برئـت منـه ذمـة السـلطان ، هنالـك عـرف أهـل العـراق أن حيـاتهم قـد تغيـرت ، وأنهـم سيستقبلون من أمرهم أشد وأقسى مما كانوا يظنون .

وقـد جعـل أهـل العـراق ، يـذكرون حيـاتهم أيـام علـى ، فيحزنـون عليهـا ، وينـدمون علـى مـا كـان مـن تفـريطهم فـى جنـب خليفـتهم ، وينـدمون كـذلك علـى مـا كـان مـن الصـلح بيـنهم وبـين أهـل الشـام ، وجعلـوا كلمـا لقـى بعضـهم بعضـا تلاومـوا فيمـا كـان ، وأجـالوا الـرأى فيمـا يمكـن أن يكـون ، ولـم تكـد تمضـى أعـوام قليلـة حتـى جعلـت وفـودهم تفـد الـى المدينـة للقـاء الحسـن والقـول لـه والاستمتاع منه .

اختلاف وجهتى النظر فى شروط الصلح :

يقـول الـدكتور طـه حسـين : ان الحسـن احـتفظ بكتـاب معاويـة عنـده ، وأرسل اليه رجلا من بنى عبد المطلب من جهة ، وبينه وبين معاوية قرابة

قريبة من جهة أخرى ، وهو عبد الله بن الحارث و أمه أخت معاوية ، وقال ائت خالك ، وقل له : ان أمنت الناس بايعتك .

ويستطرد الدكتور طه قائلا ، وكان الحسن أراد أن يصطنع شيئا من اللباقة ، فاحتفظ بشروط معاوية ، وطلب إلى معاوية مزيدا هو تأمين الناس ، ولكن معاوية كان أدهى من ذلك و أبرع كثيرا ، فقد أعطى ابن أخته طومارا ختم فى أسفله و قال اكتب ما شئت .

فكتب فيه الحسن ، هذا ما صالح عليه الحسن بن على معاوية بن سفيان ، صالحه على أن يسلم اليه ولاية أمر المسلمين على أن يعمل فيها بكتاب الله و سنة نبيه وسيرة الخلفاء الصالحين ، وعلى أنه ليس لمعاوية أن يعهد لأحد من بعده ، و ان يكون الامر شورى ، والناس آمنون حيث كانوا على أنفسهم وأموالهم و ذراريهم وعلى الا يبغى الحسن بن على غائلة سرا ولا علانية ، ولا يخيف أحد من اصحابه ، شهد عبد الله بن الحارث ، وعمرو بن سلمة ، ثم رد عبد الله بن الحارث الى معاوية بكتابه هذا ليشهد عليه من شاء من أصحابه ففعل .

فتم الصلح ، ولكنه لم يتم دون أن يترك بين الرجلين شيئا من اختلاف الرأى وسوء التفاهم كما يقال فى هذه الأيام .

ثم يقول الدكتور طه ، أكان الكتاب الأول الذى ارسله معاوية الى الحسن قائما يكفل للحسن ما أعطاه معاوية من الشروط ، ما عدا ولاية العهد ، التى لم يرضها الحسن ، أم سقط هذا الكتاب الذى كتبه للحسن و أمضاه معاوية .

أما الحسن فقد رأى أن كتاب معاوية الأول ظل قائما ، واما معاوية فقد رأى أن الكتاب الثانى قد ألغى الكتاب الأول الغاء ، فليس للحسن عنده الا ما طلب من أن يكون الأمر شورى بعد موت معاوية ، ومن تأمين الناس على أنفسهم ، على أموالهم و ذراريهم ، ومن الا يبغى الحسن غائله سرا وجهرا ، ومن أن يعمل فى أمر المسلمين بكتاب الله وسنة رسوله وسيرة الخلفاء الصالحين .

ثـم يقـول الـدكتور طـه ، ومـن أجـل أخـتلاف الـرأى هـذا ، طلـب الحسـن الـى معاويـة بعـد أن اسـتقام لـه الامـر ، أن يفـى لـه بالشـروط الماليـة ، فـأبى عليـه معاوية ، وقال له ، ليس لك عندى الا ما شرطت لنفسك .

و أراد الامـام الحسـن أن يحكـم سـعد بـن أبـى وقـاص ، فلـم يقبـل معاويـة تحكيما ، ولكنه أرضى الحسن بما اعطاه وما فرض له من مال .

رأى الدكتور طه حسين فى خطبة الامام الحسن بعد الصلح :

تعـرض الـدكتور طـه لخطبـة الامـام الحسـن التـى خطبهـا بعـد تنازلـه عـن الخلافـة ، ونفـى مـا تكلفـه الـرواة والمؤرخـون مـن أن عمـرو بـن العـاص أغـرى معاوية بدعوة الحسن الى أن يتكلم ليظهر للناس عجزه .

وقـال الـدكتور طـه فـى دفاعـه عـن الامـام الحسـن: ان الحسـن لـم يخـتلس الصـلح اختلاسـا ، ولـم يسـتخف بـه مـن النـاس ، والحسـن قـد خطـب النـاس غيـر مـرة فـى حيـاة أبيـه وبعـد وفاتـه ، فلـم يعـرف منـه عـى أو حصـر ، وهـو بعـد ذلـك أو قبـل ذلـك ، مـن أهـل بيـت لـم يعرفـوا قـط بعـى أو حصـر ، وانمـا كـانوا معدن الفصاحة واللسن وفصل الخطاب .

ويسـتطرد الـدكتور طـه قـائلا : وقـد خطـب الحسـن فقـال خيـر مـا كـان يمكـن أن يقـال ، وأصـدق مـا كـان يمكـن أن يقـال أيضـا ، قـال (صـيغة أخـرى غير التى مرت عليك) .

((أيهـا النـاس ان أكـيس الكـيس التقـى ، وأحمـق الحمـق الفجـور ، ان هـذا الأمـر الـذى سـلمته لمعاويـة ، أمـا ان يكـون حـق رجـل كـان أحـق بـه منـى فأخـذ حقـه ، وأمـا أن يكـون حقـى فتركتـه لصـلاح أمـة محمـد وحقـن دمائها ، فالحمد لله الذى أكرم بنا أولكم ، وحقن دماء آخركم .

دفاع الدكتور طه حسين عن موقف الامام الحسن بعد الصلح :

يقـول الـدكتور طـه ، ان الصـلح أسـخط علـى الحسـن جماعـة مـن أصـحابه الذين أخلصوا له ولأبيه ، وأخلصوا فى بغض معاوية وأهل الشام ، ورأوا

فى هذا الصلح نوعا من التسليم لم يكن يلائم ما بذلوا أيام على من جهد ، ولم يكن يلائم كذلك ما كان فى أيديهم من قوة ، فمنهم من كان يقول للحسن : يا مذل المؤمنين ، ومنهم من كان يقول له : يا مذل العرب ، ومنهم من قال له : يا مسود وجه العرب .

ولكن الحسن لم يحفل بشىء من ذلك ، وانما رضى عن خطته كل الرضا ، ورأى فيها حقنا للدماء ، ووضعا لأوزار الحرب ، وجمعا لكلمة الأمة ، وتمكينا للمسلمين من أن يستقبلوا أمورهم مؤتلفين لا مختلفين ، ومنفقين لا مفترقين ، ومن أن يفرغ أهل الثغور لثغورهم ، يردون عنها طمع العدو فيها ، وفيما وراءها ، ومن أن يفرغ الجند للفتح ، يستأنفونه من حيث وقفته الفتنة .

ثم يقول ، ولم يكن قعود الحسن عن الحرب جبنا أو فرقا ، وانما كان كراهية لسفك الدماء من جهة ، وشكا فى أصحابه من الجهة الأخرى .

ثم تعرض الدكتور طه لمعارضة الامام الحسين لفكرة الصلح حين استشاره أخوه الامام الحسن ويقول أن الامام الحسين كان يرى أن يستمسك أخوه ويمضى فى الحرب ، الا أن الامام الحسن امتنع عليه وأنذره ، وعقب الدكتور طه قائلا ، وليس فى هذا شىء من الغرابة ، فقد كان على نفسه يتنبأ ببعض ذلك ، ويتحدث بأن الحسن سيخرج من هذا الأمر ، وبأن الحسين هو أشبه الناس به .

ظهور حزب الشيعة بعد التنازل عن الخلافة لمعاوية :

يقول الدكتور طه ان الامام على ، لم تكن له قبل فتنة عثمان شيعة ممتازة من الأمة ، ولم تكن له شيعة بالمعنى الذى يعرفه الفقهاء والمتكلمون أثناء خلافته ، وانما كان له أنصار وأتباع ، وكانت كثرة المسلمين كلها له أنصارا وأتباعا ، حتى كانت موقعة صفين .

ويقول : وقد قتل على ، وليس له حزب منظم ، ولا شيعة مميزة ، بل لم ينظم الحزب العلوى ، ولم توجد الشيعة المميزة الا بعد تنازل الامام الحسن عن الخلافة لمعاوية .

بين الامام الحسن واشراف الكوفة :

قلنا أن أهل العراق ندموا على ما كان من تفريطهم فى جنب خليفتهم كما ندموا على ما كان من أمر الصلح .

ويقول الدكتور طه ، أنه أقبل على الامام الحسن ذات يوم وفد من أشراف الكوفة ، فقال له متكلمهم وهو سليمان بن صرد الخزاعى : ما ينقضى تعجبنا من بيعتك معاوية ومعك أربعون ألف مقاتل من أهل الكوفة ، كلهم يأخذ العطاء ، وهم على أبواب منازلهم ، ومعهم مثلهم من أبنائهم وأتباعهم ، سوى شيعتك من أهل البصرة ، وأهل الحجاز ، ثم لم تاخذ لنفسك ثقة فى العقد ولا حظا من العطية .

(فلو كنت اذ فعلت ما فعلت ، أشهدت على معاوية وجوه أهل المشرق والمغرب ، وكتبت عليه كتابا بأن الأمر لك بعده ، كان الأمر علينا أيسر ، ولكنه أعطاك شيئا بينك وبينه ثم لم يف به ، ثم لم يلبث أن قال على رءوس الناس ، انى كنت شرطت شروطا ، ووعدت عدات ، أرادة لاطفاء نار الحرب ، ومداواة لقطع هذه الفتنة ، فأما اذ حمع الله لنا الكلمة والألفة ، وأمننا من الفرقة ، فان ذلك تحت قدمى .

فوالله ما أغترنى بذلك الا ما كان بينك وبينه وقد نقض ، فاذا شئت فأعد الحرب جذعه وأذن لى فى تقدمك الى الكوفة ، فأخرج عنها عامله ، واظهر خلعه ، وننبذ اليهم على سواء ان الله لا يحب الخائنين).

تعريف بسليمان بن صرد الخزاعى :

وانى أرى من المفيد أن أعرف القارىء الكريم بهذا الرجل العظيم ، فهو صحابى جليل ، وهو الذى تزعم الشيعة للأخذ بثأر مولانا الامام الحسين وقاتل الأمويين حتى قتل ، وتزعم المختار بن عبيد الله الثقفى الشيعة من بعده ونكل بقتله الامام الحسين نكالا شفى صدور قوم مؤمنين كما سلف القول .

ونعود لما كنا فيه ، يقول الدكتور طه ، وقال الآخرون مثلما قال سليمان بن صرد ، فهم اذن انما جاءوا المدينة ولقوا الحسن ليعاتبوه أولا

لأنه جنح للسلم على الرغم ما كان عنده من قوة وعدد ، وليعاتبوه ثانيا لأنه حين أمضى الصلح لم يشهد عليه وجوه الناس من أهل المشرق والمغرب ، ولم يشترط لنفسه ولاية عهد ، ثم لينبئوه ثالثا أن معاوية قد نقض الصلح ، وأعلن نقضه على رءوس الأشهاد ، ثم لينبئوه اليه بعد ذلك أن يعيد الحرب جذعة ، وأن يأذن لهم أن يسبقوا الى الكوفة ، فيعلنوا فيها على سواء أن الله لا يحب الخائنين .

ثم يقول الدكتور طه ، وقد قبل الحسن منهم شيئا ، ورفض شيئا ، وكان فيما قبل ناصحا لهم ، رفيقا بهم ، مؤثرا السلم وحقن الدماء ، ولكنه لم يوئسهم ، وانما أبقى لهم شيئا من أمل ، فقال لهم فيما روى البلاذرى :

أنتم شيعتنا وأهل مودتنا ، فلو كنت بالحزم فى أمر الدنيا أعمل ، ولسلطانها أعمل وأنصب ، ما كان معاوية بأبأس منى بأسا ، ولا أشد شكيمة ، ولا أمضى عزيمة ، ولكننى أرى غير ما رأيتم ، وما أردت فيما فعلت الا حقن الدماء ، فارضوا بقضاء الله ، وسلموا الأمر ، والزموا بيوتكم ، وامسكوا ، وكفوا أيديكم حتى يستريح بر أو يستراح من فاجر .

ويعقب الدكتور طه قائلا : فقد أعطاهم الحسن كما ترى الرضا ، حين أعلن اليهم شيعة أهل البيت ، وذوو مودتهم ، واذن فمن الحق أن يسمعوا له ، ويأتمروا بأمره ، ويكونوا عندما يريد منهم ، ثم بين لهم أنه لم يصالح معاوية عن ضعف ولا عن عجز ، وانما أراد حقن الدماء ، ولو قد أراد الحرب ، لما كان معاوية أشد منه قوة ولا أعسر مراسا ، ثم طلب اليهم أن يرضوا بقضاء الله ، ويطيعوا السلطان ، ويكفوا أيديهم عنه ، وأنبأهم بأنهم لن يفعلوا ذلك آخر الدهر ، ولن يستسلموا لعدوهم فى غير مقاومة ، وانما هو انتظار الى حين ، هو انتظار الى أن يستريح الأبرار من أهل الحق ، أو يريح اللة من الفجار من أهل الباطل .

ويعتقد الدكتور طه أن اليوم الذى لقى فيه الحسن هؤلاء الوفد من أهل الكوفة ، وهو اليوم الذى أنشىء فيه الحزب السياسى المنظم لشيعة على وبنيه ، نظم الحزب فى المدينة فى ذلك المجلس ، واصبح الحسن له رئيسا ، وعاد أشراف الكوفة الى من وراءهم ينبئونهم بالنظام الجديد ، والخطة المرسومة ويهيئونهم لهذا السلم الموقوت ، ولحرب تثار ، حين يأتى الأمر باثارتها من الامام المقيم فى المدينة .

ثم يقول : ومضى أمر الحزب على ذلك ، فجعل الشيعة يلقى بعضهم بعضا يتذاكرون أمورهم ويسجلون على معاوية وولايته ، ما يتجاوزون به حدود الحق والعدل ، وينتظرون أن يأمرهم الامام بالخروج .

ولكن الامام لم يأمرهم بالخروج ، وكان الحسن وفيا لمعاوية ببيعته ، حفيظا له على عهده ، مستعينا به ان احتاج الى المعونة مهما يكن نوعها ، ولكنه مع ذلك كان معارضا ، ولم يكن يستخفى بمعارضته ، وانما كان يظهر منها ما يشاء فى المدينة حيث كان يقيم ، وفى مكة حين كان يلم بها أثناء الموسم .

موقف معاوية من الامام الحسن :

يقول الدكتور طه : ان معاوية كان رفيقا بالحسن أعظم الرفق ، واصلا له أحسن الصلة ، ولكن معارضة كانت تبلغه ، فيعاتبه فيها لينا حينا ، وشديدا حينا .

ولكن مكان الحسن من معاوية لم يكن محببا اليه ، فقد كان معاوية رجلا بعيد النظر ، لم يكد يطمئن الى الخلافة ، ويرى أنها قد اطمأنت اليه ، حتى فكر فى أن يجعلها تراثا من بعده لآل أبى سفيان ، وكان يفكر فى ابنه يزيد دائما ، فيرى أن الحسن هو الحائل بينه وبين ما يريد من ذلك ، فهو تعجل الصلح مع الحسن فعرض عليه ولاية الأمر من بعده .

ويستطرد الدكتور طه قائلا : ومن الحق أن الحسن لم يقبل منه ذلك وانما اشترط عليه أن تكون الخلافة بعده شورى بين المسلمين ، يختارون لها من أحبوا ، وكان الحسن فى أكبر الظن يرى أن المسلمين لن يعدلوا

بـه بعـد وفـاة معاويـة أحـدا ، وكانـت الشـيعة تـؤمن بـذلك أشـد الايمـان ، وتـدعوا له فتلح فى الدعاء .

موقف معاوية من الامام الحسين :

ويقـول الكتـور طـه ، ومـا ينبغـى أن يـذكر أمـر الحسـين بـن علـى ، فـان الحسـين لـم يكـن نصـب نفسـه للبيعـة امامـا للمسـلمين ، ولـم يكـن معاويـة قـد صـالحه ، ولا وعـده ولا شـرط لـه ، ومـع ذلـك فقـد هـم معاويـة أن ينحـى الحسـين عـن مكانـه شـيئا ، لـتخلص لـه الطريـق مـن ابنـى فاطمـة ، وسـبطى النبـى ، فقـال ذات يـوم لعبـد الله بـن عبـاس ممازحـا يريـد الجـد (أنـت سـيد قومـك بعـد الحسـن) ولكـن عبـد الله بـن عبـاس لـم ينخـدع لـه ، وانمـا أجابـه فى صراحة (أما وأبوه عبد الله (أى الحسين) حى فلا) .

ويسـتطرد الـدكتور طـه قـائلا : ومـع ذلـك فلـم يتـردد معاويـة فـى أن يبـايع بولايـة العهـد لابنـه يزيـد ، وأكـره الحسـين كمـا أكـره غيـره مـن شـباب المهـاجرين علـى أن يسـكنوا عـن هـذه البيعـة التـى كـانوا ينكرونهـا فـى أنفسـهم أشد الانكار .

تعقيب على رأى الدكتور طه :

انصـافا لأبنـاء المهـاجرين أقـول انهـم عارضـوا معاويـة علانيـة معارضـة شـديدة عنـدما أبـدى رغبتـه فـى بيعـة ابنـه يزيـد ، واليـك أمثلـة مـن تلـك المعارضـة :

أراد معاويـة أن يسـتطيع رأى أهـل الحجـاز ، فرحـل الـى المدينـة سـنة ٥٠ هـ بـالحج ، ودعـا اليـه الزعمـاء أمثـال عبـد الله بـن عبـاس وعبـد الله ابـن جعفـر وعبـد الله بـن عمـر وعبـد الله بـن الزبيـر وعبـد الـرحمن بـن أبـى بكـر ولم يدع الحسن أو الحسين .

واقتـرح معاويـة علـيهم أن يعهـد بولايـة العهـد لابنـه يزيـد ، فهبـوا فـى وجهه مستنكرين الفكرة كل الاستنكار .

وتكلـم عـنهم عبـد الله بـن الزبيـر فقـال ، أمـا بعـد ، فـان الخلافـة لقـريش خاصة تتناولها بمآثرها السنية وأفعالها المرضية ، مع شرف الآباء وكرم

الأبنـاء ، فـاتق الله يـا معاويـة وانصـف مـن نفسـك ، فـان هـذا عبـد الله بـن عبـاس ابـن عـم رسـول الله ، وأنـا عبـد الله بـن الزبيـر ابـن عمـة رسـول الله ، وعلـى خلـف حسـنا وحسـينا ، وأنـت تعلـم مـن همـا ومـا همـا ، فـاتق الله يـا معاويـة وأنـت الحاكم بيننا وبين نفسك .

وقـال ابـن عمـر ، لقـد كـان قبلـك خلفـاء ، وكـان لهـم بنـون ، ولـيس ابنـك بخيـر مـن أبنـائهم ، فلـم يـروا فـى أبنـائهم مـا رأيـت فـى ابنـك ، فلـم يحـابوا فـى هذا الأمر أحدا ، ولكن اختاروا لهذه الأمة حيث علموهم .

وقـال عبـد الـرحمن بـن أبـى بكـر ، يـا معاويـة انـك والله لوددنـا أن نكللـك الـى الله فيمـا جسـرت عليـه مـن أمـر يزيـد ، والـذى نفسـى بيـده لتجعلنهـا شـورى أو لاعيـدها جذعـة ، ثـم قـام ليخـرج ، فتعلـق بـه معاويـة وقـال : علـى رسـلك ، اللهم أكفنيه بما شئت ، وهدأ من روعه .

فلمـا رأى معاويـة أن الموقـف يقتضـى الشـدة عـدل عـن ملاينـتهم ، وأمـر مناديـه أن ينـادى فـى النـاس ليجتمعـوا فـى المسـجد ، فتوافـدوا ، وقصـد الصـحابة حـول المنبـر ، ثـم دعـا معاويـة رئـيس حرسـه وقـال لـه : أقـم علـى كـل رجـل مـن هـؤلاء رجلـين ، ومـع كـل واحـد سـيف ، فـان ذهـب رجـل مـنهم يـرد على بكلمة بتصديق أو تكذيب فليضرباه بسيفهما .

ثـم صـعد معاويـة المنبـر ، وقـال غيـر صـادق ، ان عبـد الله بـن عمـر وعبـد الله بـن الزبيـر ، والحسـين بـن علـى ، وعبـد الـرحمن بـن أبـى بكـر ، قـد رضـوا وبـايعوا ليزيـد ، ثـم طلـب مـنهم البيعـة فبـايع النـاس كلهـم ، ثـم غـادر مكـة الـى المدينـة حيـث بايعـه أهلهـا ثـم غادرهـا الـى الشـام ، فأقبـل النـاس علـى هؤلاء السادة يلومونهم ، فقالوا والله ما بايعناه ولكن فعل وفعل .

موقف الامام الحسين مع معاوية من بيعة يزيد :

عنـدما ذهـب معاويـة الـى الحجـاز لأخـذ البيعـة لابنـه يزيـد ، بـدأ بالمدينـة ، واجتمـع بالامـام الحسـين وعبـد الله بـن عبـاس وأجلـس الامـام الحسـين عـن يمينه ، وأجلس ابن عباس عن يساره ، وخطب فمدح ابنه يزيد ، وعرض

بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولى عمرو بن العاص القيادة فى غزوة ذات السلاسل ، مقدما اياه على المهاجرين ، وقال : لكم فى رسول الله صلى الله عليه وسلم حسنة .

وهم ابن عباس بالاجابة ، فأشار اليه مولانا الحسين بالسكوت ، ليبدأ هو بالاجابة ، فقال مولانا الحسين معارضا ومجيبا :

يا معاوية ، لم يؤد القائل وان أطنب فى صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم من جميع جزءا ، وقد فهمت ما لبست به الخلف بعد رسول الله من ايجاز الصفة والتنكب عن استبلاغ البيعة ، وهيهات هيهات يا معاوية ، فضح الصبح فحمة الدجى ، وبهرت الشمس أنوار السرج .

ولقد فضلت حتى أفرطت ، واستأثرت حتى أجحفت ، ومنعت حتى بخلت ، وجرت حتى جاوزت المدى ، ما بذلت لذى حق من اسم حقه بنصيب ، حتى أخذ الشيطان حظه الأوفر ، ونصيبه الأكمل .

وفهمت ما ذكرته عن يزيد ، من اكتماله وسياسته لأمة محمد ، تريد أن توهم الناس فى يزيد ، كأنك تصف محجوبا ، أو تنعت غائبا ، أو تخبر عما احتوته بعلم خاص .

وقد دل يزيد من نفسه على موقع رأيه ، فخذ ليزيد ما أخذ هو به من استقرائه الكلاب المهارشة عند التحارش ، والحمام السبق لأترابهن ، والقينات ذوات المعازف ، وضروب الملاهى تجده ناصرا .

ودع عنك ما تحاول ، فما أغناك أن تلقى الله بوزر هذا الخلق بأكثر مما أنت لاقيه ، فوالله ما برحت تقدم باطلا فى جور ، وحنقا فى ظلم ، فى يوم مشهود ، ولات حين مناص .

ورأيتك عرضت بنا بعد هذا الأمر ، ومنعتنا عن آبائنا تراثا ، ولقد والله أورثنا رسول الله ولادة ، وجئت لنا بما حجبتم به القائم عند موت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأذعن للحجة بذلك ، ورده الايمان الى النصف ، فركبتم الأعاليل ، وفعلتم الأفاعيل ، وقلتم كان ويكون ، حتى أتاك الأمر يا معاوية من طريق كان قصدها لغيرك ، فهناك فاعتبروا يا أولى الأبصار

وذكرت قيادة الرجل القوم بعهد رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، وتأميره له ، وقد كان ذلك ، ولعمرو بن العاص يومئذ فضيلة بصحبة الرسول وبيعته له ، وما صار لعمرو يومئذ ، حتى أنف القوم امرته ، وكرهوا تقديمة ، وعدوا عليه أفعاله ، فقال صلى الله عليه وسلم (لا جرم معشر المهاجرين ، لا يعمل عليكم بعد اليوم) .

فكيف تحتج بالمنسوخ من فعل الرسول ، فى أوكد الأحوال وأولاها بالمجتمع عليه من الصواب ، أم كيف ضاهيت بصاحب تابعا ، وحولك من يؤمن فى صحبته ، ويعتمد فى دينه وقرابته ، وتتخطاهم الى مسرف مفتون ، تريد أن تلبس الناس شبهة يسعد بها الباقى فى دنياه ، وتشقى بها فى آخرتك ، ان هذا لهو الخسران المبين ، وأستغفر الله لى ولكم .

وعندئذ نظر معاوية الى ابن عباس وقال : ما هذا يا ابن عباس ، ولما عندك أدهى وأمر ، فقال ابن عباس : لعمر الله أنها لذرية الرسول ، وأحد أصحاب الكساء ، ومن البيت المطهر ، فاله عما تريد ، فان لك فى الناس مقنعا ، حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين .

فقال معاوية : أعوذ الحلم التحلم ، وخيره التحلم عن الأهل ، انصرف فى حفظ الله .

الامام الحسين يعدد اخطاء معاوية :

روى ابن قتيبة فى الامامة والسياسة ، أن معاوية كتب للامام الحسين بأن أمورا انتهت اليه عنه وأنذره فى كتابه قائلا : فانك متى تنكرنى أنكرك ، ومتى تكدنى أكدك ، فاتق شق عصا هذه الأمة . . فانظر لنفسك ولدينك ولأمة محمد صلى الله عليه وسلم ولا يستخفنك السفهاء والذين لا يعلمون) .

قال : فلما وصل كتاب معاوية رد عليه الامام الحسين قائلا : أما بعد فقد بلغنى كتابك تذكر فيه أنه انتهت عنى أمور ، أنت لى عنها راغب وأنا بغيرك عندك جدير ، وان الحسنات لا يهدى لها ولا يسدد اليها الا الله تعالى .

وأمـــا مـــا ذكــرت أنـــه رقـــى اليـــك عنـــى ، فانـــه انمـــا رقـــاه اليـــك الملاقـــون ، المشـــاؤون بالنميمـــة ، المفرقـــون بـــين الجمـــع ، وكـــذب الغـــاوون ، مـــا أردت لـــك حربا ، ولا عليك خلافا .

وانـــى لأخشـــى الله فـــى تـــرك ذلـــك منـــك ، ومـــن الاعـــذار فيـــه اليـــك ، والـــى أوليائـــك القاســـطين (الجـــائرين) الملحـــدين ، حـــزب الظلمـــة وأوليـــاء الشـــياطين . ألســـت القاتـــل حجـــر بـــن عـــدى أخـــا كنـــدة وأصـــحابه المصـــلين العابـــدين ، الـــذين كـــانوا ينكـــرون الظلـــم ويســـتفظعون البـــدع ، ويـــأمرون بـــالمعروف وينهـــون عـــن المنكـــر ، ولا يخـــافون فـــى الله لومـــة لائـــم ، ثـــم قتلـــتهم ظلمـــا وعـــدوانا ، مـــن بعـــد مـــا أعطيـــتم الايمـــان المغلظـــة ، والمواثيـــق المؤكـــدة جـــراءة على الله واستخفافا بعهده .

أولســـت قاتـــل عمـــرو بـــن الحمـــق صـــاحب رســـول الله صـــلى الله عليـــه وســـلم وآلـــه ، العبـــد الصـــالح ، الـــذى أبلتـــه البـــادة فنحـــل جســـمه واصـــفر لونـــه ، فقتلتـــه بعـــد مـــا أمنتـــه وأعطيتـــه مـــن العهـــود ، مـــا لـــو فهمتـــه العصـــم (نـــوع مـــن الوعول فى ذراعيه بياض) لنزلت من رؤوس الجبال .

أولســـت بمـــدعى زيـــاد بـــن ســـمية ، المولـــود علـــى فـــراش عبيـــد ثقيـــف ، فزعمـــت أنـــه ابـــن أبيـــك وقـــد قـــال رســـول الله صـــلى الله عليـــه وســـلم وآلـــه : (الولـــد للفـــراش وللعـــاهر الحجـــر) ، فتركـــت ســـنة رســـول الله صـــلى الله عليـــه وســـلم وآلـــه تعمـــدا ، وتبعـــت هـــواك بغيـــر هـــدى مـــن اللـــه ، ثـــم ســـلطتة علـــى أهـــل الاســـلام ، بقـــتلهم ، ويقطـــع أيـــديهم وأرجلهـــم ، ويســـمل أعيـــنهم ، ويصـــلبهم علـــى جـــذوع النخل ، كأنك لست من هذه الأمة وليسوا منك .

أو لســـت قاتـــل الحضـــرمى ، الـــذى كتـــب اليـــك فيـــه زيـــاد ، علـــى أنـــه علـــى ديـــن علـــى ، كـــرم الله وجهـــه ، فكتبـــت اليـــه أن اقتـــل كـــل مـــن كـــان علـــى ديـــن علـــى ، فقـــتلهم ومثل بهم بأمرك .

وقلـــت فيمـــا قلـــت انظـــر لنفســـك ولـــدينك ولأمـــة محمـــد ، واتـــق شـــق عصـــا هـــذه الأمـــة ، ولا تـــردهم الـــى الفتنـــة ، وانـــى لا أعلـــم فتنـــة أعظـــم علـــى هـــذه الأمـــة مـــن ولايتك عليها : ولا أعظم نظرا لنفسى ولدينى ولأمة محمد صلى الله عليه

وسلم ، أفضل من أن أجاهدك فان فعلت فانه قربة الى الله ، وان تركته فانى استغفر الله لدينى ، وأسأله توفيقه لارشاد أمرى ، فقلت فيما قلت ان انكرتك تنكرنى ، وان أكدك تكدنى ، فكدنى ما بدا لك ، فانى أرجو ألا يضرنى كيدك ، وألا يكون على أحد منه على نفسك ، لأنك قد ركبت جهلك ، وتحرصت على نقض عهدك .

ولعمرى ما وفيت بشرط ، ولقد نقضت عهدك بقتل هؤلاء النفر ، الذين قتلتهم بعد الصلح والايمان والعهود والمواثيق ، فقتلتهم من غير أن يكونوا قاتلوا وقتلوا ، ولم تفعل ذلك بهم الا لذكرهم فضلنا ، وتعظيمهم حقنا ، فقتلتم مخافة أمر ، لعلك لو لم تقتلهم ، مت قبل أن يفعلوا ، أو ماتوا قبل أن يدركوا .

فأبشر يامعاوية بالقصاص ، واستيقن بالحساب ، واعلم أن لله تعالى كتابا لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا أحصاها .

وليس الله بناس لأخذك بالظنة ، وقتلك أولياءه على التهم ، ونفيك أولياءه من دورهم الى دار الغربة ، وأخذك للناس ببيعة ابنك غلام حدث ، يشرب الشراب ، ويلعب بالكلاب ، ما أراك الا قد خسرت نفسك ، وتبرت دينك ، وغششت رعيتك وأخربت أمانتك ، وسمعت مقالة السفيه الجاهل ، وأخفت الورع التقى والسلام .

قال ، فلما قرأمعاوية كتاب الامام الحسين عليه السلام ، قال : لقد كان فى نفسه ضب ما أشعر به فلما أشار عليه أن يجيبه بما يصغر اليه نفسه ، قال لو أنى ذهبت لعيب على محقا ، فما عسيت أن أقول فيه ومثلى لا يحسن أن يعيب بالباطل (؟ !) وما لا يعرف ، ومتى ما عبت رجلا بما لا يعرفه الناس ، لم يحفل به ، ولا يراه الناس شيئا وكذبوه ، وما عسيت أن أعيب حسينا ، والله ما أرى للعيب فيه موضعا ، وقد رأيت أن أكتب اليه أتوعده وأتهدده ، ثم رأيت ألا أفعل .

وكل منصف من المطلعين على موقف الامام الحسين من معاوية فى مخالفاته لشروط الصلح وشروط الخلافة ، وفى حمله الناس على بيعة

يزيد كرها ، يرى أن الامام الحسين نصح لله ، وأدى أمانة الله ، ودافع دفاعا منقطع النظير عن حقوق الأمة ، فى حياة معاوية ، وقد رأيت كيف جابهه بشجاعة وقوة وروعة ، وهو على سرير ملكه ، وأما بعد معاوية ، فقد بذل أغلى ما يملك دفاعا عن الحق وأهله ، بذل روحه الزكية ، التى توجت أرواح الشهداء فى سبيل الحق .

العلامة العقاد وموقف الامام الحسين :

ويرحم الله العلامة العقاد اذ يقول فى كتابه (أبو الشهداء): ومن هو الشهيد ان لم يكن هو الرجل الذى يكلف الأيام ضد طباعها ويصدق الخير فى طبيعة الانسان والخير عزيز والدنيا به شحيحه ، والحسين رضى الله عنه ، قد طلب خلافة الراشدين حيث لا تنسى خلافة الراشدين ، وكان الصراع بين الحسين ويزيد ، أول تجربة من قبيلها بعد عهد النبوة ، وعهد الخلفاء الأولين ، وقد بذل فيها الحسين روحه وطبيعة الشهادة موكلة ببذل الحياة لما هو أدوم من الحياة فهو أبو الشهداء ، وينبوع شهادة متعاقبة ، لا يقرن بها ينبوع فى تاريخ البشر أجمعين .

هل تم لمعاوية ماأراد :

قلت فى مقدمة كتابى (الامام الحسين بن على) الذى تفضل المجلس الأعلى للشئون الاسلامية فنشره فى ١٥ شوال ١٣٨٥ الموافق ٥ فبراير ١٩٦٦ ما نصه :

((وأكاد أجزم أنه لو كشف الغيب لمعاوية ، فرأى أن الملك الذى أراد تأسيسه لبنى سفيان سينتقل على عجل الى مروان وبنيه ، لفضل بذكائه الحاد ، ودهائه السياسى ، أن تبقى الخلافة شورى بين المسلمين ، كما كانت ، ولما راقت له فكرة المغيرة بن شعبة فى استخلاف يزيد ، ولم يرد المغيرة بما أشار وجه الله ، فقد كان الحق واضحا ، وقد رضى معاوية أن يخلفه الامام الحسن فى شروط الصلح بينهما ، ولكن لم يطل عمر الامام الحسن ٠

(واذا كان معاوية قد عزل مروان عن ولاية المدينة وولى مكانه سعيد ابن العاص ، فلا أظنه كان يحب أن يراه وارثا لملك يزيد ويورثه لبنيه وذراريهم ، خاصة وأنه عارضه فى بيعة يزيد وقال له فأقم الأمر يا ابن أبى سفيان ، وأهدأ من تأميرك الصبيان ، واعلم أن لك فى قومك نظرا ، وأن لهم على مناوأتك وزرا .

(كذلك ما كان يرضى معاوية لعبد الله بن الزبير أن يأخذ الخلافة قهرا من بنى أمية ، وما من شك فى أن معاوية كان يرى الحق ولكنه رآه مغطى بحب الآباء الغريزى للأبناء ، فحجبت الحقيقة عن عينه ، فكان ما كان ، وترتب على تلك البيعة بلايا ورزايا حاقت نكباتها بالمسلمين ، ففرقت جمعهم وشتت شملهم ، فهم كذلك الى اليوم ، بعد أن كانوا يدا واحدة ، وقلبا واحدا ، والغيب لله ، والله غالب على أمره ، والملك عقيم ، كما قال عبد الملك بن مروان ، فى رثاء مصعب بن الزبير ، حين قتله ، وكان صديقا له قبل أن يتولى الملك عبد الملك).

ومما تقدم يعلم القارىء الكريم ، انه لم يتم لمعاوية ما أراد ، وصدق من قال : وتقدرون فتضحك الاقدار ، على أننا لو قلنا ان مروان وبنيه من بنى أمية ، وقد ملكوا وكان ملكهم ثمرة لهم من ثمرات بيعة يزيد ، فان ملكهم لم يدم بعد مقتل الامام الحسين الا ستين عاما لم تبلغ بهم ما أملوا من أن يكون ملكا خالدا على الزمن ، وكان مقتل الامام الحسين هو المعول الذى أتى على بنيانهم من القواعد وأسقطهم الى الأبد .

بعض شهادات ضد معاوية

الشهادة الأولى :

تبدأ تلك الشهادات بشهادة ضده ، واجهة بها فى حياته صوت الحق ، الذى نطق على لسان سعية بن غريض وقد جاء عنه فى كتاب الأغانى لأبى الفرج ، انه كان يهوديا وأسلم وعمر طويلا .

وقال أبو الفرج فيما رواه عنه بسنده فى الأغانى عن الهيثم بن عدى قال :

حـــج معاويـــة حجتـــين فـــى خلافتـــه ، وكانـــت لـــه ثلاثـــون بغلـــة يحـــج عليهـــا نســـاؤه وجواريـــه ، قـــال فحـــج فـــى احـــداهما فـــرأى شـــيخا يصـــلى فـــى المســـجد الحرام ، عليه ثوبان أبيضان ، فقال من هذا قالوا ، سعيه بن غريض .

فأرســـل اليـــه يـــدعوه ، فأتـــاه رســـوله فقـــال ، أجـــب أميـــر المـــؤمنين ، قـــال : أو ليس قد مات أمير المؤمنين ، قيل فأجب معاوية :

فأتـــاه ، فلـــم يســـلم عليـــه بالخلافـــة ، فقـــال لـــه معاويـــة ، مـــا فعلـــت أرضـــك التـــى بتيمـــاء ، قـــال يكســـى منهـــا العـــرى ، ويـــرد فضـــلها علـــى الجـــار ، قـــال ، أتبيعهـــا قـــال نعـــم ، قـــال بكـــم ، قـــال بســـتين الـــف دينـــار ، ولـــولا خلـــة أصـــابت الحـــى لـــم أبعهـــا ، قـــال لقـــد أغليـــت ، قـــال ، أمـــا لـــو كانـــت لـــبعض أصـــحابك لأخـــذتها بســـتمائة ألـــف دينـــار ثـــم لـــم تبـــال ، قـــال : أجـــل ، واذ بخلـــت بأرضـــك فأنشـــدنى شعر أبيك يرثى به نفسه ، فقال قال أبى :

ياليت شعرى حين أندب هالكا	ماذا تؤبننى به أنواحى
أيقلن لا تبعد ، فرب كريهة	فرجتها بشجاعة وسماح
ولقد ضربت بفضل مالى حقه	عند اشتاء وهبة الأرواح
ولقد أخذت الحق غير مخاصم	ولقد رددت الحق غير ملاحى
واذا دعيت لصعبه سهلتها	أدعى بأفلح مرة ونجاح

فقـــال ، أنـــا كنـــت بهـــذا الشـــعر أولـــى مـــن أبيـــك ، قـــال ، كـــذبت ولؤمـــت ، قـــال ، أمـــا كـــذبت فـــنعم ، وأمـــا لؤمـــت فلـــم ، قـــال ، لأنـــك كنـــت ميـــت الحـــق فـــى الجاهليـــة وميتـــه فـــى الاســـلام ، أمـــا فـــى الجاهليـــة ، فقاتلـــت النبـــى صـــلى الله عليـــه وســـلم ، حتـــى جعـــل الله عـــز وجـــل كيـــدك المـــردود ، وأمـــا فـــى الاســـلام فمنعـــت ولـــد رســـول الله صـــلى الله عليـــه وســـلم الخلافـــة ، ومـــا أنـــت وهـــى ، وأنـــت طليـــق ابـــن طليق فقال معاوية : لقد خرف الشيخ فأقيموه ، فأخذ بيده فأقيم .

الشهادة الثانية :

وتتبـــع الشـــهادة المتقدمـــة ، بشـــهادة حفيـــده معاويـــة الثـــانى بـــن يزيـــد ، الـــذى ولى الخلافة بعد أبيه وبقى فيها أربعين يوما ، فقد صعد المنبر فقال :

(أيها الناس ان جدى معاوية ، نازع الأمر أهله ، ومن هو أحق منه ، لقرابته من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو على بن أبى طالب وركب بكم ما تعلمون ، حتى أتته منيته ، فصار فى قبره رهينا بذنوبه وأسيرا بخطاياه .

(ثم قلد أبى الأمر ، فكان غير أهل لذلك ، وركب هواه وأخلفه الأمل ، وقصر عنه الأجل ، وصار فى قبره رهينا بذنوبه وأسيرا بجرمه). (
ان من أعظم الأمور علينا لسوء مصرعه وبئس منقلبه ، وقد قتل عترة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأباح الحرم وخرب الكعبة ، وما أنا بالمتقلد ولا بالمتحمل تبعاتكم ، فشأنكم أمركم).

وقد زلزلت خطبته هذه أركان الدولة الأموية ، خاصة وأنه لم يعين خلفا له على الرغم من الحاح أهله عليه ، بعد أن رأوا أن عدم استخلافه ، يمكن لعبد الله ابن الزبير فى الخلافة ، وقد ذهب بعض المؤرخين الى أنهم سموه ، وذهب بعضهم الى أنهم طعنوه .

وقد بايعت شبه الجزيرة العربية لابن الزبير ، كما بايعته كل من مكة والمدينة ، حيث تطلع الناس الى الخلاص من الحكم الأموى ، وقد كانت فظائع الحرة التى وقعت على أهل المدينة ، مائلة فى الأذهان ، وكذلك بايعت بلاد العراق لابن الزبير ، كما أقرت مصر خلافته ، وبايعه كثير من أهل الشام .

الشهادة الثالثة :

وهى شهادة رجل من العشرة المبشرين بالجنة ، وأول من رمى بسهم فى الاسلام ، وقد دعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال (اللهم سدد رميته واستجب دعوته) وهو سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه ، وهى ليست خاصة ببيعة يزيد ، والا كنا قدمناه على غيرها ، انما هى خاصة بالبدعة التى ابتدعها معاوية ، وهى سب الامام على على المنابر وقد بدأها هو ، وأمر ولاته باتباعها ، فكان الامام على ، وهو هو من الاسلام والمسلمين ، يسبه علانية بنو أمية وعمالهم دون أن يخافوا الله فيه .

وقد ولى معاوية سعد بن أبى وقاص ، فلم يتبع بدعة السب هذه مخالفا بذلك معاوية ، فقال له معاوية ، ما يمنعك أن تسب أبا تراب (كنية الامام على التى كناه مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم)

فقال سعد ، أما ما ذكرت ثلاثا قالهن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولأن تكون لى واحدة منهن ، أحب الى من أن يكون لى حمر النعم ، فلن أسبه :

سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ، وقد خلفه فى بعض المغازى ، فقال له على ، يا رسول الله ، تخلفنى مع النساء والصبيان ، فقال أما ترضى أن تكون منى بمنزلة هارون من موسى ، الا أنه لا نبوة بعدى . وسمعته يقول يوم خيبر ، لأعطين الراية رجلا يحب الله ورسوله ، ويحبه الله ورسوله ، فتطاولنا لها فقال : ادعوا لى عليا ، فأتاه وبه رمد ، فبصق فى عينيه ، ورفع الراية اليه ، ففتح الله عليه .

ولما نزلت هذه الآية ، (فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم) ، دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا وفاطمة وحسنا وحسينا ، فقال : اللهم هؤلاء أهلى .

فهذه شهادة رجل كان من أصحاب الشورى الستة ، وكان امامنا على منافسا فى الخلافة ، لكن لم يعدل به الهوى عن شهادة الحق ، والوقوف مع الحق حيث كان ، ولو ضايق ذلك صاحب السلطان .

الشهادة الرابعة :

وهى شهادة الخليفة الأموى الورع ، عمر بن عبد العزيز ، رضى الله عنه ، فقد أبطل بدعة السب ، التى ابتدعها معاوية ، وأبدلها عمر عليه السلام بقوله تعالى (ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربى ، وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى ، يعظكم لعلكم تذكرون) .

أقول وقد قرأت فى سبب ابطالها ، أن أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز تلقى فى صباه العلم عن رجل ورع من ذرية عتبة بن مسعود ، فرأى فى

طريقه الى المسجد ، عمر بن عبد العزيز ، بين صبيان بنى أمية ، يسبون الامام عليا ، فلما جاء عمر المسجد ليتلقى درسه ، أشاح الشيخ بوجهه عنه ، فسأل شيخه عن سبب ذلك ، فقال سمعتك تسب الامام عليا مع الصبيان ، يا بنى متى علمت أن الله غضب على أهل بدر بعد اذ رضى عنهم ، قال عمر ، وهل كان على فى بدر ، قال الشيخ ، وهل كانت بدر كلها الا لعلى .

يقول عمر ، ومن يومئذ ، نويت فى نفسى ، انى لو وليت أمر المسلمين أبطلت بدعة السب . وقد أنجز ما نواه حين ولى الخلافة فأرضى الله ورسوله .

الشهادة الخامسة :

وفى مناسبة عمر بن عبد العزيز ، أذكر ما دار بينه وبين أبيه عبد العزيز بن مروان ، حين كان واليا على المدينة ، فقد قال له عمر ، يا أبت أراك تهدر بالخطبة حتى اذا جئت الى سب على تلجلجت ، قال يابنى لو يعلم الناس من أمر على ما يعلم أبوك ، ما بقى واحد منهم معنا .

ونكتفى بتلك الشهادات الخمس حتى لا يطول بنا الكلام ، وتوضيح الواضحات من المشكلات كما يقولون .

أهل الكوفة فى توديعهم للامام الحسن :

روى ابن أبى حديد بسنده عن المدائنى قال : لما كان عام الصلح ، أقام الحسن عليه السلام بالكوفة أياما ، ثم تجهز للشخوص للمدينة ، فدخل عليه المسيب بن نجبة الفزارى ، وظبيان بن عمارة التيمى ، ليودعاه فقال الحسن :

الحمد لله الغالب على أمره ، لو أجمع الخلق جميعا على ألا يكون ما هو كائن ، ما استطاعوا .

فقال أخوه الحسين عليه السلام ، لقد كنت كارها لما كان ، طيب النفس على سبيل أبى ، حتى عزم على أخى فأطعته ، وكأنه يجذ أنفى بالموسى .

فقـــال المســـيب ، انـــه والله مـــا يكبـــر علينـــا هـــذا الامـــر ، الا أن تضـــاموا وتنتقصوا ، فأما نحن فانهم سيطلبون مودتنا بكل ما قدروا عليه .

فقـــال الامـــام الحســـين ، يـــا مســـيب ، نحـــن نعلـــم أنـــك تحبنـــا ، فقـــال الامـــام الحســـن عليـــه الســـلام ، ســـمعت أبـــى يقـــول ، ســـمعت رســـول الله صـــلى الله عليـــه وسلم يقول : (من أحب قوما كان معهم) .

فعرض له المسيب وظبيان بالرجوع فقال ليس الى ذلك سبيل .

الامام الحسن عند توديعه الكوفة :

قـــال فلمـــا كـــان مـــن غـــد خـــرج ، فلمـــا صـــار بـــدير هنـــد ، نظـــر الـــى الكوفـــة وقال :

ولا عن قلى فارقت دار معاشرى هم المـانعونى حوزتى وذمارى

فـــانظر ، رعـــاك الله ، الـــى وفائـــه بأهـــل مودتـــه ، فقـــد ذكـــر الكوفـــة بأهـــل مودتـــه ، ولـــم يـــذكرها بأهـــل عداوتـــه ، وهـــذا شـــأن عبـــاد الـــرحمن ، يقبلـــون مـــن المحســـن ، ويتجـــاوزون عـــن المســـىء (واذا خـــاطبهم الجـــاهلون قـــالوا ســـلاما) .

نصيحته رضى الله عنه لبعض خصوم ابيه :

قـــال المـــدائنى (فيمـــا نقلـــه ابـــن أبـــى حديـــد) ، حـــدثنا ســـليمان بـــن أيـــوب عـــن الأســـود بـــن قـــيس العبـــدى ، أن الحســـن عليـــه الســـلام لقـــى يومـــا حبيـــب بـــن مسـلمة فقـال لـه : يـا حبيـب رب مسـير لـك فـى غيـر طاعـة الله ، فقـال أمـا مسـيرى الـــى أبيـــك فلـــيس مـــن ذلـــك ، قـــال بلـــى والله ، ولكنـــك أطعـــت معاويـــة علـــى دنيـــا قليلـــة زائلـــة ، فلـــئن قـــام بـــك فـــى دنيـــاك ، لقـــد قعـــد بـــك فـــى أخرتـــك ، ولـــو كنـــت اذ فعلـــت شـــرا ، قلـــت خيـــرا ، كـــان ذلـــك كمـــا قـــال عـــز وجـــل (خلطـــوا عمـــلا صـــالحا وآخـــر ســـيئا) ولكنـــك كمـــا قـــال الله (كـــلا بـــل ران علـــى قلـــوبهم مـــا كـــانوا يكسبون) .

وهـــى كمـــا تراهـــا نصـــيحة أمينـــة مـــن رجـــل الـــدين لرجـــل الـــدنيا ، فهـــل من مدكر ؟ !

الامام الحسن يفحم خصومه :

وصف معاوية الامام الحسن يوما فقال ، انه ممن لاتطاق عارضته ، وكان ذلك حين وقعت مفاخرة بينه وبين رجالات من قريش ، من خصوم أبيه وخصومه .

وهى مفاخرة طويلة ، ذكرت مفصلة فى مراجعها ، وقد رأيت أن أوجز ما جاء عنها فى شرح نهج البلاغة لابن أبى حديد .

ومع ما أوجزته ، سيرى القارىء الكريم ، عارضة الامام الحسن فى قوتها ، وهو يلقم الحجر خمسة من كبار رجالات قريش وعلى رأسهم معاوية بعد أن استتب له الملك واستقر .

فقد اجتمع فى دار معاوية : عمرو بن العاص والوليد بن عقبة بن أبى معيط ، وعتبة بن أبى سفيان بن حرب والمغيرة بن شعبة .

وقد كان بلغهم عن الامام الحسن قوارص ، وبلغه عنهم مثل ذلك ، فقالوا لمعاوية ، يا أمير المؤمنين ، ان الحسن قد أحيا أباه وذكره ، و قال فصدق ، وأمر فأطيع ، وخفف له النعال ، وان ذلك لرافعه الى ماهو أعظم منه ، ولا يزال يبلغنا عنه ما يسوءنا .

قال معاوية ، فما تريدون ، قالوا ابعث اليه فليحضر لنسبه ونسب أباه ، ونعيره ونوبخه ، ونخبره أن أباه قتل عثمان ونقرره بذلك ، ولا يستطيع أن يغير علينا شيئا من ذلك .

قال معاوية : انى لا أرى ذلك ولا أفعله ، قالوا عزمنا عليك يا أمير المؤمنين لتفعلن ، فقال ويحكم لا تفعلوا فوالله ما رأيته جالسا عندى الا خفت مقامه وعيبه لى ، قالوا أبعث اليه على كل حال قال ان بعثت اليه لأنصفنه منكم .

فقال عمرو بن العاص ، أتخشى أن يأتى باطله على حقنا ، قال معاوية ، أما انى بعثت اليه لآمرنه أن يتكلم بلسانه كله ، قالوا مره بذلك .
قال ، أما اذ عصيتمونى ، وبعثتم اليه وأبيتم الا ذلك فلا تمرضوا له فى القول (أى لا تجعلوا قولكم مريضا) واعلموا أنهم أهل بيت

لا يعيبهم العائب ، ولا يلصق بهم العار ، ولكن اقذفوه بحجره تقولون له ، ان أباك قتل عثمان ، وكره الخلفاء من قبله .

فبعث اليه معاوية ، فجاءه رسوله ، فقال ان أمير المؤمنين يدعوك قال من عنده ، فسماهم له ، فقال الحسن عليه السلام : مالهم خر عليهم السقف من فوقهم ، وأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون .

ثم قال الامام الحسن ، يا جارية ، أبغينى ثيابى ، اللهم انى أعوذ بك من شرورهم ، وأدرأ بك فى نحورهم ، وأستعين بك عليهم فاكفنيهم كيف شئت ، وأنى شئت ، بحول منك وقوة ، يا أرحم الراحمين .

ثم قال : فلما دخل على معاوية ، أعظمه وأكرمه وأجلسه الى جانبه ، وقد ارتاد القوم وخطروا خطران الفحول ، بغيا فى أنفسهم وعلوا ثم قال معاوية يا أبا محمد ، ان هؤلاء بعثوا اليك وعصونى .

فقال الحسن عليه السلام سبحان الله (الدار دارك والاذن فيها اليك ، والله ان كنت أجبتهم الى ما أرادوا وما فى أنفسهم ، انى لأستحى لك من الفحش ، وان كانوا غلبوك على رأيك انى لاستحيى لك من الضعف ، فأيهما تقرر وأيهما تنكر ، أما انى لو علمت بمكانهم جئت معى بمثلهم من بنى عبد المطلب ، وما لى أن أكون مستوحشا منك ولا منهم ان وليى الله ، وهو يتولى الصالحين) . فقال معاوية يا هذا ، انى كرهت أن أدعوك ، ولكن هؤلاء حملونى على ذلك مع كراهتى له ، وان لك منهم النصف ومنى ، وانما دعوناك لنقررك أن عثمان قتل مظلوما ، وأن أباك قتله ، فاستمع منهم ثم أجبهم ، ولا تمنعك وحدتك واجتماعهم ، وأن أباك قتله ، فاستمع منهم ثم أجبهم ، ولا تمنعك وحدتك واجتماعهم أن تكلم بكل لسانك .

ثم تكلموا واحدا بعد واحد ، وكانوا فيما تكلموا به متجنين متحاملين ، ولقد جانبوا الصواب فيما تكلموا به ، ويكفى كأنموذج لتحاملهم ، أن أنقل للقارىء الكريم كلام عمروا بن العاص وهو أول متكلم فيهم :

تكلم عمرو ، فحمد الله ، وصلى على رسوله ، صلى الله عليه وسلم ، ثم ذكر عليا ، عليه السلام فلم يترك شيئا يعيبه به الا قاله ، وقال انه شتم أبا بكر وكره خلافته ، وامتنع من بيعته ، ثم بايعه مكرها ، وشرك فى دم عمر ، وقتل عثمان ظلما ، وادعى من الخلافة ماليس له ٠

ثم ذكر الفتنة يعيره بها ، وأضاف اليه مساوئ ، وقال يا بن عبد المطلب ، لم يكن الله ليعطيكم الملك على قتلكم الخلفاء ، واستحلالكم ما حرم الله من الدماء ، وحرصكم على الملك واتيانكم ما لا يحل ٠

ثم انك يا حسن ، تحدث نفسك أن الخلافة سائرة إليك ، وليس عندك عقل ذلك ولا لبه ، كيف ترى الله سبحانك سلبك عقلك ، فتركك أحمق قريش ، يسخر منك ويهزأ بك ، وذلك لسوء عمل أبيك ٠

وانما دعوناك لنسبك وأباك ، فأما أبوك فقد تفرد الله به ، وكفانا أمره ، وأما أنت فانك فى أيدينا نختار فيك الخصال ، ولو قتلناك ما كان علينا اثم من الله ، ولا عيب من الناس ، فهل تستطيع أن ترد علينا وتكذبنا ، فان كنت ترى أننا كذبنا فى شئ فاردده علينا فيما قلنا والآن اعلم أنك وأباك ظالمان ٠

أقول ، وقد كدت أن أنكر عقلى ، وأن أقرأ مقالة عمرو هذه ، فكيف قالها ، وظن أنه صادق فيما قال ، مع أنه والله لم يقل صدقا ، ولا عدلا ، وقد كنت أربأ به فى ذكائه أن يخبط ، بهوى سياسى ، مثل هذا الخبط ، وهو خبط عشواء وأضل ، ولئن كان أرضى معاوية ، فقد أغضب الله ربه ، وكأنه كلام محموم يهذى فلا يدرى ما يقول ولا حول ولا قوة الا بالله ٠

والا فبماذا يستحل حرمة الامام الحسن وآله ، وبماذا يستحل دم الامام الحسن ، بعد أن وقف من السلم موقفا خلده فى التاريخ ويرحم الله السيد محمد اقبال فليسوف الباكستان العظيم اذ يقول مشيرا بذلك الموقف الكريم ، فى قصيدته التى مرت عليك :

حسن الذى صان الجماعة بعد ما	أمسى تفرقها يحل عراها
ترك الخلافة ثم أصبح فى الديار	امام ألفتها وحسن علاها

علـــى أن امامنـــا الحســـن ، عـــرض عليـــه معاويـــة ، أن يكـــون الخليفـــة مـــن بعــده ، وطبعــا كـــان ذلـــك بعلـــم عمـــرو ورضـــاه ، فهـــل كانـــت صـــورة الامـــام الحســـن عنـــدهما يومئـــذ هـــى الصـــورة القبيحـــة التـــى نطـــق بهـــا عمـــرو افكـــار وبهتانـــا فـــى مقالتـــه المتقدمـــة ، التـــى يطعـــن بهـــا حليفـــه معاويـــة قبـــل أن يطعـــن بهـــا الامام الحسن ، لأنه لـو صدقت الصورة ، وحاشا ، لكان اختيار معاوية الحسن للخلافة من بعده أسوأ اختيار ، وأن كذبت الصورة ، وهى كاذبة فعلا فلا يسمع قول لكذاب ، لأن الوقت أثمن من القول الكاذب .

ومـــا لـــى أرد علـــيهم ، وقـــد أغنـــانى الامـــام الحســـن ، وأنـــى لمثلـــى أو لأكبـــر منـــى أن يزاحمـــه ، فقـــد أجـــابهم واحـــدا واحـــدا ولقـــى عمـــرو منـــه جـــزاءه كمـــا سترى :

حمـــد الامـــام الحســـن الله ، وأثنـــى عليـــه ، وصـــلى علـــى رســـوله وآلـــه ثـــم قال :

(أمـــا بعـــد ، يـــا معاويـــة ، فمـــا هـــؤلاء شـــتمونى ، ولكنـــك شـــتمتنى ، فحشـــا ألفتـــه ، وســـوء رأى عرفـــت بـــه ، وخلقـــا ســـيئا ثبـــت عليـــه ، وبغيـــا علينـــا ، عـــداوة منـــك لمحمـــد وأهلـــه ، ولكـــن اســـمع يـــا معاويـــة واســـمعوا ، فلأقـــولن فيـــك وفـــيهم دون ما فيكم .

أنشـــدكم الله ، أيهـــا الـــرهط ، أتعلمـــون أن الـــذى شـــتمتموه منـــذ اليـــوم ، صـــلى للقبلتـــين كليهمـــا وأنـــت يـــا معاويـــة بهمـــا كـــافر ، تراهـــا ضـــلالة ، وتعبـــد اللات والعزى غواية .

وأنشـــدكم الله ، هـــل تعلمـــون أنـــه بـــايع البيعتـــين كليهمـــا ، بيعـــة الفـــتح ، وبيعة الرضوان ، وأنت يا معاوية ، باحداها كافر وبالأخرى ناكث .

وأنشـــدكم الله هـــل تعلمـــون ، أنـــه أول النـــاس ايمانـــا ، وأنـــك يـــا معاويـــة وأبـــاك مـــن المؤلفـــة قلـــوبهم ، تســـرون الكفـــر وتظهـــرون الاســـلام ، وتســـتمالون بالأموال .

وأنشـــدكم الله ، ألســـتم تعلمـــون أنـــه كـــان صـــاحب رايـــة رســـول الله يـــوم بدر ، وأن راية المشركين كانت مع معاوية ومع أبيه ، ثم لقيكم يوم أحد

ويوم الأحزاب ، ومعه راية رسول الله صلى الله عليه وآله ، ومعك ومع أبيك راية الشرك ٠

وفى كل ذلك يفتح الله له ، ويفلج حجته ، وينصر دعوته ، ويصدق حديثه ورسول الله صلى الله عليه وسلم فى تلك المواطن كلها عنه راض ، وعليك وعلى أبيك ساخط ٠

وأنشدك الله يا معاوية ، أتذكر يوما جاء أبوك على جمل أحمر ، وأنت تسوقه ، وأخوك عتبة هذا يقوده ، فرآكم رسول الله فقال : اللهم العن الراكب والقائد والسائق ٠

أتنسى يا معاوية الشعر الذى كتبته الى أبيك لما هم أن يسلم تنهاه عن ذلك :

يا صخر لا تسلمن يوما فتفضحنا بعد الذين ببدر أصبحوا فرقا
خالى وعمى وعم الأم ثالثهم وحنظل الخير قد أهدى لنا الأرقا
ولا تركنن الى أمر تكلفنا والراقصات به فى مكة الخرقا
فالموت أهون من قول العداة لقد حاد ابن حرب عن العزى اذا تفرقا

والله لما أخفيت من أمرك أكبر مما أبديت أيها الرهط ، أتعلمون أن عليا حرم الشهوات على نفسه بين أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله فيه (يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم) وأن رسول الله صلى الله عليه وآله بعث أكابر أصحابه الى بنى قريظة فنزلوا من حصنهم فهزموا ، فبعث عليا بالراية ، فاستنزلهم على حكم الله وحكم رسوله ، وفعل فى خيبر مثلها ٠

ثم قال يا معاوية ، أظنك لا تعلم ، أنى أعلم ما دعا به عليك رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله ، لما أراد أن يكتب كتابا الى بنى خزيمة ، فبعث اليك ابن عباس ، فوجدك تأكل ، ثم بعثه اليك مرة أخرى فوجدك تأكل ، ثم بعثه اليك مرة أخرى فوجدك تأكل ، فدعا عليك الرسول بجوعك ، ونهمك الى أن تموت (جاءت هذه القصة فى ترجمة معاوية فى أسد الغابة منقولة من صحيح مسلم) .

وأفـــاض الامـــام الحســـن فـــى وقـــائع أخـــرى مـــع أبـــى ســـفيان ، ثـــم وجـــه كلامـــا لعمـــرو بـــن العـــاص ، عـــده عمـــروا قـــذفا ، وطالـــب معاويـــة بإقامـــة الحـــد علـــى الامـــام الحســـن ، فقـــال معاويـــة خـــل عنـــه ، لا جـــزاك الله خيـــرا ، وقـــد استحســـنت عدم نقله اختصارا .

ومممـــا قالـــه الامـــام الحســـن لعمـــرو بـــن العـــاص ، فأنـــت عـــدو بنـــى هاشـــم فـــى الجاهليـــة والاســـلام ، ثـــم انـــك تعلـــم ، وكـــل هـــؤلاء الـــرهط يعلمـــون ، أنـــك هجـــوت رســـول الله صـــلى الله عليـــه وســـلم بســـبعين بيتـــا مـــن الشـــعر فقـــال رســـول الله صـــلى الله عليـــه وآلـــه : اللهـــم انـــى لا أقـــول الشـــعر ولا ينبغـــى لـــى ، اللهـــم العنه بكل حرف ألف لعنة – فعليك اذن من الله مالا يحصى من اللعن .

وأمـــا مـــا ذكـــرت مـــن أمـــر عثمـــان ، فأنـــت ســـعرت عليـــه الـــدنيا نـــارا ، ثـــم لحقـــت بفلســـطين ، فلمـــا أتـــاك قتلـــه قلـــت ، أنـــا أبـــو عبـــد الله اذا نكـــأت قرحـــة أدميتهـــا ، ثـــم حبســـت نفســـك الـــى معاويـــة ، وبعـــت دينـــك بـــدنياك ، فلســـنا نلومـــك علـــى بغـــض ، ولا نعاتبـــك علـــى ود ، وبـــالله مـــا نصـــرت عثمـــان حيـــا ، ولا غضـــبت لـــه مقتـــولا ، الـــى آخر ما عنفه به ثم قال له ، فهذا جوابك ، هل سمعته .

وكان مما قاله الامام الحسن للوليد بن عقبة :

وامـــا أنـــت يـــا وليـــد ، فـــوالله مـــا ألومـــك علـــى بغـــض علـــى ، وقـــد جلـــدك ثمـــانين فـــى الخمـــر ، وقتـــل أبـــاك بـــين يـــدى رســـول الله صـــبرا ، وأنـــت الـــذى ســـماه الله الفاســـق ، وســـمى عليـــا المـــؤمن ، حيـــث تفاخرتمـــا فقلـــت لـــه ، اسـكت يـــاعلى ، فأنـــا أشـــجع منـــك جنانـــا ، وأطـــول منـــك لســـانا ، فقـــال لـــك علـــى ، اسـكت يـــا وليـــد فأنـــا مـــؤمن ، وأنـــت فاســـقا ، فـــأنزل الله تعـــالى فـــى موافقـــة قولـــه (أفمـــن كـــان مؤمنـــا كمـــن كـــان فاســـقا لا يســـتوون)ثـــم أنـــزل فيـــك علـــى موافقـــة قولـــه أيضا (ان جاءكم فاسق بنيأ فتبينوا) ويحك يا وليد مهما نسيت فلن تنس قول الشاعر فيك:

أنزل الله والكتـاب عزيز فى على وفى الولـيد قرانا
فتبوى الولـيد اذ ذاك فسقا وعلى مبـــوأ ايمـــانا
ليس من كان مؤمنـا عمرك الله كمن كان فاسـقا خـوانا

ثم التفت الامام الحسن الى عتبة ، وقال متهكما :

وأما أنت يا عتبة ، فوالله ما أنت بحصيف فأجيبك ، ولا عاقل فأحاورك وأعاتبك ، وما عندك خير يرجى ، ولا شر يتقى ، وما عقلك وعقل أمتك الا سواء ، وما يضر عليا لو سببته على رؤووس الأشهاد ، وأعقب ذلك بكلام فارس أمسكت عن نقله اختصارا ، ثم التفت الامام الحسن الى المغيرة ، وقال له فى سخرية لاذعة :

وأما أنت يا مغيرة ، فلم تكن بخليق أن تقع فى هذا وشبهه ، وانما مثلك مثل البعوضة اذ قالت للنخلة ، استمسكى ، فانى طائرة عنك ، فقالت النخلة ، وهل علمت بك واقفة على ، فأعلم بك طائرة عنى ، وأتبع ذلك بكلام فارس أمسكت عن نقله اختصارا .

ثم وجه كلامه للجميع قائلا :

وأما فخركم علينا بالامارة ، فان الله تعالى يقول (واذا أردنا أن نهلك قرية ، أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا) قالوا ، ثم قام الامام الحسن فنفض ثوبه ، وانصرف ، فقال معاوية قد أنبأتكم أنه ممن لا تطاق عارضته ، ونهيتكم أن تسبوه فعصيتمونى ، والله ما قام حتى أظلم على البيت ، قوموا عنى ، فقد فضحكم الله وأخزاكم بترككم الحزم ، وعدولكم عن رأى الناصح المشفق والله المستعان .

استرعاء نظر :

وانى أود أن استرعى نظر القارىء الكريم الى الاعتبارات الآتية :

١ - ان الامام عليا لم يكرهه أحد على بيعة أبى بكر ، كما ادعى عمرو ابن العاص ، وكان تأخره عن بيعته بعض الوقت فى أرجح الأقوال كما مر عليك لسببين :

أ) - انه لم يشترك فى اجتماع السقيفة ، وكان مشغولا بتجهيز مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان يرجو أن يدعى للاجتماع باعتباره من السابقين الأولين .

ب) أن السيدة الزهراء زوجته ، كانت تطالب سيدنا أبا بكر رضى الله عنه فى ميراثها من أبيها فى أرض فدك ، ولم يجبها ، وأخبرها أن مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : نحن معاشر الأنبياء لا نورث ما تركناه فهو صدقة ، وما زال الخليفة الأول يسترضيها حتى رضيت عنه ، وهدد بترك الخلافة أن لم تكن الوهراء عنه راضية ومما قاله فى استرضائها ، (يا حبيبة رسول الله ، والله ان قرابة رسول الله أحب الى من قرابتى وانك لأحب الى من عائشة ابنتى . .)

فالامام على فى تأخره عن البيعة ، كان يطيب خاطر زوجته ، حتى اذا رضيت بايع وقد قال تعالى فى نية رسول الله صلى الله عليه وسلم الطيبة (لم تحرم ما أحل الله لك تبتغى مرضاة أزواجك) وفى ذلك ثناء على نية علمها الله ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبتغى طيب خواطرهن ، ثم عاتب تعالى زوجتيه فقال (ان تتوبا الى الله فقد صغت قلوبكما وان تظاهرا عليه . . الآية) .

ويضاف الى ما تقدم أن الامام عليا وان تأخر فى البيعة ، فانه لم يخرج على الخليفة الأول ولم يحاربه ، كما فعل معاوية وعمر ، حين خرجا على الامام على ، وحارباه دون حق .

٢- أما سيدنا عليا شارك فى دم عمر ، فلم يقل أحد ذلك ، وكيف وهو يخاف الله خوف السابقين ، يقتل النفس التى حرم الله الا بالحق .

وسيدنا عمر صهره ، وحبيبه ، وستعلم فيما يلى أنه حرص على مصاهرة الامام على ليكون له نسب بمولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث وقف على ما قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم (كل نسب ينقطع يوم القيامة الا نسبى) وكان سيدنا عمر ، كما مر القول ، يقول لا أبقانى الله فى بلد لست بها يا أبا الحسن ، فهل كان يشك فى عداوته ويقول ذلك أو يصاهره .

٣- ان سيدنا عمر حين استخلف ، أشار بواحد من الستة الذين انتقل رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راض ، وكان فيهم امامنا على ، فكان موضع ثقته الى آخر رمق من حياته .

٤- ان سيدنا عمر قال لبعض جلسائه مشيرا الى فضل الامام على : لو ولوها الآجلح لحملهم على الجادة ، فقالوا وما يمنعك أن تستخلفه ، قال لا أحملها حيا وميتا فليختاروا لأنفسهم .

٥- روى الامام القرطبى فى تفسيره (فى سورة الحديد) أن الامام عليا كرم الله وجهه قال منواها بفضل الشيخين أبى بكر وعمر :

سبق النبى صلى الله عليه وسلم وصلى أبو بكر ، وثلث عمر ، فلا أوتى برجل فضلنى على أبى بكر الا جلدته حد المفترى ثمانين جلدة وطرح الشهادة .

٦- أما دم عثمان ، فان الامام عليا وابنيه الامامين الحسن والحسين ، دفعوا عنه بما لم يدفع عنه متهموه ، وكان عمرو بن العاص أول الناصحين لعثمان باعتزال الخلافة ، وكان يقاطع عثمان وهو يخطب ليسترضى الثائرين ، وكان يقول أنى لألقى الراعى فأحرضه على عثمان ، وقد مر عليك ما دل على شماتته به حين قتل ، وأما معاوية فلم يدفع عنه بشىء ، كما أنه لم يقتص من قتلته ، كما كان يطلب من أمير المؤمنين على .

وذكره بالقصاص ورثه عثمان فتهرب ، وقد روى العلامة العقاد فى كتابه عبقرية الامام على ، أن معاوية زار المدينة فسمع ابنة عثمان تقول على مسمع منه : وأبتاه ، فقال لها متهربا من القصاص وهو فى سلطانه :

يا ابنة أخى ان الناس أعطونا طاعة ، وأعطيناهم أمانا ، وأظهرنا لهم حلما تحته غضب ، وأظهروا لنا طاعة تحتها حقد ، ومع كل انسان سيفه ، وهو يرى مكان أنصاره فإذا نكثنا بهم نكثوا بنا ، ولا ندرى أعلينا تكون أم

لنـا ، ولأن تكـونى بنـت عـم أميـر المـؤمنين ، خيـر مـن أن تكـونى امـرأة مـن عرض المسلمين .

وهـذا الـذى علمتـه مـن قـول معاويـة ، يريـك بـدليل واضـح ، أن دم عثمـان كـان تكـأة يخـدعون بهـا الجهـال ، ويحرضـون بهـا أهـل الشـام ، الـذين انقـادوا انقيـاد العمـى لقائـده ، بـدافع مـن المـال الـذى أغدقـه علـيهم معاويـة بـلا حساب .

واذا كـان معاويـة قـد نجـح فـى اسـتمالة أنصـار أهـل البيـت بمالـه ، فاسـتمالة أهـل الشـام كانـت عليـه أهـون وأرخـص ، أو لـيس هـو الـذى قـال : لاسـتميلن بالـدنيا ثقـاة علـى ، ولاقسـمن فـيهم الأمـوال حتـى تغلـب دنيـاى آخرتـه . وقـد غلبـت علـى النـاس الـدنيا ، وصـدق أميـر المـؤمنين علـى حـين قـال لأتباعـه : والله مـا معاويـة بـأدهى منـى ، ولكنـه يغـدر ويفجـر ، ولـولا كراهيـة الغدر ، لكنت من أدهى الناس .

وحين قال لهم ، ولكنه لا رأى لمن لا يطاع .

وحـين قـال لهـم ، لـم تكـن بيعـتكم ايـاى فلتـة ، ولـيس أمـرى وأمـركم واحد ، انى أريدكم لله وأنتم تريدوننى لأنفسكم .

أقـول ومـا أصـدق سـيدنا عثمـان رضـى الله عنـه حـين قـال فـى احـدى خطبه :

(ان مـا تبتلـى بـه هـذه الأمـة ، قـدر واقـع لا يـدفع ، وان فتنـة الـدنيا طغت على النفوس طغيانها الذى لا تجدى فيه الحيلة أو المحاولة)

كما أقول صدق الامام الحسين رضى الله عنه حين قال : .

(النـاس عبيـد الـدنيا ، والـدين لعـق علـى ألسـنتهم ، يحوطونـه مـا درت بـه معايشهم ، فاذا محصوا بالبلاء ، قل الديانون) .

بين عمرو بن العاص والامام الحسن مرة أخرى :

روى ابـن أبـى حديـد بسـنده عـن المـدائنى قـال ، لقـى عمـروبن العـاص الحسـن بـن علـى عليـه السـلام فـى الطـواف ، فقـال لـه ، يـا حسـن ، زعمـت أن

الــدين لا يقــوم الا بــك وبابيــك ، فقــد رأيــت الله أقامــة بمعاويــة ، فجعلــه راســيا بعد ميله ، وبينا بعد خفائه ، أفرضى الله بقتل عثمان .

أو مــن الحــق أن تطــوف بالبيــت ، كمــا يــدور الجمــل بــالطحين ، عليــك ثيــاب كغرقــىء البـيض (القشـرة الملتوقـة ببيـاض البـيض) وأنــت قاتــل عثمــان ، والله أنه لألم للشعث ، وأسهل للوعث أن يوردك معاوية حياض أبيك .

فألقمه الامام الحسن عليه السلام الصخر ورد عليه قائلا :

(ان لأهــل النــار لعلامــات يفرفــون بهــا ، الحــادا لأوليــاء الله ، ومــوالاة لأعــداء الله ، والله انــك لــتعلم أن عليــا لــن يرتــب فــى الــدين ، ولــم يشــك فــى الله ساعة ولا طرفة عين قط .

وايــم الله لتنتهــين يــا ابــن أم عمــرو ، أو لأنفــذن خضــنيك بنوافــذ أشــد مــن القعضــبية (الأســنه) فايــاك والــتهجم علــى ، فــانى مــن قــد عرفــت ، لســت بضــعيف الغمــزة ، ولا هــش المشاشــة (أى رؤوس العظــام) ولا مــرىء المأكلة .

(وانــى مــن قــريش كواســطة القــلادة ، يعــرف حســبى ، ولا أدعــى لغيــر أبــى ، وأنــت مــن تعلــم ويعلــم النــاس ، تحاكمــت فيــك رجــال قــريش ، فغلــب عليــك جزارهــا ، الأهــم حســبا ، وأعظمهــم لؤمــا ، فايــاك عنــى ، فانــك رجــس ، ونحن أهل بيت الطهارة ، أذهب الله عنا الرجس وطهرنا تطهيرا) .

قال فأقحم عمرو وانصرف كئيبا .

مقارنة بين معاوية وعمرو:

دلنــى اطلاعــى علــى أن معاويــة كــان يحســن معاملــة الســبطين الحســن والحســين ، واذا قــدم عليــه أحــدهما رحــب بــه قــائلا : مرحبــا وأهــلا ، وكــان يجلســها معــه علــى ســرير الملــك ، وكــان يقضــى لهمــا الحاجــات ، وكــان يتحاشــى اغضــابهما ، لا بــل انــه أوصــى يزيــد ابنــه بالامــام الحســين وجــاء فــى وصــيته تلــك : . . . (وان لــه رحمــا ماســة ، وحقــا عظيمــا وقرابــة مــن محمــد ، صــلى الله عليه وسلم ، ولا أظن أهل العراق تاركيه حتى يخرجوه ، فان قدرت عليه

فاصفح عنه ، فانى لو أنى صاحبه عفوت عنه) ، ولعل حسن معاملة معاوية للسبطين هو الذى جعل بعض الرواة يقولون ان الذى تولى سم الامام الحسن هو اليزيد وليس معاوية .

معاوية يتمسح عند موته فى آثار الرسول صلى الله عليه وسلم :

جاء فى شرح كتاب زاد المسلم ، قال صاحب العقد الفريد أنه لما ثقل معاوية ويزيد غائب ، أقبل يزيد ، فوجد عثمان بن محمد بن أبى سفيان جالسا ، فأخذه بيده ودخل على معاوية ، وهو يجود بنفسه ، فكلمه يزيد فلم يكلمه فبكى يزيد .

ثم قال معاوية أى بنى ، ان أعظم ما أخاف الله فيه ، ما كنت أصنع بك ، يا بنى انى خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان اذا مضى لحاجته وتوضأ ، أصب الماء على يديه ، فنظر الى قميص لى قد انخرق من عاتقى ، فقال لى ، يا معاوية ألا أكسوك قميصا ، قلت بلى ، فكسانى قميصا لم ألبسه الا لبسة واحدة ، وهو عندى ، واجتز (قص شعره) ذات يوم فأخذت جزازة شعره وقلامة أظافره ، فجعلت ذلك فى قارورة .

فاذا مت يا بنى فاغسلنى ، ثم اجعل الشعر والأظافر فى عينى ومنخرى وفمى ، ثم ا جعل قميص رسول الله صلى الله عليه وسلم شعارا من تحت كفنى ، ان نفعنى شىء نفع هذا .

تفاوت الصحابة فى الدرجات :

لا شك أن الصحابة رضوان الله عليهم هم أفضل الأمة المحمدية ، وقد نزلت آيات شتى فى القرآن الكريم تنوه بفضلهم وسبقهم وغفران ذنوبهم ورفع درجاتهم .

الا أنهم رضوان الله عليهم يتفاضلون فى الدرجات عند الله فيما بينهم ، نطق بذلك كتاب الله الكريم ، كما نطقت السنة النبوة المطهرة . ومن ذلك مثلا قوله تعالى فى سورة الحديد (وما لكم ألا تنفقوا فى سبيل الله ولله ميراث السموات والأرض لا يستوى منكم من أنفق من قبل

الفــتح وقاتــل أولئــك أعظــم درجــة مــن الــذين أنفقــوا مــن بعــد وقــاتلوا وكــلا وعــد الله الحسنى والله بما تعملون خبير) .

والمــراد بــالفتح فــى قــول أكثــر المفســرين فــتح مكــة ، وذهبــت قلــة الــى أنــه صلح الحديبية .

وجــاء فــى تفســير الامــام القرطبــى كــان قتــالان أحــدهما أفضــل مــن الآخــر ، ونفقتــان أحــداهما أفضــل مــن الأخــرى ، كــان القتــال والنفقــة قبــل فــتح مكــة أفضــل مــن القتــال والنفقــة بعــد ذلــك ، لأن حاجــة النــاس قبــل الفــتح كانــت أكثــر لضــعف الاســلام ، والانفــاق حينئــذ كــان علــى المنفقــين أشــق ، والأجــر علــى قــدر النصــب . قــال ، والآيــة نزلــت فــى أبــى بكــر رضــى الله عنــه ، وفيهــا دليــل واضــح علــى تفضــيله وتقديمــه ، لأنــه أول مــن أســلم (مــن الرجــال) ، وأول مــن أنفــق على النبى صلى الله عليه وسلم .

ثــم قــال ، وقــد وعــد الله الجميــع الجنــة ، مــع تفــاوت الــدرجات ، كمــا أن المهــاجرين مفضــلون علــى الأنصــار ، وقــد بــين بجــلاء ســيدنا أبــو بكــر فــى اجتمــاع الســقيفة فقــال للأنصــار ، وقــدمنا فــى القــرآن علــيكم نحــن الأمــراء وأنــتم الوزراء .

وأقــول ، ولا شــك أن الامــام عليــا بســبقه الــى الاســلام صــبيا دون الحلــم ، وبقتالــه الرائــع قبــل الفــتح مــن أصــحاب الــدرجات العليــا بــنص الآيــة المتقدمــة ، كيــف لا وقــد قــال فيــه أميــر المــؤمنين عمــر رضــى الله عنــه : لــولا سيفه ما قام عمود الاسلام .

اجتهاد الصحابة :

انــى أومــن باجتهــاد الصــحابة فــى تصــرفاتهم ، كمــا أومــن أنهــم عــدول ، ولا يشــذ مــنهم عــن هــذه القاعــدة فــى رأيــى ، الا مــن خــالط تصــرفاته هــواه الشخصــى الذى يخرجه عن سواء السبيل .

فــاذا قســمت كــلا مــن معاويــة وعمــرو بــن العــاص بهــذا المقيــاس ، لا أقــول باجتهاد أى منهما ، فقد كان معاوية فى خصومته للامام على ، كرم الله وجهه

ينشد ملكا ، يتشبه فيه بكسرى وقيصر ، حيث كان أهل السابقة فى الدين يريدون خلافة الراشدين

وحين أطفأ نيران الفتنة الامام الحسن عليه السلام بتنازله عن الخلافة ، لم يقف الهوى بمعاوية عند ملكه هو بل غلبه الهوى ، وحب ابنه ، وتأسيس الملك فى بيته ، فأكره المهاجرين والأنصار على بيعة ابنه برهبة السيف ، وترتبت على تلك البيعة المشؤومة الحوادث التى غرست الحزن الدائم فى قلوب المسلمين ، كما كانت السبب المباشر فى الخلاف القائم فيهم الى اليوم ، حتى فى الآراء الدينية ، حيث جرت الخلافات السياسية الى الخلافات المذهبية ، وهى حالة تسوء ولا تسر ، وقد تأصلت فى المسلمين علة الخلاف فاستعصيت على علاج المصلحين ويا أسفاه .

وقد اختلف أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أسرى أهل بدر ، فأشار سيدنا أبو بكر وجماعة معه بأخذ الفدية ، وأشار سيدنا عمر بضرب رقابهم اذ لاهواده فى الدين ، وحيث لم يكن قد نزل وحى ، فقد أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم برأى الآغلبية وقبل الفدية .

ولما نزل قوله تعالى (ما كان لنبى أن يكون له أسرى حتى يثخن فى الأرض تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة) تحرج الصحابة من الأكل من مال الفدية ، فأزال الله عنهم الحرج وأحل لهم الغنيمة فقال (فكلوا مما غنتم حلالا طيبا) فأقرهم على اجتهادهم ، لأنهم وان أخطأوا الرأى الصائب لكنهم أخطأوا باجتهاد جماعى ، لم يغلبهم فيه هوى فردى لنفع شخصى بل أرادوا أن يأخذوا الفدية ليستعينوا بها فى المصلحة العامة ومواجهة أعدائهم الكافرين ، وقد وضح ذلك سيدنا أبو بكر فى رأيه .

ومن الواضح أن معاوية لابسه هوى الملك لنفسه وتعداه الى ابنه وأعقابه ، فخرج على ولى الأمر أولا بغيرحق ، ثم خرج عن أصل الشورى الذى كان يطلبه الى الامام على ، ثم الذى شرطه عليه فى شروط الصلح الامام الحسن بن على ، وهو النهج الأقوى الذى سارت عليه سنة أسلافنا الأولين الصالحين .

وعمــرو بــن العــاص ، اشــترط علــى معاويــة فــى مؤازرتــه أن يعطيــه خــراج مصــر بأكملــه ان تــم لــه الظفــر علــى الامــام علــى ، فكانــت المصــلحة الخاصــة ، دافعــة لــه ، فــى مواقفــة العدائيــة ، لآل بيــت رســول الله صــلى الله عليــه وســلم ، ويا حبذا لو لم يزل به الهوى هذه الزلة ، وهو فاتح الشام ومصر .

ومــا أصــدق مــا قــال معاويــة فــى شــجاعة أدبيــة ، أمــا أبــو بكــر فلــم تــرده الــدنيا ولــم يردهــا ، وأمــا عمــر فقــد أرادتــه الــدنيا فلــم يردهــا ، وامــا نحــن فقــد تقلبنا فيها ظهرا لبطن .

مقارنة بين موقف الأمامين الحسن والحسين عليهما السلام :

سـلم الامــام الحســن الأمــر لمعاويــة ، ولــم يفعــل الامــام الحســين فعلــه مــع يزيــد ، ولعــل اخــتلاف المــوقفين يثيــر شــكوكا فــى افهــام بعــض النــاس ، والمنصــف المتأمــل يــرى أن كــلا منهمــا كــان مجتهــدا فــى رأيــه ، ومحقــا فــى موقفــه .

أمــا عــذر الامــام الحســن فــى التنــازل فقــد بــان للقــارىء المتأمــل فــى الحــوادث التــى جــرت ، فــان أنصــار معاويــة كــانوا مــن أهــل الــدنيا ، تلعــب الأمــوالا بــأهوائهم ، وقــد عــرف معاويــة علــتهم فنثــر علــيهم الــذهب والفضــة نثرا ، فوجدوا فى يدى معاوية ما يشتهون . .

وكــان معاويــة صــالحا لأهــل الــدنيا ،وكــان أهــل الــدنيا صــالحين لمعاويــة ، وقــد مــر عليــك مــا قالــه عمــرو بــن العــاص ، لا يصــلح لهــذا الأمــر الا رجــل لــه ضرســان يأكــل بأحــدهما ويطعــم بــالآخر ، ومــا قالــه معاويــة : لأســتميلن بالــدنيا ثقــاه علــى ، ولأقســمن فــيهم الأمــوال حتــى تغلــب دنيــاى آخرتــه ، فلــم يكــن فى أهل العراق أحد فى قلبه مرض الا طمع فى معاوية .

أمــا أنصــار الامــام الحســن ، فهــم أنصــار أبيــه ، وقــد وصــفهم أبــوه فقــال : أيهــا النــاس المجتمعــة أبــدانهم ، المختلفــة أهــوائهم ، وقليــل مــنهم مــن كــان معــه قلبا وقالبا .

وقــد طلــب الامــام الحســن خلافــة الراشــدين ، وخــاف الله كأبيــه فــى أموال المسلمين ، فلم ينثر على جنوده الأموال نثرا ، بل أراد أن يقاتل

النـــاس معـــه انتصـــارا للحـــق وطلبـــا للآخـــرة ، فلـــم يـــتحمس لـــذلك مـــنهم الا أهـــل الصدق والوفاء والدين ، وقليل ما هم .

ولقــد خذلـــه فـــى موقـــف الجـــد ، كمـــا رأيـــت ، ابـــن عمـــه عبيـــد الله بـــن عبـــاس والتمســـه النـــاس ليصـــلى بهـــم الصـــبح فوجـــده فـــى عســـكر معاويـــة ، فـــلا ردعـــه دينـــه وورعـــه ، ولا ردعتـــه عصـــبيته لبنـــى هاشـــم ، فلـــم يبـــق الـــى جـــوار خليفـــة الحـــق وابـــن عمـــه أميـــر المـــؤمنين الحســـن عليـــه الســـلام وغلبـــت دنيـــاه علـــى دينـــه ، وخمـــدت حميـــة العصـــبية فكـــان منـــه ذلـــك الموقـــف المخـــزى ، وقـــد ذهـــب المـــال الـــذى أغـــراه وبقى لاصقا به عار الموقف .

وقد رأينا للحق أنصارا أوفياء فى صف الامام الحسن ، لكننا رأيناه فى قلة من أمثال قيس بن سعد ، وعدى بن حاتم ، وقيس بن سعيد ، لكن معاوية كان معه عشرات الألوف ، يأتمرون بأمره ، وينتهون بنهبه .

لـــذلك لـــم يكـــن عجيبـــا مـــا علمتـــه مـــن أن جنـــد الامـــام الحســـن اعتـــدوا عليـــه ، ونهبـــوا عســـكره ، وشـــتموه علـــى مســـمع النـــاس فـــى ســـفاهة الحمقـــى ، الـــذين لا يكادون يفقهون قولا .

أمـــا الامـــام الحســـين ، فقـــد عرفـــت أنـــه كـــان يعـــارض أخـــاه فـــى الصـــلح مـــع معاويـــة ، وحـــين أصـــر أخـــوه رضـــخ لرأيـــه علـــى كـــره منـــه ، وقـــد زاد الشـــيعة معارضة بعد موت الحسن ، وشجعهم معارضة الامام الحسين لسياسة معاوية ، كما شجعتهم قسوة ولاة معاوية فى معاملتهم ، وخاصة ما كان منها على يد زياد وابنه عبيد الله.

وآلـــت الخلافـــة لمعاويـــة ، عـــن رضـــا مـــن الامـــام الحســـن ، لكـــن يزيـــد آلـــت اليـــه الخلافـــة عـــن معارضـــة مـــن الامـــام الحســـين وســـائر أبنـــاء المهـــاجرين ، لكـــن معاوية حمل الناس على البيعة بقوة السلطان ورهبة السيف ،

وكـــان الصـــراع ، كمـــا يقـــول العلامـــة العقـــاد ، بـــين الحســـين ويزيـــد أول تجربـــة مـــن قبيلهـــا بعـــد عهـــد النبـــوة ، وعهـــد الخلفـــاء الأولـــين ، وقـــد بـــذل فيهـــا الحســـين روحـــه ، وطبيعـــة الشـــهادة موكلـــة ببـــذل الحيـــاة لمـــا هـــو أدوم مـــن الحيـــاة فهـــو أبـــو الشـــهداء ، وينبـــوع شـــهادة متعاقبـــة ، لا يقـــرن بهـــا ينبـــوع فـــى تـــاريخ البشر أجمعين .

اجتهاد كل من الامامين الحسن والحسين عليهما السلام :

ويرى ابن حديد أن كلا من الامامين الحسن والحسين ، عليهما السلام ، كان مجتهدا فيما رآه ، فسلم الامام الحسن الأمر الى معاوية ، ونازع الامام الحسين اليزيد فى الخلافة وعمل كل فى موقفه بموجب اجتهاده ، وما غلب على ظنونهما من المصلحة .

وقد كان تمكن الامام الحسن من المصلحة الحاضرة ، أكثر من تمكن الامام الحسين فى حاله الحاضرة ، لأن جند الحسن كان حوله ومطيفا به ، وهم كما روى مائة ألف سيف ، ولم يكن مع الامام الحسين من يحيط به ، ويسير بمسيره الى العراق الا دون مائة فارس ، ولكن ظنهما فى عاقبة الأمر ومستقبل الحال كان مختلفا .

فكان الامام الحسن يظن خذلان أصحابه عند اللقاء والحرب ، وكان الامام الحسين يظن نصرة أصحابه عند اللقاء والحرب ، فلذلك أحجم احدهما ، وأقدم الآخر .

ويقول ابن أبى حديد فى موضع آخر وقد صح فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم أنه لما شاور فى أمر أسرى بدر أبا بكر أشار ألا يقتلهم ، وأشار عمر بقتلهم ، فمدحهما رسول الله صلى الله عليه وسلم جميعا . ويتضح لك شعار الامام الحسين ، حين طلبوا اليه أن يبايع لليزيد ابقاء على حياته واتقاء للموت الذى يلقاه ان لم يبايع فقال لقائد الجيش الذى أرسلوه لقتاله : أبالموت تخوفنى وتمثل :

سأمضى وما بالموت عار على الفتى   اذا ما نوى خيرا وجاهد مسلما
وآسى الرجال الصالحين بنفسه   وخاف مثبورا وفارق مجرما
فان عشت لم أندم وان مت لم ألم   كفى بك ذلا أن تعيش وترغما

وقال أيضا فى شمم نبوى هاشمى ، لا والله ، لا أعطيهم بيدى اعطاء الذليل ولا اقرار العبيد ، ألا وان الدعى بن الدعى خيرنا بين اثنتين : السلة أو الذلة (والسلة انتزاع الشىء ويقصد البيعة) وهيهات من الذلة ، يأبى الله ذلك لنا ورسوله والمؤمنون ، وحجور طابت ، وبطون طهرت ، وأنوف حمية ، ونفوس أبية .

وصية الامام الحسن لأخيه الامام الحسين :

روى ابن عبد البر من وجوه فى كتاب الاستيعاب ، أن الامام الحسن ، لما حضرته الوفاة قال للامام الحسين أخيه :

يا أخى ، ان أباك رحمه الله ، لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ، استشرف لهذا الأمر ، ورجا أن يكون صاحبه فصرفه الله عنه ، ووليها أبو بكر ، فلما حضرت أبا بكر الوفاة تشوف لها أيضا ، فصرفت عنه الى عمر ، فلما احتضر عمر جعلها شورى بين سته هو أحدهم ، فلم يشك أنها لا تعدوه ، فصرفت عنه الى عثمان ، فلما هلك عثمان بويع ثم نوزع حتى جرد السيف وطلبها ، فما صفا له شىء منها .

وانى والله ما أرى أن يجمع الله فينا أهل البيت النبوة والخلافة ، فلا أعرفنك ما استخفك أهل الكوفة فأخرجوك .

انى وقد كنت طلبت الى عائشة اذا مت أن تأذن لى ، فأدفن فى بيتها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالت نعم ، وانى لا أدرى ، لعلها كان ذلك منها حياء ، فاذا أنا مت فاطلب ذلك اليها ، فان طابت نفسها فادفننى فى بيتها ، وما أظن القوم الا سيمنعونك اذا أردت ذلك ، فان فعلوا فلا تراجعهم فى ذلك وادفنى فى بقيع الغرقد ، فان لى بمن فيه أسوة .

أقول وقد مر عليك ما يؤيد صدق فراسة الامام الحسن ، فقد اعترض مروان على دفن الامام الحسن الى جوار جده صلى الله عليه وسلم ، فدفن فى البقيع الى جوار والدته السيدة الزهراء رضى الله عنهما وعن ذويهما .

لماذا خالف الامام الحسين وصية الامام الحسن : ؟

انى شخصيا أعتقد أن الذى اضطر الامام الحسين لمخالفة الوصية التى أوصاه بها أخوه ، حين خرج من مكة الى الكوفة هى الاعتبارات الآتية :

١- خروج معاوية عن مبدأ الشورى ، وجعله ملك بنى سفيان وراثيا ، يتوارثه الخلف عن السلف ، وهو أمر خطير على الاسلام وأهله .

٢- بيعة معاوية ليزيد ، وهو تابعى ، مع فسقه المشهور بين الناس وتركه لخيار الصحابة من المهاجرين والأنصار .

٣- ايفاد الامام الحسين لابن عمه مسلم بن عقيل ، ليستوثق له من حال أهل الكوفة ، وقد أحسن أهل الكوفة استقباله وبايعوا تحت سمعه وبصره لابن عمه الامام الحسين ، وكتب بذلك للأمام الحسين ، فخرج من مكة الى الكوفة على بينة من أمره ، لكن أفسد بيعة الامام الحسين تولية عبيد الله بن زياد على الكوفة (مع ولايته على البصرة) فاشترى أهل الكوفة بالمال وأشاع فيهم الرعب ، فغدروا بمسلم بن عقيل وتخلوا عنه ومكنوا ابن زياد منه فقتله ، وكان الامام الحسين قد وصل الى مشارف الكوفة ووقع استشهاده مع أهله وصحبه فى كربلاء ، وهو قدر واقع ، والحذر لا ينجى من القدر ، وانا لله وانا اليه راجعون .

وشاء الله ، جلت حكمته ، أن يرتبط باستشهاد الامام الحسين سقوط دولة بنى أمية ، فان استشهاده كان معولا هدمها ، وان يرتبط باستشهاده قيام الدولة العباسية فى المشرق ، والفاطمية فى المغرب ، والأموية فى الأندلس (حتى قضى عليها بنو حمود الاشراف الحسنيون) . ولا تنسى أن أهل الرأى نصحوا لسيدنا أبى بكر الصديق بعدم قتال أهل الردة فخالفهم جميعا حيث رأى باجتهاده أن قتالهم واجب وقال أينقص الدين وأنا حى (ولكل وجهة هو موليها) .

وقد حيى الامام الحسين حياة الشهداء ، وباء خصومه بزوال ملكهم بعد ستين سنة من استشهاده ، وهو عمر قصير فى طول الحياة ، وقد نالوا من عدالة الله جزاءهم فأخذوا وقتلوا تقتيلا ، وشربوا على يد المختار بن عبيد الله وأبى عباس السفاح وأعمامه ، مرارة بغيهم ، والآخرة أشد عذابا وأبقى ، وما ربك بظلام للعبيد .

اتمام للفائدة ، نتعرض لبعض الوقائع التى يحسن بالقارئ أن يلم بها ، فى مناسبة قراءته لتاريخ الامام الحسن .

بين معاوية وحجر بن عدى وأصحابه :

علم القارئ الكريم مما مر عليه أن معاوية قتل حجر بن عدى وأصحابه ، وها هى بعض التفاصيل :

جاء فى تاريخ الطبرى من حوادث سنة احدى وخمسين مقتل حجر بن عدى الكندى ، وذلك أن معاوية بن أبى سفيان لما ولى المغيرة بن شعبة الكوفة فى سنة ٤١ ، دعاه وأوصاه بشتم على وذمه والعيب على أصحابه والاقصاء لهم ، وباطراء شيعة عثمان ، والادناء لهم والاستماع منهم ٠

فأقام المغيرة على الكوفة عاملا لمعاوية ، سبع سنين وأشهرا ، لا يدع ذم على والوقوع فيه ، والدعاء لعثمان ، والتزكية لأصحابه ، والطالبين بدمه ٠ فكان حجر بن عدى ، اذا سمع ذلك ، قال بل اياكم فذمم الله ولعن ، ثم قام فقال ان الله عزوجل يقول (كونوا قوامين بالقسط شهداء لله) وأنا أشهد أن من تذمون ونعيرون لا حق بالفضل ٠

ولما هلك المغيرة سنة ٥١ ، جمعت الكوفة والبصرة لزياد بن سمية ، فصعد المنبر ، وذكر عثمان وأصحابه فقرظه ، وذكر قتلته ، ولعنهم ، فقام حجر ففعل مثل الى كان يفعل بالمغيرة ٠

ورجع زياد الى البصرة ، وولى الكوفة عمر بن الحريث ، فبلغه أن حجرا يجتمع اليه شيعة على ، ويظهرون لعن معاوية والبراءة منه ، فشخص الى الكوفة ، وخطب يوم الجمعة ، وأطال الخطبة وأخر الصلاة ، فقال حجر بن عدى : الصلاة ، فمضى فى خطبته ، ثم قال الصلاة ، فمضى فى خطبته فلما خشى حجر فوات الصلاة : ثار اليها وثار الناس معه ، فلما رأى ذلك زياد صلى بالناس ٠

وكتب الى معاوية فى أمره فكتب اليه معاوية ، أن شده فى الحديد ثم احمله الى ، فأخذ زياد حجر بن عدى وحبسه ، ثم أرسله الى معاوية فى

الحديـد ، فلمـا دخـل عليـه ، سـلم عليـه فقـال لـه معاويـة ، والله لا أقيلـك ، أخرجوه فاضربوا عنقه .

وجـاء فـى التـاريخ الكبيـر لابـن عسـاكر ، أن حجـر بـن عـدى الكنـدى ، مـن أهـل الكوفـة ، وفـد علـى النبـى صـلى الله عليـه وسـلم ، وكـان مـع الجـيش الـذى فـتح الشـام ، وشـهد صـفين مـع علـى ابـن أبـى طالـب وقتـل بعـذراء مـن قـرى دمشق ومسجد قبره بها معروف .

وقـال حجـر لأصـحابه ، ان قتلنـى معاويـة ، لا تفكـوا قيـودى ، وادفنـونى بها ، ولا تغسلوا عنى دما ، فانى ألقى معاوية بذلك غدا .

وجمـع زيـاد مـن أصـحاب حجـر ثلاثـة عشـر رجـلا فتمـوا بـه أربعـة عشـر ، وأرسـلهم مـع حجـر الـى معاويـة فقتـل مـنهم سـبعة ، فاسـتفظع أهـل الكوفـة ذلـك استفظاعا شديدا .

وقـد قـال معاويـة ، مـا قتلـت أحـدا الا وأنـا أعـرف فـيهم قتلتـه مـا خـلا حجـرا ، فانى لا أعرف بأى ذنب قتلته .

أقـول وهـؤلاء ، الـذين قـتلهم معاويـة ، كـان الامـام الحسـن قـد أخـذ الأمان لهم من معاوية ، وفى ذلك خروج سافر على شروط الصلح .بين الامام الحسن وحجرابن عدى : وروى ابن أبى حديد بسنده عن المدائنى ، قال دخل عبيدة بن عمرو الكنـدى علـى الحسـن عليـه السـلام ، وكـان ضـرب علـى وجهـه ضـربة ، وهـو مـع قـيس بـن سـعد بـن عبـادة ، فقـال مـا الـذى أرى بوجهـك ، قـال أصـابنى مـع قيس .

فالتفـت حجـر بـن عـدى إلـى الامـام الحسـن فقـال لـوددت أنـك كنـت مـت قبـل هـذا اليـوم ، ولـم يكـن مـا كـان ، انمـا رجعنـا راغمـين بمـا كرهنـا ، ورجعـوا مسرورين بما أحبوا .

فتغيـر وجـه الامـام الحسـن ، وغمـز الحسـين عليـه السـلام حجـرا فسـكت فقـال الامـام الحسـن عليـه السـلام ، يـا حجـر لـيس كـل النـاس يحـب مـا تحـب ، ولا رأيه كرأيك ، وما فعلت الا أبقاء عليك ، والله كل يوم فى شأن

الباب الثالث

المتممات

* الموتورون من الامام على

* حول اجتماع النبوة والخلافة

* السنة النبوية ومظاهر الملك

* اهل الكوفة فى وصف الامام الحسن

* وصية امير المؤمنين على لابنه الامام الحسن

توبة طلحة والزبير وأم المؤمنين عائشة :

أجمع العلماء على توبة طلحة والزبير وأم المؤمنين سيدتنا عائشة من موقفهم فى موقعة الجمل ، فعليهم رضوان الله .

أما الزبير فقد انسحب من المعركة كما علمت ، وقال لأمير المؤمنين على حين ذكره بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لقد أذكرتنى ما أنسانيه الدهر ، ولو ذكرت ذلك ما خرجت .

وأما طلحة ، فقد رأى وهو يجود بنفسه ، رجلا الى جواره ، فقال من أى الفرقين أنت قال من فريق أمير المؤمنين على ، فقال ابلغه أنى مبايعه ، ولما بلغ ذلك أمير المؤمنين ، قال أبى الله أن يدخل طلحة الجنة الا وبيعتى فى عنقه ، وقد حزن لقتله أمير المؤمنين عليه السلام ورثاه كما سلف القول .

أما سيدتنا عائشة ، فقد قالت لأمير المؤمنين على عليه السلام ، يا ابن أبى طالب ملكت فاسجح ، فقال لها غفر الله لك قالت وغفر لك ، وودت لو أنها ماتت قبل يوم الجمل بعشرين عاما ، كانت تبكى وتقول وقرن فى بيوتكن ، كما أنها وهى خارجة من البصرة قالت للناس : أيها الناس لم يكن بينى وبين على فى القديم الا ما يكون بين المرأة واحمائها (أهل الزوج) وقد سئلت رضى الله عنها أى الناس أحب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالت فاطمة ، فقيل من الرجال ، قالت زوجها ، ان كان ما علمت قواما صواما .

وفى هذه المناسبة ، أذكر أن عبد الله بن الزبير وكان من قادة معركة الجمل ، كان يتردد على مجلس الامام الحسين ويسمع منه .

وكانت السيدة أم اسحق بنت طلحة زوجة للامام الحسن ، فلما حانت وفاته أوصى أخاه الامام الحسين ألا تخرج من بيوتهم ، وان يتزوجها الامام الحسين بعد انقضاء عدتها ، وفعل بالوصية ، وقد أعقب منها ، السيدة فاطمة (النبوية) التى تزوجت من ابن عمها الحسن بن الحسن ، وهى أم عبد الله الذى مر عليك ما كان بينه وبين المنصور .

الموتورون من الامام على عليه السلام :

جــاء فــى أخبــار صــفين ، فيمــا نقلــه بســنده ابــن أبــى حديــد عــن محمــد بــن اسحق ما خلاصته :

اجتمــع عنــد معاويــة فــى بعــض ليــالى صــفين ، عمــرو بــن العــاص وعتبــة بــن أبــى ســفيان ، والوليــد بــن عقبــة ، ومــروان بــن الحكــم وعبــد الله بــن عــامر ، وابن طلحة الطلحات .

فقــال عتبــة ، ان أمرنــا وأمــر علــى بــن أبــى طالــب لعجــب ، مــا فينــا ا لا موتــور مجتاح .

أمــا أنــا فقتــل جــدى عتبــة بــن ربيعــة ، وأخــى حنظلــة وشــرك فــى دم عمــى شــيبة يــوم بــدر ، أمــا أنــت يــا وليــد فقتــل أبــاك صــبرا ، وأمــا أنــت يــا ابــن عــامر فصــرع أبــاك وســلب عمــك ، وأمــا أنــت يــابن طلحــة فقتــل أبــاك يــوم الجمــل (مــع أن مــروان هــو الــذى قتلــه واعتــرف بقتلــه) وأيــتم اخواتــك وأمــا أنــت يــا مــروان فقد أفلت .

قــال معاويــة ، هــذا الاقــرار ، فــاين الغيــر ، قــال مــروان : وأى غيــر تريــد ، قــال أريــد أن تشــجروه بالرمــاح ، قــال والله يــا معاويــة ، مــا أراك الا هاذيــا أو هازئا،

فقــال ابــن عقبــة شــعرا ، عــرض فيــه بعمــروبن العــاص ، حــين نــال منــه أمامنــا علــى مقــتلا فــى صــفين ، فــالقى عمــرو بنفســه عــن فرســه ، واســتلقى وكشــف عورتــه فــأدار امامنــا علــى وجهــه ، وتركــه ولــم يقتلــه ، وكــان عمــرو يعيــر بهــا فــى النــاس وجاء فيما قاله ابن عقبة :

يقول لنا معاوية بن حرب ... أما فيكم لواتركم طلوب
يشد على أبى حسن على ... باسمر لا تهجنه الكعوب
فقلت له أتلعب يا أبن هند ... كأنك بيننا رجل غريب
أتغرينا بحية بطن واد ... اذا نهشت فليس لها طبيب
وما ضيع بدب ببطن واد ... أتيح له به أسد مهيب
ياضعف حيلة منا اذا ما ... لقيناه ولقياه عجيب
سوى عمرو وقته خصيتاه ... وكان لقلبه منه وجيب

وقال عمرو بن العاص شعرا ، جاءت فيه شهادة صادقة فى امامنا على وخصومه ، ومما قاله :

وعيرنى الوليد لقاء ليث اذا ما شد هابته الأسود
فأما فى اللقاء فأين منه معاوية بن حرب والوليد
فرمها منه يا ابن ابى معيط وأنت الفارس البطل النجيد
وأقسم لو سمعت ندا على لطار القلب وانتفخ الوريد
ولو لا قيته شقت جيوب عليك ولطمت فيك الخدود

بين عمرو ومعاوية فى خلافته :

وروى أبن أبى حديد بسنده عن الواقدى قال :

قال معاوية يوما بعد استقرار الخلافة له ، لعمرو بن العاص ، يا أبا عبد الله ، لا أراك الا ويغلبنى الضحك ، قال بماذا قال اذكر يوم حمل عليك ، أبو تراب (كنية الامام على) فى صفين ، فازريت نفسك فرقا من شبا سنانه : وكشفت سوأتك له .

فقال عمرو ، وأنا منك أشد ضحكا ، انى لأذكر يوم دعاك الى البراز فانتفخ سحرك ، وربا لسانك فى فمك ، وغصصت بريقك ، وارتعدت فرائصك وبدا منك ما أكره ذكره لك .

فقال معاوية ، لم هذا كله ، وكيف يكون ، ودونى عك والأشعريون ، قال : انك تعلم ان الذى وصفت دون ما أصابك ، وقد نزل ذلك بك ، ودونك عك والأشعرون ، فكيف كان حالك ، لو جمعكما مأقط الحرب (موضع القتال) .

فقال معاوية ، يا أبا عبد الله خض بنا الهزل الى الجد ، ان الجبن والفرار من على ، لا عار على أحد فيهما .

أمير المؤمنين عمر وولاته :

وروى بن أبى حديد بسنده أن حذيفة قال لأمير المؤمنين عمر رضى الله عنه : انك تسنعين بالرجل الذى فيه ، وبعضهم يرويه بالرجل الفاجر ،

فقـــال اســـتعملته لأســـتعين بقوتـــه ، ثـــم أكـــون علـــى فقانـــه (أى أتتبـــع أمـــره وأستقصى عمله) ٠

وقـــد فســـر أميـــر المـــؤمنين عمـــر عليـــه الســـلام ، الســـبب فـــى تركـــه بنـــى هاشـــم وعدم استعمالهم فى الولاية ، فقال لا أدنس هؤلاء بالعمل ٠

ومعـــروف أن أميـــر المـــؤمنين عمـــر رضـــى الله عنـــه ، كـــان شـــديد المحاســـبة لعمالـــه وولاتـــه ، وكانـــت لـــه هيبـــة فـــيهم وفـــى الرعيـــة كلهـــا ، حتـــى قـــالوا : كانـــت درة عمر أهيب من سيف الحجاج ٠

ولقـــد كتـــب أميـــر المـــؤمنين عمـــر رضـــى الله عنـــه ، لعمـــرو بـــن العـــاص وهـــو واليه على مصر :

انكم معشر الأمراء ، أكلتم الأموال ، وأخلدتم الى الأعذار ، فانما تأكلون النار ، وتورثون العار ،وقد وجهت اليك محمد بن مسلمة ليشاطرك على ما فى يديك (أى يصادر نصف مالك).

شهادة الامام على فى أمير المؤمنين عمر :

وحـــين جـــئ الـــى أميـــر المـــؤمنين عمـــر بجـــواهر كســـرى ، ورآهـــا قـــال مادحا لأعوانه ، ان قوما أدوا هذا لأمناء ٠

فقـــال لـــه امامنـــا علـــى : يـــا أميـــر المـــؤمنين : عففـــت فعفـــوا ، ولـــو ارتعـــت لرتعـــوا كمـــا قـــال امامنـــا علـــى مزكيـــا أميـــر المـــؤمنين عمـــر عنـــد موتـــه : مـــا أحـــد أحـــب الى أن ألقى الله بصحيفته من هذا المسجى ٠

أمير المؤمنين عمر يتزوج أخت الامامين الحسن والحسين :

روى ابـــن أبـــى حديـــد بســـنده عـــن الزبيـــر بـــن بكـــار قـــال : خطـــب عمـــر أم كلثـــوم بنـــت علـــى عليـــه الســـلام ، فقـــال لـــه انهـــا صـــغيرة ، فقـــال زوجينهـــا يـــا أبـــا الحسن فانى أرصد من كرامتها مالا يرصده أحد ٠

فقـــال ، أنـــا أبعثهـــا اليـــك ، فـــان رضـــيتها زوجتكهـــا فبعثهـــا اليـــه ببـــرد ، وقال لها قولى هذا البرد الذى ذكرته لك ، فقالت له ذلك فقالت له ذلك فقال ، قولى له قد رضيته رضى الله عنك ٠

ووضع أمير المؤمنين يده علىساقها ، فقالت له ، أتفعل هذا ، لولا أنك أمير المؤمنين لكسرت أنفك ، ثم جاءت أباها فأخبرته الخبر ، وقالت بعثتنى الى شيخ سوء ، قال مهلا يا بنيه ، انه زوجك ٠

فجاء عمر الى مجلس المهاجرين فى الروضة ، وكان يجلس فيها المهاجرون الأولون ، فقال رفئونى (أى هنئونى من قولهم بالرفاء والبنن)٠

قالوا بماذا يا أمير المؤمنين ، قال تزوجت أم كلثوم بنت على بن أبى طالب ، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (كل سبب ونسب وصهر ينقطع يوم القيامة الاسببى ونسبى وصهرى)٠

وأنت ترى من ذلك أن أمير المؤمنين عمر ، رضى الله عنه ، أراد أن يجمع الى مصاهرة رسول الله صلى الله عليه وسلم (حيث كانت السيدة حفصة بنت عمر من أزواجه صلى الله عليه وسلم) النسب الكريم الذى يربطه بذرية رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيكون له شرفان ، شرف من الصهر ، وشرف من النسب ، والله يختص برحمته من يشاء ، والله ذو الفضل العظيم ٠

حول اجتماع النبوة والخلافة :

أنت قرأت ما جاء فى وصية الامام الحسن لأخيه الامام الحسين عليهما السلام من قوله :

(وانى والله ما أرى أن يجمع الله فينا أهل البيت النبوة والخلافة ٠ فلا أعرفنك ما استخفك أهل الكوفة فأخرجوك) ٠

وقد يسئ ، البعض فهم هذا الكلام ، فيظن أنه لايجوز أن تجتمع النبوة والخلافة فى بنى هاشم ، فان وقع للبعض هذا الفهم كان بعيدا من الصواب ، ذلك بأن الله جمع لسيدنا داود عليه السلام النبوة والخلافة ، وكذلك جمعهما لسيدنا سليمان عليه السلام ، وقال تعالى فى آل ابراهيم عليهم السلام (أولئك الذيت آتيناهم الكتاب والحكم والنبوة) ٠

وقد أدخل سيدنا عمر الامام عليا فى الستة من أهل الشورى ، فلو كان يرى ذلك الفهم ما أدخله فيهم ، كما أن فضلاء المهاجرين والأنصار وأهل بدر بايعوا للامام على بعد مقتل أمير المؤمنين عثمان ٠

وواضح من ذلك أن الامام الحسن ، رأى بنور الله واستنتاجا من معاكسات الظروف السياسية ، أن الله يريد أن يطهر آل البيت من حكم مجتمع أفسدته الدنيا ، فلم يكونوا أهلا لخلافة الراشدين ، ولو كان الامام الحسن يذهب لعدم الجواز ، ما أقر بيعة أبيه ولا تولى الخلافة بعده نحو سبعة أشهر ، كما أن امامنا عليا ما كان يقبل الخلافة لو كان يعتقد أنه لا يجوز أن تجتمع لبنى هاشم الخلافة مع النبوة ٠

وقد صحت فراسة الامام الحسن ، فقد خذل أهل العراق الامام الحسين ، كما خذلوا أباه وأخاه من قبله ، وقد تبين أهل العراق الرشد من الغى بعد حين ، فندموا حيث لا ينفع الندم ، وبكوا أمير المؤمنين عليا وبنيه الى الأبد ، وما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن ٠

وكم لله من لطف خفى يدق خفاه عن فهم الذكى

السنة النبوية ومظاهر الملك :

جاء فى كتاب عبد الله بن الزبير للدكتور على حسن الخربوطلى أن أهل المدينة كانوا يتمسكون بالسنة النبوية ، ولذا لم يرضوا بصبغ الدولة الأموية بصبغة دنيوية زمنية ، واقتباس بعض النظم الرومانية ٠

واستفاد ابن الزبير من مظاهر الملك التى صبغت الدولة الأموية ، وكان معاوية أول من أقام الحرس ، والشرطة والبوابين فى الاسلام ، وأرخى الستور ، واستكتب النصارى ، ومشى بين يديه بالحراب ، وأخذ الزكاة من الأعطية ، وجلس على السرير والناس تحته ، وجعل ديوان الخاتم ، وبنى وشيد البناء ، وسخر الناس فى البناء ، وكان معاوية يقول أنا أول الملوك ٠

أقول وصدق العلامة العقاد حين قال فى كتابه (عبقرية الامام) :

لم يكن معاوية زاهدا فى الخلافة فى عهد أبى بكر أو عمر أو عثمان ، ولكن الخلافة كانت زاهدة فيه ، وقديما قال أبوه للعباس عم النبى صلى الله عليه وسلم ، وقد رأى جيش المسلمين فى فتح مكة : لقد أصبح ملك ابن أخيك عظيما ٠

أهل الكوفة فى وصف الامام الحسن :

جعل الناس يبكون عند خروج الامام الحسن من الكوفة ، فقيل له عليه السلام ، ما حملك على ما فعلت ، فقال : كرهت الدنيا ، ورأيت أهل الكوفة قوما لا يثق بهم أحدا أبدا الا غلب ، ليس منهم أحد يوافق آخر فى رأى ولا هوى ، مختلفين ٠لانية لهم فى خير ولا شر ، لقد لقى أبى منهم أمورا عظاما ، فليت شعرى لمن يصلحون بعدى ، وهى أسرع البلاد خرابا

تمثيلية لبيعة يزيد فى حياة الامام الحسن :

علمت مما تقدم أن الذى ألقى الى معاوية فكرة البيعة ليزيد هو المغيرة بن شعبة ، وأراد بذلك أن يثبته معاويه فى ولاية الكوفة ، وكان هم بعزلة وتولية سعيد بن العاص مكانه ٠

وطبعا صادفت فكرة المغيرة هوى فى نفس معاوية ، فلما اجتمعت وفود الأمصار فى دمشق ، وكان فيهم الأحنف بن قيس دعا معاوية الضحاك بن قيس الفهرى فقال له : اذا جلست على المنبر وفرغت من بعض موعظتى وكلامى ، فاستاذنى القيام ، فاذا أذنت لك ، فاحمد الله تعالى واذكر يزيد وقل فيه الذى يحق له عليك من حسن الثناء عليه ، ثم ادعنى الى توليته من بعدى ، فانى رأيت وأجمعت على توليته ، فأسأل الله فى ذلك وفى غيره حسن القضاء ٠

وهذا كما ترى املاء ارادة على الضحاك ، وكان صاحب شرطته٠

ثم دعا معاوية عبد الرحمن بن عثمان الثقفى ، وعبد الله بن مسعده الفزارى ،وثور بن معن السلمى ، وعبد الله بن عصام الأشعرى ، فأمرهم أن يقوموا اذا فرغ الضحاك وأن يصدقوا قوله ويدعوه الى يزيد

فلمـــا فـــرغ معاويـــة مـــن خطبتـــه ، قـــاموا فنفـــذوا أمـــر معاويـــة ، ومـــدحوا يزيد بما لبس فيه ٠

فقال معاوية : أو كلكم قد أجمع على هذا رأيه ٠

فقالوا : كلنا قد أجمع رأينا على ما ذكرنا ٠

قـــال : فـــأين الاحنـــف فاجابـــه ، قـــال الا تـــتكلم فقـــام الأحنـــف (أدرك النبـــى صـــلى الله عليـــه وسـلم ولـــم يـــره ، وكـــان أحـــد الحكمـــاء الـــدهاة ، وشـــهد صفين مع أمير المؤمنين على) فحمد الله واثنى عليه ثم قال :

أصـــلح الله أميـــر المـــؤمنين ، ان النـــاس قـــد امســـكوا فـــى منكـــر زمـــان قـــد سلف ، ومعروف زمان مؤتنف ، ويزيد ابن أمير المؤمنين نعم الخلف ٠

وقـــد حلبـــت الـــدهر أشـــطره يـــا أميـــر المـــؤمنين ، فـــاعرف مـــن تســـند اليـــه الأمـــر مـــن بعـــدك ، ثـــم اعـــص أمـــر مـــن يـــأمرك ، لا يغـــررك مـــن يشـــير عليـــك ولا ينظـــر لـــك ، وانـــت أنظـــر للجماعـــة وأعلـــم باســـتقامة الطاعـــة ، مـــع أن أهـــل الحجـــاز أو أهـــل العـــراق لا يرضـــون بهـــذا ، ولا يبـــايعون ليزيـــد مـــا كـــان الحســـن حيـــا فغضـــب الضـــحاك بـــن قـــيس واعتـــرض علـــى كـــلام الأحنـــف فقـــام الأحنـــف مرة أخرى وحمد الله وأثنى عليه ثم قال :

يـــا أميـــر المـــؤمنين ، انـــا قـــد فررنـــا عنـــك قريشـــا ، فوجـــدناك أكرمهـــا زنـــدا ، وأشدها عقدا ، وأوفاها عهدا ٠

وقـــد علمـــت أنـــك لـــم تفـــتح العـــراق عنـــوة ، ولـــم تظهـــر عليهـــا قعصـــا ، ولكنـــك أعطيـــت الحســـن بـــن علـــى مـــن عهـــود الله مـــا قـــد علمـــت ليكـــون لـــه الأمـــر من بعدك ، فان تف فأنت أهل الوفاء ، وان تعذر تعلم ٠

والله ان وراء الحســـــن خيـــــولا جيـــــادا ، وأذرعـــــا شـــــدادا ، وســـــيوفا حدادا ، ان تدن له شبرا من غدر ، تجد وراءه باعا من نصر ٠

وانـــك تعلـــم أن أهـــل العـــراق مـــا أحبـــوك منـــذ أبغضـــوك ، ولا أبغضـــوا عليـــا وحسنا منذ أحبوهما ، وما نزل عليهم فى ذلك خبر من السماء ٠

وان السيوف التى شهروها عليك مع على يوم صفين لعلى عواتقهم ، والقلوب التى أبغضوك بها بين جوانحهم ، وايم الله ان الحسن لأحب الى أهل العراق من على .

فاعترض على كلام الأحنف عبد الله بن عثمان الثقفى ، ونافق معاوية ومدح يزيد بما ليس فيه ، فمن ذلك قوله :

فاذا خار الله لك فاعزم ، ثم اقطع قالة الكلام ، فان يزيد أعظمنا حلما وعلما ، وأوسعنا كنفا ، وخيرنا سلفا ، قد أحكته التجارب ، وقصدت به سبل المذاهب ، فلا يصرفنك عن بيعته صارف .

ثم هاجم الأحنف وعرض به قائلا : ولا يقفن بك دونها واقف ، ممن هو شاسع عاص ، ينوص للفتنة كل مناص ، لسانه ملتو ، وفى صدره داء دوى ، ان قال فشر قائل ، وان سكت فداء غائل .. الى آخر ما قال . فقام معاوية فقال :

أيها الناس ، ان لابليس من الناس اخوانا وخلانا ، بهم يستعدى ، واياهم يستعين وعلى ألسنتهم ينطق ، ان رجو طبعا أوجفوا ، وان استغنى عنهم أرجفوا ، ثم يلحقون الفتن بالفجور ، ويشفقون لها حطب النفاق .

عبابون ، مرتابون ، ان لووا عروة أمر حنقوا ، وان دعوا الى غى أسرفوا ، وليس أولئك بمنتهين ولا بمقلعين ، ولا متعظين ، حتى تصيبهم صواعق خزى وبيل ، وتحل بهم قوارع أمر جليل ، تجتث أصولهم كاجتثاث أصول الفقع ، فأولى لأولئك ثم أولى ، فانا قد قدمنا وأنذرنا ، ان أغنى التقدم شيئا أو نفع النذر .

فدعا معاوية الضحاك فولاه الكوفة ، وترك المغيرة ، ودعا عبد الرحمن فولاه الجزيرة ثم قام أبو حنيف فقال :

يا أمير المؤمنين ، انا لا نطيق السنة مضر وخطبها ، أنت يا أمير المؤمنين ، فان هلكت فيزيد بعدك ، فمن أبى فهذا ، وسل سيفه .

فقال معاوية : أنت أخطب القوم وأكرمهم .ثم قام الأحنف بن قيس فقال :

أنـت أعلمنـا بليلـة ونهـاره ، وبسـره وعلانيتـه ، فـان كنـت تعلـم أنـه شـر لـك فـلا تـزوده الـدنيا وأنـت صـائر الآخـرة ، فانـه لـيس لـك مـن الآخـرة الا ما طاب ٠

واعلـم أنـه لا حجـة لـك عنـد الله ان قـدمت يزيـد علـى الحسـن والحسـين ، وأنـت تعلـم مـن همـا والـى مـا همـا ، وانمـا علينـا أن نقـول : سـمعنا وأطعنـا غفرانـك ربنا واليك المصير ٠

أقـول ، وقـد علمـت مـا كـان مـن معاويـة مـع أهـل الحجـاز ، وقـد عارضـه أبنـاء المهـاجرين فـى مواجهتـه بكـل شـجاعة وصـراحة ولكـن ادعـى أنهـم بـايعوا وحمـل النـاس برهبـة السـيف والسـلطان علـى تلـك البيعـة المشـؤومة التـى كانـت شرا مستطيرا على الاسلام الى اليوم والى ما شاء الله تعالى ٠

بين الامام على وابى موسى الأشعرى والامام الحسن :

قـد يقـول القـارئ لمـاذا قـال أميـر المـؤمنين علـى حـين أشـاروا عليـه أصـحابه فـى أن يكـون الحكـم أبـا موسـى الأشـعرى ، انـه لـيس لـى ثقـة ، فهـذا هو الجواب ٠

كـان أبـو موسـى أميـرا علـى الكوفـة ، وقـد سـمعه الامـام الحسـن يثـبط أهـل الكوفـة ، ويصـرفهم عـن القتـال ، وهـو عكـس مـا كـان ينتظـر منـه فـى مناصرة أمير المؤمنين ، واليك ما قال أبو موسى لهم :

انهـا فتنـة صـماء ، النـائم فيهـا خيـر مـن اليقظـان ، واليقظـان فيهـا خيـر من القاعد ، والقاعد خير من القائم ، والقائم خير من الراكب ٠

فكونـوا جرثومـة مـن جـراثيم العـرب ، فأغمـدوا السـيوف ، وأنصـلوا الأسـنة (أى انزعهـا) واقطعـوا الأوتـار ، وآووا المظلـوم والمضـطهدين حتـى يلتئم هذا الأمر ٠

فرد عليه الامام الحسن قائلا :

يـا أبـا موسـى ، لـم تثـبط النـاس عنـا ، فـوالله مـا أردنـا الا الاصـلاح ، ولا مثل أمير المؤمنين يخاف على شئ ٠

ثم خاطب الامام الحسن أهل الكوفة وحثهم على اجابة دعوة أبيه أمير المؤمنين فقال :

يا أيها الناس أجيبوا دعوى أميركم ، وسيروا الى اخوانكم ، فانه سيوجد لهذا الأمر من ينفر اليه ، والله لأن يليه أولو النهى أمثل فى العاجلة ، وخير فى العاقبة ، فأجيبوا دعوتنا ، وأعينونا على ما ابتلينا به وابتليتم ٠

وكان لهذا ، الكلام أثره فى النفوس ، ثم قال رضى الله عنه أيها الناس ، انى غاد ، فمن شاء منكم أن يخرج معى على الظهر ومن شاء فليخرج فى الماء ٠

فخرج معه تسعةآلاف ، أما أبو موسى فأخرجه الناس من قصر الامارة ، واعتزل الامارة بأمر أمير المؤمنين ٠

وصية امير المؤمنين على لابنه الحسن :

ونختتم المتممات بوصية أمير المؤمنين على كرم الله وجهه لابنه الامام الحسن ، وليس أمير المؤمنين فى حاجة التقريظى أو تقريظ غيرى ، فهو غنى فى علمه وبلاغته عن التعريف والتقريظ ، وشمس النهار لا تحتاج الى دليل ٠

واليك نص الوصية منقولة من شرح نهج البلاغة لابن أبى حديد ، وقد كتبها اليه بحاضرين عند انصرافه من صفين :

من الوالد الفانى ، المقر للزمان ، المدبر العمر ، المستسلم للدهر ، الذام للدنيا ، الساكن مساكن الموتى ، الظاعن عنها غدا ٠

الى المولود المؤمل مالا يدرك ، السالك سبيل من قد هلك ، غرض الأسقام ، ورهينة الأيام ، ورمية المصائب ، وعبد الدنيا ، وتاجر الغرور ، وغريم المنايا ، وأسير الموت ، وحليف الهموم ، وقرين الأحزان ، ونصب الآفات ، وصريع الشهوات وخليفة الأموات

أما بعد ، فان فيما تبينت من ادبار الدنيا عنى ، وجموح الدهر على ، واقبال الآخرة الى ، ما يزعنى عن ذكر من سواى ، والاهتمام بما ورائى ، غير أنى حيث تفرد بى دون هموم الناس هم نفسى ، فصدقنى رأيى وصرفنى عن هواى ، وصرح لى محض أمرى ، فأفضى بى الى جد لا يكون فيه لعب ، وصدق لا يشوبه كذب ، وجدتك بعضى ، بل وجدتك كلى ، حتى كأن شيئا لو أصابك أصابنى ، فكأن الموت لو أتاك أتانى ، فعنانى من أمرك ما يعنينى من أمر نفسى ، فكتبت اليك كتابى مستظهرا به ، ان أنا بقيت لك أو فنيت .

فانى أوصيك بتقوى الله – أى بنى – ولزوم أمره ، وعمارة قلبك بذكره ، والاعتصام بحبله ، وأى سبب أوثق من سبب بينك وبين الله ، ان أنت أخذت به .

أحى قلبك بالموعظة ، وأمته بالزهاد ، وقوة اليقين ، ونوره بالحكمة ، وذلله بذكر الموت ، وقرره بالفناء ، وبصره فجائع الدنيا ، وحذره صولة الدهر ، وفحش تقلب الليالى والأيام واعرض عليه أخبار الماضيين ، وذكره بما أصاب من كان قبلك من الأولين .

وسر فى ديارهم واثارهم ، فانظر فيما فعلوا وعما انتقلوا وأين حلوا ، فانك تجدهم انتقلوا من الأحبة ، وحلوا دار الغربة ، وكأنك عن قليل قد صرت كأحدهم .

وأمر بالمعروف تكن من أهله ، وأنكر المنكر بيدك ولسانك ، وباين من فعله بجهدك ، وجاهد فى الله حق جهاده ، ولا تأخذ ك فى الله لومة لائم .

وخفض الغمرات للحق حيث كان ، وتفقه فى الدين ، وعود نفسك التصبر على المكروه ، ونعم الخلق التصبر فى الحق .

وألجىء نفسك فى أمورك كلها الى الهك ، فانك تلجئها الى كهف حريز ، ومانع عزيز .

وأخلــص فــى المســألة لربــك ، فــان بيــده العطــاء والحرمــان ، وأكثــر الاســتخارة ، وتفهــم وصــيتى ، ولا تــذهبن عنــك صــفحا ، فــان خيــر القــول مــا نفــع . وأعلم أنه لا خير فى علم لا ينفع ، ولا تنتفع بعلم لا يحق تعلمه .

أى بنــى ، انــى لمــا رأيتنــى قــد بلغــت ســنا ، ورأيتنــى أزداد وهنــا ، بــادرت بوصــيتى اليــك ، وأوردت خصــالا منهــا قبــل أن يعجــل بــى أجلــى دون أن أفضــى اليــك بمــا فــى نفســى ، أو أن أنقــص فــى رأيــى كمــا نقصــت فــى جســمى ، أو يســبقنى اليــك بعــض غلبــات الهــوى وفــتن الــدنيا ، فتكــون كاصــعب النفــور . وانمــا قلــب الحــدث كــالأرض الخاليــة ، مــا ألقــى فيهــا مــن شــىء قبلتــه . فبادرتــك بــالأدب قبــل أن يقســو قلبــك ، ويشــتغل لبــك ، لتســتقبل بجــد رأيــك مــن الآمــر مــا قــد كفــاك أهــل التجــارب بغيتــه وتجربتــه ، فتكــون قــد كفيــت مؤونــة الطلــب ، وعوفيــت مــن عــلاج التجربــة ، فأتــاك مــن ذلــك مــا قــد كنــا نأتيــه ، واستبان لك ما ربما أظلم علينا منه .

أى بنــى إنــى وأن لــم أكــن عمــرت عمــر مــن كــان قبلــى ، فقــد نظــرت فــى أســمائهم وفكــرت فــى أخبــارهم ، وســرت فــى آثــارهم ، حتــى عــدت كأحــدهم ، بــل كــانى بمــا انتهــى الــى مــن أمــورهم ، قــد غمــرت مــع أولهــم الــى أخــرهم ، فعرفــت صــفو ذلــك مــن كــدره ، ونفعــه مــن ضــرره ، فاستخلصــت لــك مــن كــل أمــر جليله وتوخيت لك جميله ، وصرفت عنك مجهوله .

ورأيــت حيــث عنــانى مــن أمــرك مــا يعنــى الوالــد الشــفيق ، وأجمعــت عليــه مــن أدبــك ، أن يكــون ذلــك وأنــت مقبــل العمــر ، ومقتبــل الــدهر ، ذو نيــة ســليمة ونفــس صــافية ، وأن ابتــدئك بتعلــيم كتــاب الله عــز وجــل وتأويلــه ، وشرائع الاسلام وأحكامه ، وحلاله ، وحرامه ، لا أجاوز ذلك بك ألى غيره .

ثــم أشــفقت أن يلتــبس عليــك مــا اختلــف النــاس فيــه ، مــن أهــوائهم وآرائهــم ، مثــل الــذى التــبس علــيهم ، فكــان احكــام ذلــك علــى مــا كرهــت مــن تنبهــك لــه ، أحــب الــى مــن اســلامك الــى أمــر لا آمــن عليــك بــه الهلكــة ، ورجــوت أن يوفقــك الله فيــه لرشــدك ، وأن يهــديك لقصــدك ، فعهــدت اليــك وصيتى هذه .

واعلــم يــا بنــى ، أن أحــب مــا أنــت آخــذ بــه الــى مــن وصــيتنى تقــوى الله ، والاقتصــار علــى مــا فرضــه الله عليــك ، والأخــذ بمــا مضــى عليــه الأولــون مــن آبائــك والصــالحون مــن أهــل بيتــك ، فــانهم لــم يــدعوا أن نظــروا لأنفســهم كمــا أنــت نــاظر ، وفكــروا كمــا أنــت مفكــر ، ثــم ردهــم آخــر ذلــك الــى الأخــذ بمــا عرفــوا ، والامســاك عمــا لــم يكلفــوا ، فــان أبــت نفســك أن تقبــل ذلــك دون أن تعلــم كمــا علمــوا ، فلــيكن طلبــك ذلــك بــتفهم وتعلــم ، لا بتــورط الشــبهات ، وعلق الخصومات .

وابــدأ قبــل نظــرك فــى ذلــك بالاســتعانة بالهــك والرغبــة اليــه فــى توفيقــك ، وتــرك كــل شــائبة أو لجتــك فــى شــبهة ، أو أســلمتك الــى ضــلالة ، فــان أيقنــت أن قــد صــفا قلبــك فخشــع ، وتــم رايــك فــاجمع ، وكــان همــك فــى ذلــك همــا واحدا ، فانظر فيما فسرت لك .

وان أنــت لــم يجتمــع لــك مــا تحــب مــن نفســك ، وفــراغ نظــرك وفكــرك ، فــاعلم أنــك انمــا تخــبط العشــواء ، وتتــورط الظلمــاء ، ولــيس طالــب الــدين مــن خــبط أو خلــط ، والامســاك عــن ذلــك أمثــل ، فــتفهم يــابنى وصــيتى ، واعلــم أن مالــك المــوت هــو مالــك الحيــاة ، وان الخــالق هــو المميــت ، وأن المغنــى هــو المعيــد ، وأن المبتلــى هــو المعــافى ، وأن الــدنيا لــم تكــن لتســتقر الاعلــى مــا جعلهــا الله عليــه مــن النعمــاء والابــتلاء والجــزاء فــى الميعــاد ، أو مــا شــاء ممــا لا تعلــم ، فــان أشــكل عليــك شــىء مــن ذلــك فاحملــه علــى جهالتــك ، فانــك أول مــا خلقــت بــه جــاهلا ثــم علمــت ، ومــا أكثــر مــا جهــل مــن الأمــر ، ويتحيــر فيــه رأيك ، ويضل فيه بصرك ، ثم تبصره بعد ذلك .

فاعتصــم بالــذى خلقــك ورزقــك وســواك ، فلــيكن لــه تعبــدك ، واليــه رغبتك ، ومنه شفقتك .

واعلــم يــابنى ، أن أحــدا لــم ينبــىء عــن الله ســبحانه كمــا أنبــأ عنــه نبينــا صــلى الله عليــه وســلم وآلــه ، فــارض بــه رائــدا ، والــى النجــاة قائــدا ، فــانى لــم آلــك نصــيحة ، وانــك لــن تبلــغ فــى النظــر لنفســك وإن اجتهــدت مبلــغ نظــرى لك .

واعلــم يــابنى ، أنــه لــو كــان لربــك شــريك لأتتــك رســله ، ولرأيــت آثــار ملكــه وســلطانه ، ولعرفــت أفعالــه وصــفاته ، ولكنــه الــه واحــد كمــا وصــف نفســه ، لا يضــاده فــى ملكــه أحــد ، ولا يــزول أبــدا ولــم يــزل ، أول قبــل الأشــياء بــلا أوليــة ، وآخــر بعــد الأشــياء ، بــلا نهايــة ، عظــم أن تثبــت ربوبتــه باحاطــة قلب أو بصر .

فــاذا عرفــت ذلــك فافعــل كمــا ينبغــى لمثلــك أن يفعــل فــى صــغر خطــره ، وقلــة مقدرتــه وكثــرة عجــزه ، وعظــيم حاجاتــه الــى ربــه ، فــى طلــب طاعتــه ، والخشية من عقوبته ، والشفقة من سخطه ، فانه لم يأمرك الا بحسن ، ولم ينهك الا عن قبيح .

يابنى إنى قد أنبأتك عن الدنيا وحالها ، وزوالها وانتقالها ، وأنبأتك عن الآخرة وما أعد لأهلها ، وضربت لك فيهما الأمثال ، لتعتبر بها وتحذو عليها .

انمــا مثــل مــن خبــر الــدنيا كمثــل ســفر ، نبــأ بهــم منــزل جــديب ، فــأموا منــزلا خصــيبا وجنابــا مريعــا ، فــاحتملوا وعثــاء الطريــق ، وفــراق الصــديق ، وخشــونة الســفر ، وجشــوبة المطعــم ، ليــأتوا ســعة دارهــم ، ومنــزل قــرارهم ، فلــيس يجــدون لــذلك ألمــا ، ولا يــرون نفقــة فيــه مغرمــا ، ولا شــىء أحب اليهم مما قربهم الى منزلهم ، وأدناهم الى محلتهم .

ومثــل مــن اغتربهــا ، كمثــل قــوم كــانوا بمنــزل خصــيب ، فنبــابهم الــى منــزل جــديب ، فلــيس شــىء أكــره الــيهم ، ولا أفظــع عنــدهم ، مــن مفارقــة مــا كــانوا فيه ، الى ما يهجمون عليه ، ويصيرون اليه .

يــا بنــى اجعــل نفســك ميزانــا فيمــا بينــك وبــين غيــرك ، فأحــب لغيــرك مــا تحــب لنفســك ، واكــره لــه مــا تكــره لهــا ، ولا تظلــم كمــا لا تحــب أن تظلــم ، وأحســن كمــا تحــب أن يحســن اليــك ، واســتقبح مــن نفســك مــا تســتقبحه مــن غيــرك ، وارض مــن النــاس بمــا ترضــاه لهــم مــن نفســك ، ولا تقــل مــالا تعلــم وان قل ما تعلم ، ولا تقل مالا تحب أن يقال لك .

واعلم أن الاعجاب ضد الصواب ، وآفة الألباب ، فاسع فى كدحك ، ولا تكن خازنا لغيرك ، وان أنت هديت لقصدك ، فكن أخشع ما تكون لربك .

واعلم أن أمامك طريقا ذا مسافة بعيدة ومشقة شديدة ، وانه لا غنى بك فيه عن حسن الارتياد ، وقدر بلاغك من الزاد ، مع خفة الظهر ، فلا تحملن فوق ظهرك فوق طاقتك فيكون ثقل ذلك وبالا عليك ، واذا وجدت من أهل الفاقة من يحمل لك زادك الى يوم القيامة ، فيوافقك به غدا حيث تحتاج اليه فاغتنمه ، وحمله أياه ، وأكثر من تزويده وأنت قادر عليه ، فلعلك تطلبه فلا تجده .

واغتنم من استقرضك فى حال غناك ، ليجعل قضاءه لك فى يوم عسرتك .

واعلم أن أمامك عقبة كؤودا ، المخف فيها أحسن حالا من المثقل ، والمبطىء عليها أقبح حالا من المسرع ، وأن مهبطك بها لا محالة ، اما على جنة أو على نار ، فارتد لنفسك قبل نزولك ، ووطىء المنزل قبل حلولك ، فليس بعد الموت مستعتب ، ولا الى الدنيا منصرف .

وأعلم أن الذى بيده خزائن السموات والأرض قد أذن لك فى الدعاء ، وتكفل بالاجابة ، وأمرك أن تسأله ليعطيك ، وتسترحمه ليرحمك ، ولم يجعل بينك وبينه من يحجبك عنه ، ولم يلجئك الى من يشفع لك اليه ، ولم يمنعك ان أسأت من التوبة ، ولم يعاجلك بالنقمة ، ولم يفضحك حيث تعرضت للفضيحة ، ولم يشدد عليك فى قبول الانابة ، ولم يناقشك بالجريمة ، ولم يوئسك من الرحمة ، بل جعل نزوعك عن الذنب حسنة ، وحسب سيئتك واحدة ، وحسب حسنتك عشرا ،

وفتح لك باب المتاب ، وباب الاستعتاب ، فاذا ناديته سمع نداك ، وناجيته علم نجواك ، فأقضيت اليه بحاجتك ، وأبثثته ذات نفسك ، وشكوت اليه همومك ، واستكشفته كروبك ، واستعنته على أمورك ، وسألته من خزائن رحمته ما لا يقدر على اعطائه غيره ، من زيادة الأعمار وصحة الأبدان ، وسعة الأرزاق

. ثـم جعـل فـى يـدك مفـاتيح خزائنـه ، بمـا أذن لـك فيـه مـن مسـألته ، فمتـى شـئت اسـتفتحت بالـدعاء أبـواب نعمتـه ، واسـتطردت شـآبيب رحمتـه ، فـلا يقنطنـك ابطـاء اجابتـه ، فـان العطيـة علـى قـدر النيـة ، وربمـا أخـرت عنـك الاجابة ، ليكون ذلك أعظم لأجر السائل ، وأجزل لعطاء الأمل .

وربمـا سـألت الشـىء فـلا تؤتـاه ، وأوتيـت خيـرا منـه عـاجلا أو آجـلا ، أو صرف عنك لما هو خير لك ، فلرب أمر قد طلبته فيه هلاك دينك لو أوتيته ، فلتكن مسألتك فيما لك جماله ، وينفى عنك وباله ، فالمال لا يبقى لك ولا تبقى له .

واعلـم يـا بنـى أنـك خلقـت للآخـرة لا للـدنيا ، وللفنـاء لا للبقـاء ، وللمـوت لا للحيـاة ، وأنـك فـى منـزل قلعـة ، ودار بلغـة ، وطريـق الـى الآخـرة ، وأنـك طريـد المـوت الـذى لا ينجـو منـه هاربـه ، ولا يفوتـه طالبـه ، ولابـد أنـه مدركـه فكـن منـه علـى حـذر أن يـدركك وأنـت علـى حـال سـيئة قـد كنـت تحـدث نفسـك منها بالتوبة فيحول بينك وبين ذلك ، فاذا أنت أهلكت نفسك .

يـا بنـى أكثـر مـن ذكـر المـوت ، وذكـر مـا تهجـم عليـه ، وتفضـى بعـد المـوت اليـه ، حتـى يأتيـك وقـد أخـذت منـه حـذرك ، وشـددت لـه أزرك ، ولا يأتيـك بغتـة فيبهرك .

وايـاك أن تغتـر بمـا تـرى مـن اخـلاد أهـل الـدنيا اليهـا ، وتكـالبهم عليهـا ، فقـد نبـأك الله عنهـا ، ونعتـت هـى لـك نفسـها ، وتكشـفت لـك عـن مسـاويها ، فانمـا أهلهـا كـلاب عاويـة ، وسـباع ضـارية ، يهـر بعضـها علـى بعـض ، ويأكـل عزيزهـا ذليلهـا ، ويقهـر كبيرهـا صـغيرها ، نعـم معقلـه ، وأخـرى مهملـة ، قـد أضـلت عقولهـا ، وركبـت مجهولهـا ، سـروح عاهـة بـواد وعـث ، لـيس لهـا راع يقيمها ، ولا مسيم يسيمها .

سلكت بهم الدنيا سبيل العمى ، وأخذت بأبصارهم عن منار الهدى فتاهوا فى حيرتها ، وغرقوا فى نعمتها ، واتخذوها ربا فلعبت بهم ، ولعبوا بها ، ونسوا ما وراءها ، رويدا يسفر الظلام ، كأن قد وردت الأظعان ، يوشك من أسرع أن يلحق .

واعلم يا بنى أن من كانت مطيته الليل والنهار ، فانه يسار به وان كان واقفا ، ويقطع المسافة وان كان مقيما وادعا .

واعلم يقينا أنك لن تبلغ أملك ، ولن تعدو أجلك ، وأنك فى سبيل من كان قبلك .

فخفض فى الطلب ، وأجمل فى المكتسب ، فانه رب طلب قد جر الى حرب ، وليس فى الطلب بمرزوق ، ولا كل مجمل بمحروم .

وأكرم نفسك عن كل دنية وان ساقتك الى الرغائب ، فانك لن تعتاض بما تبذل من نفسك عوضا ، ولا تكن عبد غيرك ، وقد جعلك الله حرا ، وما خير لا ينال الا بشر ، ويسر لا ينال الا بعسر .

واياك أن توجف بك مطايا الطمع ، فتوردك مناهل الهلكة ، وان استطعت ألا يكون بينك وبين الله ذو نعمة فافعل ، فانك مدرك قسمك ، وآخذ سهمك ، وان اليسير من الله سبحانه ، أعظم وأكرم من الكثير من خلقه ، وان كان كل منه .

وتلافيك ما فرط من صمتك ، أيسر من ادراكك ما فات من منطقك ، وحفظ ما فى الوعاء بشد الوكاء ، وحفظ ما فى يديك أحب الى من طلب مافى يدى غيرك ، ومرارة اليأس ، خير من الطلب الى الناس ، والحرفة مع العفة خير من الغنى مع الفجور ، والمرء أحفظ لسره ، ورب ساع فيما يضره ، من أكثر أهجر ، ومن تكفر أبصر .

قارن أهل الخير تكن منهم ، وباين أهل الشر تبن عنهم ، بئس الطعام الحرام ، وظلم الضعيف أفحش الظلم ، اذا كان الرفق خرقا ، كان الخرق رفقا ، ربما كان الدواء داء ، والداء دواء ، وربما نصح غير الناصح ، وغش المستنصح .

واياك والاتكال على المنى ، فانها بضائع النوكى ، والعقل حفظ التجارب ، وخير ما جربت ما وعظك .

بـــادر الفرصـــة قبـــل ان تكـــون غصـــة ، لـــيس كـــل طالـــب يصـــيب ، ولا كـــل غالـــب يثـــوب ، ومـــن الفســـاد اضـــاعة الـــزاد ، ومفســـدة المعـــاد ، ولكـــل أمـــر عاقبة ، سوف يأتيك ما قدر لك ، التاجر مخاطر ، ورب يسير أنمى من كثير .

لا خيـــر فـــى معـــين مهـــين ، ولا فـــى صـــديق ظنـــين ، ســـاهل الـــدهر مـــاذل لـــك قعـــوده ، ولا تخـــاطر بشـــىء رجـــاء أكثـــر منـــه ، وايـــاك أن تجمـــح بـــك مطيـــة اللجاج .

احمـــل نفســـك مـــن أخيـــك عنـــد صـــرمه علـــى الصـــلة ، وعنـــد صـــدوده علـــى اللطـــف والمقاربـــة ، وعنـــد جمـــوده علـــى البـــذل ، وعنـــد تباعـــده علـــى الـــدنو ، وعنـــد شـــدته علـــى اللـــين وعنـــد جرمـــه علـــى العـــذر ، حتـــى كأنـــك لـــه عبـــد ، وكأنـــه ذو نعمـــة عليـــك ، وايـــاك ان تضـــع ذلـــك فـــى غيـــر موضـــعه ، او ان تفعلـــه بغيـــر أهله .

لا تتخـــذن عـــدو صـــديقك صـــديقا ، فتعـــادى صـــديقك ، وامحـــض اخـــاك النصـــيحة ، حســـنة كانـــت أو قبيحـــة ، وتجـــرع الغـــيظ ، فـــانى لـــم أر جرعـــة أحلى منها عاقبة ، ولا ألذ مغبة .

ولـــن لمـــن غالظـــك ، فانـــه يوشـــك أن يلـــين لـــك ، وخـــذ علـــى عـــدوك بالفضـــل فانـــه أحـــد الظفـــرين ، وان أردت قطيعـــة اخيـــك ، فاســـتبق لـــه مـــن نفســـك بقيـــة يرجع اليها ، ان بدا له ذلك يوما ما .

ومـــن ظـــن بـــك خيـــرا فصـــدق ظنـــه ، ولا تضـــيعن حـــق أخيـــك اتكـــالا علـــى ما بينك وبينه ، فانه ليس لك بأخ من أضعت حقه .

ولا يكـــن أهلـــك أشـــقى الخلـــق بـــك ، ولا تـــرغبن فـــيمن زهـــد عنـــك ، ولا يكـــونن أخـــوك أقـــوى علـــى قطيعتـــك منـــك علـــى صـــلته ، ولا تكـــونن علـــى الاســـاءة أقـــوى منـــك علـــى الاحســـان ، ولا يكبـــرن عليـــك ظلـــم مـــن ظلمـــك ، فانـــه يسعى فى مضرته ونفعك ، وليس جزاء من سرك ان تسوءه .

واعلـــم يـــا بنـــى أن الـــرزق رزقـــان ، رزق تطلبـــه ورزق يطلبـــك ، فـــان أنـــت لم تأتيه اتاك .

مـا أقـبح الخضـوع عنـد الحاجـة ، والجفـاء عنـد الغنـى ، انمـا لـك مـن دنيـاك مـا أصـلحت بـه مثـواك ، وان كنـت جازعـا علـى مـا تفلـت مـن يـديك ، فاجزع على كل ما لم يصل اليك .

استدل علـى مـا لـم يكـن بمـا قـد كـان ، فـان الأمـور أشـباه ، ولا تكـونن ممـن لا تنفعـه العظـة ، الا اذا بالغـت فـى ايلامـه ، فـان العاقـل يـتعظ بـالآداب ، والبهائم لا تتعظ الا بالضرب .

اطرح عنك واردات الهموم بعزائم الصبر وحسن اليقين .

مـن تـرك القصـد جـار ، والصـاحب مناسـب ، والصـديق مـن صـدق غيبـة ، والهـوى شـريك العمـى ، ورب بعيـد أقـرب مـن قريـب ، وقريـب أبعـد من بعيد ، والغريب من لم يكن له حبيب .

مـن تعـدى الحـق ضـاق مذهبـه ، ومـن اقتصـر علـى قـدره كـان أبقـى لـه ، وأوثـق سـبب أخـذت بـه سـبب بينـك وبـين الله سـبحانه ، ومـن لـم يبالـك فهـو عدوك .

قـد يكـون اليـأس ادراكـا ، اذا كـان الطمـع هلاكـا ، لـيس كـل عـورة تظهـر ، ولا كـل فرصـة تصـاب ، وربمـا اخطـأ البصـير قصـده ، وأصـاب الأعمـى رشده .

آخـر الشـر ، فانـك اذا شـئت تعجلتـه ، وقطيعـة الجاهـل ، تعـدل صـلة العاقل .

من أمن الزمان خانه ، ومن أعظمه أهانه .

ليس كل من رمى أصاب .

اذا تغير السلطان ، تغير الزمان .

سل عن الرفيق قبل الطريق ، وعن الجار قبل الدار .

ايـاك ان تـذكر مـن الكـلام مـا يكـون مضـحكا ، وان حكيـت ذلـك عـن غيـرك ، وايـاك ومشـاورة النسـاء ، فـان رأيهـن الـى أفـن ، وعـزمهن الـى وهـن وأكفف عليهن من أبصارهن بحجابك اياهن ، فان شدة الحجاب أبقى

عليهن ، وليس خروجهن بأشد من ادخالك من لا يوثق به عليهن ، واذ استطعت الا يعرفن غيرك فافعل .

ولا تملك المرأة من أمرها ما جاوز نفسها ، فان المراة ريحانة ، وليست بقهرمانة ، ولا تعد بكرامتها نفسها ، ولا تطمعها فى ان تشفع لغيرها .

واياك والتغاير فى غير موضع غيره ، فان ذلك يدعو الصحيحة الى السقم ، والبريئة الى الريب .

واجعل لكل انسان من خدمك عملا تأخذه به ، فانه أحرى ألا يتواكلوا فى خدمتك .

وأكرم عشيرتك فانهم جناحك الذى به تطير ، وأصلك الذى اليه تصير ، ويدك التى بها تصول .

استودع الله دينك ودنياك ، واسأله خير القضاء لك فى العاجلة والأجلة والدنيا والآخرة والسلام .

وتلك الوصية هى مسك الختام .

(وآخر دعواهم ان الحمد لله رب العالمين)

الفهرس

مراجع الكتاب

القرآن الكريم ... ...

كتب السنة. ... ...

تفسير القرطبى ... ... للامام القرطبى

تفسير الألوسى ... ... للامام الالوسى

تاريخ الأمم ... ... لابن جرير الطبرى

مقاتل الطالبيين... ... ... لأبى الفرج الأصفهانى

الكامل... ... ... لابن الأثير

مطالب السؤول ... ... لابن ابى طلحة القرشى

الأغانى ... ... لأبى الفرج الأصفهانى

شرح نهج البلاغة... ... ... لابن ابى حديد

الاصابة ... ... لابن حجر

الاستيعاب... ... ... لابن عبد البر

مروج الذهب... ... ... للمسعودى

الامامة والسياسة ... ... لابن قتيبة

الطبقات الكبرى ... ... للامام الشعرانى

عبقرية الامام... ... ... للعقاد

عثمان ذو النورين. ... ... للعقاد

الفتنة الكبرى ... ... لعميد الأدب العربى

على وبنوه ... ... لعميد الأدب العربى

الامام زين العابدين ... ... للشيخ احمد فهمى

كريمة الدارين... ... ... للشيخ احمد فهمى

العقيلة الطاهرة... ... ...للشيخ احمد فهمى

الحسن والحسين ... ... للاستاذ محمد رضا

آل بيت رسول الله ... ... للاستاذين كامل البنا وتوفيق عربه

الحسين ... ... للمستشار على الحسينى

نور الحى القيوم ... ... للأستاذ احمد عبد المنعم الحلوانى

السمو الروحى... ... ... للأستاذ احمد عبد المنعم الحلوانى

عبد الله بن الزبير ... ...للدكتور حسنى الخربوطلى

فلسفة اقبال... ... ... للأستاذين الصاوى شعلان ومحمد الأعظمى

تاريخ الأمم الاسلامية... ... ... للشيخ الخضرى

دائرة المعارف الاسلامية ... ...

مجلة منبر الاسلام ... ...

فاطمة الزهراء... ... ... للأستاذ عطية خميس المحامى

نور الأبصار... ... ... للأستاذ الشبلنجى

شرح ورد سحر... ... ...للعارف عمر الشبراوى

الامام الحسين بن على... ... ... .للمؤلف